رواية

إمرأة تتزوج للمرة العاشرة

نهال الغندور

Smart Queen

رواية

إمرأة تتزوج للمرة العاشرة

نهال الغندور

(Smart Queen)

إهداء

إلى كل شخص كان سببا فى إسعاد قلبى

إلى كل شخص شجعنى ولو بكلمة على إخراج ما أُكتبه إلى العالم

إلى كل شخص صمد بجانبي وءامن بكل ما أُكتبه

ثم

إلى كل إمرأة نالت ما لا تستحق وهدر شبابها،وأنوثتها بين أنياب القهر والذل ..أنا أعتذر إليكِ نيابة عن هذا العالم

"المقدمة"

جرتها الحياة جراً إلى قدر غير معلوم منذ طفولتها إلى أن أصبحت إمرأة..تارة تقع ضحية وتارة تصبح مذنبة

.. لكن إلى أين كانت تهرب .. أفي المكتوب رجوع؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

"وجهة نظر الكاتب"

"قد يتهول البعض من هذا العدد من الرجال أو قد تكونوا سمعتم من قبل عن نساء تزوجن بهذا العدد من الرجال .. لكن وجهة نظرى الحقيقية هو حصد نوعيات معينة من الرجال تعايش معهم بعض النساء أو قد لايزالون فى التعايش معهم ..بفرض شئ بسيط فى الرواية من المعاناة الحقيقية التى عانوها معهم فالواقع يختلف تماما وأشد صدمة .. وأنا هنا لا أقول بأن جميع الرجال سيئون ..ولا أقول بأن جميع النساء طيبون ..فلم أجعل جميع الرجال التى تزوجت بهم بطلة روايتى سيئون ولم أظهر بطلة روايتى دائمًا بأنها ضحية وإنما فى كثير من الاحيان أجعلها مذنبة وذلك ليتفهم القارئ طبيعة الخطأ وإدراكه ثم أخذ الحذر منه .. لذلك فلقد أبرزت أنواع مختلفة من الرجال ، وإن كان الأغلب سئ فهذا لإثبات رسالة الرواية وتسليط الضوء على معاناة حقيقية يقمع فيها بعض النساء ..ولقد أجزت فى وصف هذه الرواية لكى أحافظ على حماس وفضول القارئ حيث روايتى تتكون من خمسون فصلا ممتلئة الأحداث ..لذلك فلقد تركت أماكن الحشو والتكرار واستبدلتها بلغة حوارية بين الأبطال باللغة العامية حتى يستفيد كل قارئ"

الفصل الأول

"العروس الهاربة"

كانت تجلس على كرسى العرس فى انتظار زوجها العاشر للقدوم إليها لأخذها من المنزل ،والذهاب إلى قاعة الأفراح لإتمام مراسم الزفاف السعيد..لكن لقد تأخر العريس..

فنظرت إلى الهاتف بتأفف فوجدت الساعة قد تعدت التاسعة مساءا ، ولقد كان الموعد المتفق عليه هو الثامنة مساءا وفى حين ذلك نظرت جائلة على ساحة الحضور ..فرأت المعازيم وهم يتبرمون ويمصمصون بشفاههم ويتغامزون بعضهم لبعض وكأن أحدا أجبرهم على الحضور ولكنها استطاعت من خلال همساتهم تخمين ذلك الأمر الذى يتغامزون عليه وذلك الحديث الذى يتهامسون فيه

نعم...

إنها لابد قصة زواجها العاشر..

فمعهم حق..لا..بل معهم ألف حق

إنه من غير المألوف لإمرأة بأن تتزوج بمثل هذا العدد من الرجال..
فمالت برأسها على مسند المقعد وأغمضت عينيها ثم أخذت تتذكر...

حينما كانت تركض بفستان الزفاف هاربة من حفل زواجها الأول بعد أن كتب الكتاب وبدأت مراسم الزفاف ثم تسللت من بين المعازيم هاربة إلى الخارج ثم أخذت فى الركض دون أن تنظر خلفها إلى أن قطعت أنفاسها فتوقفت قليلا لتلتقط بعضها .. ثم دقائق وتابعت الركض حتى دهست على طرف فستانها فانكبت على وجهها وفى تلك اللحظة رأت على الأرض أقداما تقف أمامها فنظرت إلى أعلى فوجدته رجلا يافعا يمد لها يده ليساعدها على النهوض فمدت يدها له حتى وقفت على قدميها .. ثم ابتسم إليها قائلا

- مالك ياعروسة ..بتجرى من إيه؟؟
فتجاهلته ثم تابعت طريقها بعد أن قالت..
- مفيش..عن إذنك
فجذبها برفق من ذراعها قائلا..
- ماتخافيش..أنا مش هأذيكى..بس قوليلى فى إيه وبتجرى ليه ؟؟

كان لديه إبتسامة رائعة ..يرتاح إليه كل من يراها جانبا إلى صوته الوقور مما شجعها لتقول..

- ب...ب...بصراحة أنا هربانة من فرحى

ثم ابتلعت ريقها واردفت ..

- عاوزين يجوزونى لواحد مابحبوش وبكرهه

ظلت ملامحه جامدة كما هى ..لم يبدو عليه أى نوع من أنواع التأثر بل بدا له الأمر عاديا ومعتاداً عليه مما شجعها على أن تطلب منه أن يبحث لها عن مكانا مناسبا للمبيت..

فأجابها بهدوء

- أيوة عندى مكان كويس وتقدرى تباتى فيه ..بس افهم القصة الأول من أولها لأخرها..

فأخذت تقص له كم كانت ترغب بدخول الجامعة وإكمال تعليمها بعد ما انتهت من دراستها الثانوية . ولكن أصر والديها على الزواج من ذلك الرجل الذى كان يكبرها بعشرون عاما حيث كان عمرها فى ذلك الوقت لم يكن يتجاوز السابعة عشر،، وكم كان ذلك الرجل ذو طباعاً مخيفة وصوتاً غليظ يجعلها ترتعب وتتوجس منه خيفة ..فهربت من العرس خشية الزواج منه ،ومراسم

الزفاف التى كانت تعتبرها مراسم إعدام لشخص تهم بتهمة ملفقة إليه دون حتى الإستماع لأقواله وإعطاؤه ولو جزءا من حقه فى الدفاع عن نفسه.

فبدا متفهما وتظاهر بالتأثر ثم أخذ يهون عليها تلك اللحظات القاسية ثم قال بأن ذلك المنزل الذى سيأويها إليه هو منزله الذى يسكن فيه..ومازاد الأمر امتعاضا حتى قال بأنه يسكن فيه وحيدا ...

- ها إيه رأيك؟؟

فنظرت إليه بريبة وقلق ثم قالت..

- لالالا ..ماقدرش..وبعدين أنا ماعرفكش!!

فابتسم مرة أخرى وقد بدى على وجهه سماحة وطيبة ثم قال..

- إنتى خايفة منى؟؟ إتطمنى ..أنا بخاف ربنا وعمرى ما هأذيكى ..بس عامة اللى يريحك..

كان صوته الوقور كافيا لأن يجعل قلبها يطمئن لخاصة وهى تعلم بأنها الآن تتعلق بقشة من الأمان فى ذلك الليل المعتم والحالك السواد ولا تعلم إلى أين ستذهب ولا إلى أين ستأوى ..فرضيت متضطرة إلى أن تذهب معه

بعد أن وعدها بأنه سيعطيها مفتاح الغرفة التى ستبيت فيها وبعد أن اطمئنت قامت بتحريك قدميها للذهاب معه..

-هو البيت بعيد عن عنها؟؟

قالت ذلك حينما تعبت قدميها من المضى برفقته نحو الشقة فقال..

-لا أبدا قربنا..بس الأول ندخل أى محل ..تغيرى الفستان دة وتلبسى حاجة تانية..علشان الناس وانتى داخلة معايا الحارة ماتلفتيش نظرهم

فقالت بتعجب..

- وهو يعنى الفستان هيلفت نظرهم وانا مش هلفت نظرهم واانا داخلة معاك!!

فابتسم بثقة ثم قال..

- ماتقلقيش أنا هتصرف

دخلا بالفعل أحد محلات الملابس ثم قامت مهدا باختيار كنزة سمراء وتنورة من الجينز الأزرق..

اوو عذرا ..لم أخبركم قبلا بإسم بطلة روايتنا

إنها مُهدا

قامت مهدا بارتداء ما اختارت فأومأ الرجل بالموافقة عما قامت باختياره ثم قام بدفع الحساب ومن ثم غادرا المحل مستكملين طريقهما إلى الشقة.

- وصلنا يا...إنتى قولتيلى إسمك إيه؟؟

قال ذلك الرجل الغريب فور وصولهما إلى الحارة التى تقيم بها شقته ..فأجابته

- مهدا...إسمى مهدا

- إسم جميل ..خلاص وصلنا يامهدا ..هى دى الحارة اللى فيها البيت..

لقد كان منزله يقطن فى منتصف حارة شعبية ..تقع شقته فى الدور الثالث من مبنى قديم يتضح عليه آثار الزمن من خرابيش وشخابيط جانبا إلى أهل الحارة المقيمين بها والذين ينتابهم الكثير من الغرابة حينما يدخل حارتهم شخصا غريبا.. أويحاول الإختلاط بينهم ..فينظرون إليه وكأنه عدو لهم هذا إن كان شخصا غريبا فما بال إن كان هذا الشخص الغريب هو فتاة فى عمر الزهور برفقة رجل من المعروف بالحارة بأنه ..؟؟؟؟

لالا لن ندخل فى اى تفاصيل الآن

لنكمل حيثما توقفنا...

نعم..إنها فتاة فى عمر الزهور برفقة رجل يناهز عمر الثلاثون وتدخل معه الحارة عازمة لأن تشاركه منزله الخالى إلا منه ...إنه حتما شيئا مريبا بالنسبة لأهل الحارة ...بل كيف يصلح هذا لأن يكون فى حارتهم العفيفة الشريفة

..فتدخل مُهدا الحارة إلى بينهم وينظر إليها هذا وذاك ونظرات الغضب تلمع بأعينهم ..حتى شكت بأن جميع من بالحارة قد علم بأمر هروبها من العرس حتى بعد أن ابتاعت ذلك الفستان الذى كانت ترتديه وتخلصت من اى أثر

يشير إلى حادثة هروبها من حفل الزفاف ومع ذلك لقد فضح أمرها!!
لقد أحست بالفعل بأنها قد فضح أمرها ولكنه كان إحساس غير منطقى فسألته لتطمئن..

-هما بيبصولى كدة ليه؟

فنظر إليها نظرة صلبة بعد أن زهقت إبتسامته ثم قال..

-إمشى بس وماتبصيش على حد ومالكيش دعوة

تجاوز الرجل الغريب ومهدا منتصف الحارة حتى وصلا إلى المبنى فدخلا الباب الرئيسى ثم صعدا أربع درجات حتى تجاوزا الدور الأول والثانى ثم صعدا إلى الثالث فأخرج الرجل مفتاحا من جيبه ثم أدار به قفل الباب فعصلج قليلا مما أحدث إزعاجا صغيرا جعل تهانى التى تسكن فى الشقة المقابلة له لأن تخرج لمعرفة سبب هذه الجلبة..

-إبراهيم !! .. عاش من شافك

قالت ذلك تهانى فور أن رأته فارتبك قليلا حتى سقط المفتاح من يده ثم انحنى ليستعيده ونهض قائلا

-أهلا يااست تهانى ..إذيك

لقد حان الآن بعد أن عرفتم إسم ذلك الرجل الغريب لأن نتخلى عن مصطلح (الرجل الغريب) وسرد باقى الرواية بإسمه...

-الحمد لله إذيك فينك من زمان

-اهو موجود ..الدنيا بس..

تنبهت تهانى لتوها إلى وجود مهدا بجانبه فنظرت إليها بنظرات غائرة محتقرة ثم قالت وهى تضع يدها على خصرها..

-ودى مين دى ..ماعرفتناش

فأشار إليها قائلا..

-دى تبقى مهدا..أخت مراتى الله يرحمها ..وهتقعد معايا فترة كدة لحد مالاقيلها سكن مناسب

إكتظ الغيظ بتهانى وجرت الدماء فى عروقها ثم اعتدلت عن وقفتها العوجاء لتقول..

-إيه إنت اتجننت ..إنت عايز الناس تاكل وشى؟؟

نظر إبراهيم إلى مهدا التى لاتزال واقفة أمام أعتاب المنزل تستمع إلى كل مايدور بينهما..ففتح القفل بمفتاحه سريعا وهو يقول..

-إدخلى يامهدا إنتى وانا شوية وهاجيلك

خلدت مهدا إلى المنزل بخطوات مرتجفة ثم أغلق إبراهيم الباب خلفها برفق واتجه إلى شقة تهانى قائلا..

-ممكن نتكلم جوا؟؟

فنظرت إليه بغيظ ثم قالت بحنق

-إتفضل..

دلف إبراهيم إلى منزل تهانى فلحقته ثم قامت بغلق الباب وبعد نصف ساعة خرج إبراهيم من نفس الباب ولكن على حالة تختلف تماما عن تلك التى كانت قبلها وكذلك تهانى ،والذى أكد ذلك حينما ودعته تهانى بابتسامة نسائية ماكرة قبل أن تغلق الباب ليتجه بعد ذلك إلى شقته..ليرى أين ذهبت تلك الصغيرة الحمقاء فوجدها تقوم بترتيب الفراش الذى كان يوجد فى غرفة النوم الوحيدة التى بالشقة ولكنها لم تكن تعلم بذلك حيث هى الغرفة الأولى التى قامت بالدخول إليها

-إحم..إحم..

قال ذلك إبراهيم فورأن دخل إلى الغرفة فالتفتت إليه فأردف قائلا..

-خلاص إنتى هتنامى هنا وانا هنام عالكنبة برا

فقالت مهدا باستغراب

-إيه دة ..هى دى أوضة النوم الوحيدة فى الشقة؟؟

-أيوة بس عادى مش مشكلة

-لالا خلاص أنا اللى هنام برا

-بعدين معاكى..إسمعى الكلام ..أنا هاخد غطا بس وهطلع برا

فمد يده ليلتقط غطاءا من الدولاب الخشبى الموجود بالغرفة ثم قال قبل أن يخرج...

-أة صحيح..المفتاح اهه

ورماه على الفراش ثم أردف قائلا..

-علشان لو حبيتى تقفلى على نفسك الباب ..تصبحى على خير..

غادر إبراهيم الغرفة فقامت مهدا بغلق الباب بالمفتاح..ثم..

****

الفصل الثانى

"تعلق طفلة"

تهانى..

تهانى هى الجارة المالكة للمبنى الذى يقيم فيه إبراهيم بإيجار متفق ،وهى إمرأة فى العقد الرابع من عمرها ..إمرأة إذا رأيتها تحسبها دائمًا فى منتصف العشرين ..ذو شعر أسود حالك ..يغطى على تقاسيم جسدها ..أنوثة تستطيع إغواء أى رجل جانبا إلى تلك الملابس التى كانت ترتديها ...فلا تعرف أبدا أى طريقا للحياء والعفة ومع ذلك تستطيع لأن تراها فتاة لم تغادرالعشرين ..وفقا لتلك الملابس القصيرة التى ترتديها ووفقا لجمالها الذى لا يزال يبرق بالرغم من عمرها الذى تعدى الأربعين وكأنها استعادت شبابها الذى دفن بعد أن توفى زوجها الذى تزوجته من أجل المال ...حيث تزوجها بعد أن توفت إمرأته حينما كانت تبلغ تهانى عشرون عاما وكان يبلغ فى ذلك الوقت خمسة وخمسون عاما وتوفى عنها وهو يناهز الستين وقد قال البعض بأنها من وضعت له السم بالطعام حتى يلاقى حتفه وتقوم بالإستيلاء على أمواله لكن

لم يثبت صحة ذلك .. حيث كان يعمل موظفا له مكانته بأحد المصالح الحكومية مما توفر لها بعد وفاته معاشا لايستهان بقدره وذلك

المبنى الذى ورثته عنه ..حيث كان رجلا عقيما لاينجب فلم يكن لديه اى أبناء وكانت هى وريثته الشرعية الوحيدة.

كان لتهانى لأن تقاطع الزواج خشية من أن لايؤل إليها ذلك المعاش وأن يضيع حقها به ..لذلك فلقد لجأت إلى طرقا أخرى مع جارها المحبب إلى قلبها الذى لا يتردد كثيرا إلى شقته ولا يبيت فيه كثيرا والله أعلم فيما كان يغيب ولكنه كان يدفع الإيجار بشكل منتظم ..إلى أن نشبت علاقة غير شريعة بينهما حتى أصبح لا يدفع أى إيجارا أو بمعنى أصح..لقد أصبح إيجاره مدفوعا ولكن بثمن يلحقه العهر والدنس.

....

إستيقظت مهدا من نومها أثر طرقا خفيفا على الباب فنظرت إلى الباب فوجدته موصدا كما هو فنهضت عن الفراش بتكاسل لتفتحه ثم تجد إبراهيم ماثلا أمامها ثم يقول مبتسما..

-صباح الخير

فدعكت بعينيها ثم قالت..

-صباح النور..

-إتفضلى الفطار جاهز

-طيب ثوانى هغسل وشى بس وافوق ..هو الحمام منين

أشار إليها إبراهيم إلى نهاية الممر المؤدى إلى الصالة ثم قال..

-إتفضلى ..من هنا..

فذهبت إلى الحمام بأعين ناعسة وعاد إبراهيم إلى الصالة متكئا على الأريكة وبيده فنجانا من القهوة حتى عادت ممدا إليه فقال لها..

-اتفضلى الأكل هناك عالطاولة..أنا سبقتك

فجلست على الطاولة ثم نظرت إلى ماأعده إليها من الطعام ...من جبن وعسل ومربى وبسطرمة وزيتون وبعض شرائح من الخيار والطماطم والفلفل وأصابع البطاطس ..لقد ذهلت من وجود مثل هذا الفطور فى مثل هذه الشقة القديمة البسيطة فسرعان ما كفت عن التفكير حينما تذكرت بأن معدتها المسكينة لم تذق أى طعام طوال الأمس ..فأخذت بتناول الكثير من الطعام حتى شبعت وقالت..الحمد لله

-يااه ..دانتى شكلك كنتى جعانة أوى

قال ذلك إبراهيم دون أن ينظر إليها فأجابته قائلة..

-أيوة ..أنا أصلى ماكلتش حاجة من امبارح

فنظر إليها هذه المرة ثم قال

-طيب ماقولتليش ليه؟؟ انا سبتك تنامى لإن شكلك كنتى تعبانة

-أيوة أنا كنت تعبانة فعلا ومحتاجة أنام..

-طيب ودلوقتى ..شبعتى ولا أجيب أكل كمان؟؟

-الحمد لله ..شبعت

نهض إبراهيم عن الأريكة ثم قام بتناول الأطباق ليضعها بالمطبخ ثم عاد وانضم إلى الطاولة قائلا..

-قوليلى بقى إيه أخبارك دلوقتى؟؟

فنظرت إليه بخجل ثم قالت..

-الحمد لله ..كويسة

-لسه تعبانة؟؟

-لاء

-قوليلى بقى إنتى ناوية على إيه؟؟

-مش عارفة

-إنتى كدة خلاص مش راجعة لأهلك تانى يعنى؟؟

-اه

-امم ..طيب والحل

-هدور على أى شغل أو أى حد ..المهم مش راجعة تانى ..أنا خلاص مابقاليش حد فى الدنيا ..ماما الله يرحمها وبابا توفى من فترة ومرات بابا عاوزة تجوزنى غصب عنى بالإتفاق مع عمى علشان يفضالهم البيت وبتجوزو ومابقاليش حد تانى أقدر ألجأله

ثم بكت ..فأشفق عليها ووضع يده على ثغرها ليمسح دموعها ثم قال..

-إنتى مش قولتيلى إنك هربانة لإن الوالد والوالدة كانو عايزين يجوزوكى غصب عنك؟؟

-أيوة قولتلك كدة لإنى خفت لتسلمنى للبوليس وانا ماما وبابا متوفيين ويعتبر ماليش أهل

-لا حول ولا قوة إلا بالله خلاص ماتزعليش .. ..أنا عامل بس على كلام الناس مش أكتر بس انا هتصرف

فنهضت مهدا عن مقعدها ثم قالت..

-لالالا حضرتك مالكش ذنب خالص ...وأسفة على الإزعاج..أنا همشى

ثم ركضت إلى الباب فسبقها إبراهيم إليه قائلا..

-ومين قالك إنك عاملالى إزعاج ..مااقصدش خالص ..وبعدين لو مشيتى هتروحى فين؟؟

فاحتضنت مهدا ساعديها بحزن ثم قالت..

-مش عارفة

فاقترب إليها ثم هدهد على كتفيها وقال بحنو..

-خلاص إقعدى هنا واعتبريه زى بيتك بالظبط

فنظرت إليه بثقة غامرة ثم قالت..

-متشكرة جدا

-على إيه ؟؟ دانتى حتى هتونسينى بدال مانا عايش كدة لوحدى وعايزك تتطمنى..أنا راجل أعرف ربنا كويس وعمرى ماهفكر أئذيكى

-واضح طبعا على حضرتك يااستاذ إبراهيم..

متشكرة جدا لزوقك

-لالالا بلاش أستاذ دى ..أنا إسمى إبراهيم بس

فابتسمت بخجل ثم قالت..

-ماينفعش أصل حضرتك أكبر منى بكتير فلازم أحترم فرق السن اللى بنا

-لا ولا كتير ولا حاجة..إنتى كام سنة؟؟

-الشهر الجاى هتم ١٧

-يااا لسه صغننة أوى ..عامة انا عندى ٣١ سنة ..يعنى فرق السن بنا مش كبير أوى يدوبك ١٤ سنة بس

فضحكت ببرائة ثم قالت

-بردو لازم يا أستاذ ..إبرا..

فقاطعها إبراهيم واضعا سبابته على فمها قائلا..

-إبراهيم بس

مضى أسبوعا ثم أسبوعان ومهدا لاتزال تقيم معه بالمنزل وبسرعة شديدة إستطاعت لأن تأتلف على منزله بكل ماهو فيه حتى بدأت لأن تضع عليه لمساتها الأنثوية ،وأصبح إبراهيم يعود إلى المنزل كل يوم بعد أن كان يغيب عنه أسبوعا أو أسبوعان وذلك بفضل تلك الفراشة الصغيرة التى استطاعت غريزتها الأنثوية لأن تشعره بأنه بالفعل يوجد أنثى ناضجة كاملة الأنوثة بالمنزل.

لقد كان إبراهيم فى تعامله حنان ورقة ..كان يشعرها بأنه أبا تجمعت به جميع آيات الحنان والعطف التى حرمت منها مبكرا ولقد كانت هى أيضا تشعر بشئ يدب له فى قلبها كلما رأته أو لمحت طلته ..لقد كان يحرص دائما على أن يطرد من ذهنها أى أفكار تتطرق إلى إغتصاب أو شهوة أو هتك عرض مما ساعدها فى الإرتياح إليه وإلى حياتها معه ..لقد استطاع إبراهيم أن يزيل ذلك الخوف الذى كانت تتوجسه حتى تلك الأفكار السيئة التى تأتى لأى فتاة فى مثل عمرها تجاه أى رجل غريب..لقد قضى عليها..

لقد أصبحت تتعامل معه على إنه شخص تعرفه منذ زمن وذلك نسبة إلى عطفه وكرمه .. حيث كان يعود فى بعض الأيام مهدياً إليها بيجامة نوم أو

فستانا بلون الكشمير الذى تحبه وتفضله أو سلسلة فضة تجمل عنقها أو حلوى الشكولا التى كانت تهواها كثيرا ..لقد كان يأخذ بكل هذه الأشياء جزءا من قلبها ..لقد كان يتسلل إلى قلبها عبر كل شئ هى تحبه ..حتى أصبحت كلما رأته يخفق قلبها إليه بقوة . ولم تعلم كنه ذلك الشعور غير أنه شعور يأتيها كلما رأته.

-مهدا..تعالى..شوفتى جبتلك إيه النهاردة؟؟

قال ذلك إبراهيم فور دخوله إلى المنزل فركضت إليه والبرائة تقطر من أحداقها قائلة..

-جبتلى إيه؟

فانتزع علبة صغيرة حمراء من جيبه ثم فتحها قائلا..

-ها إيه رأيك؟

فوجدت خاتما تصميمه فى غاية الرقة ..فنظرت إليه بامتنان ثم التقطته من العلبة لتضعه بإصبعها قائلة..

-الله...جميل أوى ..دا دهب صح؟ ..متشكرة جدا

ثم وقفت على أطراف قدميها لتصل إلى أعلى قامته الطويلة وتطبع قبلة صغيرة على خده فلمحت تغيرا واضحا فى ملامحه ..فأغمضت إبتسامتها وشعرت بأنها فعلت شيئا كان لابد لها لأن لا تفعله فشعرت بالحرج الشديد ثم قالت معتذرة..

-أنا أسفة..بس الهدية كانت حلوة أوى ومن الفرحة ماحستش بنفسى

فانفرجت إبتسامته إعجابا ببرائتها وتلقائيتها ثم قال...

-لا لا ولا يهمك ..خدى راحتك

ثم تركها وخلع الكرافات ونزع سترت بدلته وألقى بهما على الأريكة ثم قال..

-ها..عملالنا أكل إيه النهاردة؟؟

فعادت مهدا إلى فرحتها ثم قالت..

-عاملة النهاردة بامية

فنظر إليها إبراهيم باستغراب ثم قال..

-ياه بامية..من زماان ماكلتهاش ..ماكنتش أعرف أنك بتعرفى تعملى الحجات دى

-لا بعرف ..مرات بابا كانت بتخلينى أعمل كل حاجة وماكانتش بتعمل معايا حاجة خالص

-إخص عليها...بس كويس اهى علمتك حاجة تنفعك

-داهية تاخدها وتاخد سيرتها ..أنا بكرهها أوى

-يااااه للدرجادى؟؟

-أيوة ..دى اتفقت عليا هى وعمى علشان يجوزونى وياخدو الشقة

وضع إبراهيم يده على ثغرها الحزين ثم قال بإشفاق

-معلش.. ماتزعليش ربك كبير

ثم أردف مبتسما

-ها مش هناكل البامية ولا إيه ؟

هنالك طرق الباب بقوة أفزعت مهدا وجعلها تختبئ خلفه ..فتقدم إبراهيم تجاه الباب ليعرف ماهية ذلك الطارق المزعج ..فوجد..

****

الفصل الثالث

"السم فى العسل"

هنالك طرق الباب بقوة أفزعت مهدا وجعلها تختبئ خلفه ..فتقدم إبراهيم تجاه الباب ليعرف ماهية ذلك الطارق المزعج ..فوجدها تهانى ..تقف تهز برجليها ويشع من عينيها شرار الغضب ..فسألها بااستغراب

-إيه ياامدام تهانى فى إيه؟؟

فزفرت بضيق ثم قالت بحدة

-عايزاااك

فنظر إبراهيم إلى مهدا ثم قال..

-طيب يامهدا ..ثوانى بس هشوف مدام تهانى عايزة إيه وجاى تانى

لخرج ثم أغلق الباب خلفه ثم خلد إلى شقة جارته تهانى ليعلم ماذا يكون ذلك الشئ الذى استدعته فيه وحينما أغلق عليهما الباب..

-أنا عاوزة أعرف دلوقت ..إنت ناوى على إيه مع البت دى؟؟

قالت ذلك تهانى بمجرد دخولها إلى الشقة ..فرد إبراهيم قائلا..

-ناوى على إيه ياتهانى دى عيلة صغيرة ..إنتى مخك جراله إيه؟؟

فنهرته قائلة..

-نعم ياخويا؟؟ عيلة صغيرة؟؟ يعنى ماينفعش تتجوز وتخلف؟

-فى نظرى ماينفعش

-لكن فى نظر الناس ينفع ..إسمع اما أقولك..أنا واحدة ماليش إلا سمعتى وانا مش هستحمل حد يلسن عليا كل شوية ويقول إنى مسكنة عندى راجل عازب مع بنت صغيرة لمجرد إنها أخت مراته ..أنا بقيت مقلسة الحارة وكل من هب ودب يلقح عليا.إنت لازم تشوفلك حل

-طب أعمل إيه بس البنت مالهاش غيرى

-خلاص هاتها عندى واهى تخدمنى وتشوفلى طلبات البيت

-بتقولى إيه بس ياتهانى أنا جايبها تشتغل خدامة؟ دى بنت ناس بردو وبعدين إفرض جاتلك وشافتنا مع بعض هيكون إيه الحل؟

-مااعرفش إتصرف شوفلك حل.

وبعد ثوان من التفكير..

-طيب أنا عندى حل

-حل إيه دة؟؟

-هتجوزها

تغيرت ملامح تهانى لتصبح أكثر تجعيدا واستغرابا ثم بعد وهيلات من الصدمة تفوهت قائلة..

-إيه ..تتجوزها؟؟

-أيوة هو دة الحل

-أيوة قول كدة بقى..البت دخلت مزاجك..أة ياامیا من تحت تبن

-مزاج إيه بس..دى عيلة ١٧ سنة ..إنتى بتفكرى إزاى..دنا لسه قايلك ماتنفعش للجواز

-أنا مابفكرش ..دا معناة كلامك يا أستاذ ياللى بتغيب بالأسبوع واللتنين مابنعرفش بتروح فيهم فين

إقترب إبراهيم نحو تهانى ثم احتوى وجهها بكفيه قائلا..

-إنتى تفتكرى إن ممكن حد غيرك يملى عينى ؟

فأشاحت بيده بعيدا ثم استدارت قائلة..

-أوعى كدة ..إنت صنف نمرود مايملاش عنيك إلا التراب

كانت تهانى ترتدى كنزة زرقاء تغطى صدرها بأكمله ثم تكشف جزءا لا يستهان به من ظهرها فمرر إبراهيم إصبعيه برقة شديدة على الجزء المكشوف منه وطبع قبلة خفيفة إلى جانب عنقها ثم اتجه إلى إذنيها ليقول

هامسا..

-أنا مايدخلش مزاجى غيرك..

فهنا حيث الضعف وهنا يتسلل الرجل بداخل أى أنثى قد مهدت له طريقا مختصرا ليزنى أو ليقتل أو ليتلاعب بمشاعرها وحسيساسيتها حيثما يريد وحيثما يشاء تحت مسمى الحب.. فيتملك مشاعرها ..ثم يبدأ بعد ذلك إلى أن يلجمها بأساليبه الباردة وتحكماته وطباعه المتعجرفة ثم يذهب ذلك الملاك الذى أحبته وعشقت كل مافيه ربما إلى الجحيم أو ربما إلى ضحية أخرى ..ثم تعود لتقول..لم أعد أستطيع الإستغناء عنه..أنا أدمنه..أشعر بالضعف أمامه،،وتبكى ثم تبكى بل قد يضيع أكثرهن عمره بالبكاء والندم ..لذلك فلتتذكر كل أنثى أنها هى من تمهد الطريق للرجل بأن يدهس أنوثتها وجميع مشاعرها..

فيحل الشيطان فى أعين الهواة المعصية والإجرام لتصبح شيئا مباحا من حق الجميع لأن يفعله ثم يندرج كل ذلك تحت عنوانا جاحظا يسمى الحب

فأين ذلك الحب الذى تتحدثون عنه؟

أين الحب فى قبلات مسروقة رخيصة لا ثمن لها

أين الحب فى أحضان بخس بها صاحبها لتصبح فقط مجرد نزوة وليدة وقتها

أين الحب فى زناة عراة ..يرتكبون جريمتهم ثم يقولون أحبك..أين الحب أخبرونى..أين الحب فى الزنا؟ أين الحب فى المعصية ؟!

إنه لأسمى من أن تذكروه ولو مجرد ذكر على ألسنتكم ..فلا تلوموا الشيطان على جرائمكم ..إنه أنتم من حرضتوه على أن يحليها بأعينكم ..إنكم معشر البشر ..المسؤلون مسؤلية كاملة ..عن كل بعد بعدتموه عن الله وعن كل معصية أحلها لكم الشيطان لتصبحون ضعاف الهوى.

-ها قولتى إيه؟؟

فاستدارت إليه ثم قالت..

-وانت لازمك رأيي فإيه مانت خلاص خدت القرار

مرر إبراهيم بأصابعه على ثغرها برقة ثم قال..

-إنتى بردو لسه مفكراها هتاخدنى منك؟؟طب مانا عرضت عليكى نتجوز قبل كدة وانتى رفضتى بسبب المعاش ولا مش حصل؟؟ أفتكر إنى من حقى أتجوز بردو

ضمت تهانى إليها ساعديها ثم ولته ظهرها لتقول بنبرة حزينة

-أيوة طبعا من حقك..روح إتجوز ياابراهيم وانسانى

فأمسك بساعديها ليفك عقدتهما ويديرها إليه قائلا..

-لا طبعا ماأقدرش انساكى..يا حبيتى داا هيكون جواز صورى بس ...علشان نسكت الناس ..إنما اللى بنا هيفضل بنا مهما حصل واهو بردو علشان ماحدش يشك فى علاقتنا ولا إيه؟؟

خطت تهانى عدة خطوات إلى الأريكة ثم جلست ووضعت رجلا فوق أخرى وسكتت لوهيلات من التفكير ثم قالت..

-إنت بتقول إنها ماكملتش ١٧ سنة يعنى لسه قاصر..إزاى هتتجوزها؟

فجلس قبالها ثم قال

-عادى هنعمل زى أغلب الناس مابتعمل..المأذون هيكتب الكتاب ويحصل إشهار وكل حاجة لكن عقد الجواز مش هيتسجل إلا بعد البنت ماتتم السن القانونى..

-بس دا يبقى إسمه جواز عرفى

-أيوة هو فعلا عرفى بس حلال ومعترف بيه بين الناس لإن فيه إشهار ومأذون شرعى اللى كاتب الكتاب وكل الناس هتكون عارفة ..الفرق هو تسجيل العقد بس فى المحكمة ودة هيتم بعد ماتبلغ السن القانونى ..كتير من الناس بيجوزو بناتهم كدة ..دا غير خالص الجواز العرفى اللى مافيهوش إشهار ولا مأذون ولا شهود ورقة كدة بيكتبوها هما اللتنين وبيمضو عليها

-طيب سؤال..هو الجواز العرفى الحلال دة بيضمن حق الست وجميع حقوقها؟؟

-الجواز دة أة حلال وبيكون فيه إشهار وشهود وكل حاجة اللى بيفرق بس تسجيل العقد..

بالنسبة للحقوق ..القانون مابيعترفش بيه..يعنى الست مثلا لو اتجوزت

واتطلقت قبل ماتبلغ السن القانونى بتعتبر قدام القانون مالهاش حق ولا تقدر ترفع قضية عليه تطالب فيها بحقها ..لإن القانون والمحكمة بيتعامل بالأدلة والأوراق وكون المأذون لسه ماسجلش عقد الزواج فى المحكمة بيبقى تعتبر جوازة مالهاش ورق ومفيش اى إثبات على إنها متجوزا فعلا فبيضيع حقها وبيدنها كمان..

ووممكن مثلا واحدة تتجوز وهى قاصر ويموت عنها جوزها قبل ماتبلغ السن وتكون حامل وماتعرفش تثبت الى فبطنها بإسمه بسهولة..حليلى بقى لحد مايثبتوه ..فالجواز دة حلال قصاد ربنا..لكن فى نظر القانون مش معترف بيه وبيضيع حقوق ناس كتير..

-اااة ..داانت طلعت مش سهل

جلس إبراهيم إلى جانبها وأمسك بيدها وقبلها ثم قال

-لازم ياحبيتى أكون مش سهل..هاااا قولتى إيه ؟ ؟

____

-يامهدا...يامهداااا

قال ذلك إبراهيم فور دخوله إلى المنزل

فصاحت قائلة..

-أيوة..أنا هنا فى المطبخ

فذهب إليها ثم قال..

-تعالى برا..عاوزك فى موضوع مهم.

فأتت إليه تاركة الطعام الذى كانت تعده.. فأشار إليها لتجلس بجانبه على الأريكة ثم أخذ يفكر بضع ثوان من أين يبدأ حديثه حتى أخيرا وانته فكرة ليبدأ بها..

-مهدا..إنتى إيه رأيك فيا؟؟

-مش فاهمة...رأيي فيك إزاى؟

-يعنى كشخصية ...كشخص..كحد مثلا بترتاحيله ولالاء؟

-إمم ..بصراحة يعنى ..أنا برتاحلك جدا ..بتفكرنى بحنية بابا الله يرحمه

-الله يرحمه ..طيب هو كان فى موضوع كدة كنت عاوزة أفاتحك فيه

-خير ..إتفضل

-هو طبعا إنتى عارفة إن ماينفعش خالص بنت أمورة زيك تسكن مع شاب عازب فى بيت واحد مهما كان سنه يعنى ..الناس مابتسبش حد لحاله ودماغهم دايما بتحدف بعيد وبصراحة مدام تهانى كانت بتكلمنى فى الموضوع دة من شوية..

فاحتل الحزن ملامحها ثم قالت بلهجة حزينة..

-أنا عارفة إنى جبتلك الكلام ..أسفة بجد أنا همشى

نهضت عن مقعدها فأعادها لتجلس مرة أخرى ثم قال..

-أنا مابقولكيش كدة علشان تمشى ..دا أولا

ثانيا..إسمعى كلامى للأخر بعدين ردى

-طيب..إتفضل

-أنا هتجوزك

فبرقت إليه بعينيها ثم رمشت عدة رمشات لتتأكد بأنها لا تحلم وأن مايقوله إبراهيم هو حقيقة ماتسمعه ثم بعد أن تداركت قوله..حركت شفتيها ببطئ لتقول..

-تت...تت...تتجوزنى؟؟

-أيوة يامهدا ..قولتى إيه؟

-بس..بس انا إتكتب كتابي قبل ماهرب من الفرح

-أيوة عارف..بس طالما ماكنتيش موافقة وكان غصب عنك وماحصلش دخلة يبقى أكيد باطل وكمان مش معترف بيه فى نظر القانون وعمرهم ماهيفكرو يبلغو البوليس لإنهم لو بلغو ممكن يتحاكمو بتهمة زواج قاصر لسه مابلغتش السن القانونى

-أمال إنت هتتجوزنى إزاى؟

-بنفس الطريقة بردو ولما تبلغى السن القانونى هنسجل العقد أو لو ماحبتيش وحبيتى يفضل صورى قصاد الناس بس كدة براحتك ..المهم فى النهاية الكل هيكون عارف إنى اتجوزتك وهيحصل إشهار

-إزااااى..دا المأذون كتب الكتاب فعلا و....

فقاطعها إبراهيم ممسكا بيدها قائلا..

-مهدا..اللى حصل حصل..خلينا نفكر فى اللى جاى..هو دة الحل الوحيد الى قدامنا دلوقت..ها قولتى إيه موافقة ولالاء؟؟

****

الفصل الرابع

"الزوج الثانى"

تهافتت صوت الزغاريد وصخبت الأغانى فى حفل زفافها العاشر ..فخرجت عن ذكرياتها ثم أتت إليها صديقتها غزالة لتقول..

-مبرووووك ياعروسة

فأجابتها بسهود

-الله يبارك فيكى ياغزالة عقبالك

-الله يخليكى..أمال العريس إتأخر ليه

-معرفش والله ياغزالة ..أنا خايفة ليكون حصله حاجة كمان برن عليه مابيردش

-إن شاء الله خير..أسيبك أنا بقى علشان استقبل المعازيم واعمل الواجب معاهم

-ربنا يخليكى ليا يارب ياغزالة ..أنا لو ليا أخت ماكنتش هتعمل معايا كدة

-إنتى طيبة يامهدا وتستاهلى كل خير..

ذهبت غزالة لإستقبال الضيوف بينما عادت مهدا إلى عالم الزكرياااات من جديد ..فنظرت إلى الفراغ ثم عادت لتتذكر..

كيف تمت مراسم زفافها على إبراهيم وأتى بعض المدعوين إلى حفل الزفاف

البسيط الذى كان يقيمه بمنزله المتواضع وبالطبع لم يأتى أغلب المعازيم لأمورا شخصية قد تكون خاصة بهم ..فخرجت إليهم العروس وهى بأبهى زينتها ثم جلست على كرسى العرس المحاط بالأنوار والزينة وصخبت الأغانى والزغاريد من نساء تقيم معهم بنفس المبنى حتى إنتهى الحفل بسلام وقد آن الآوان إلى أن يغادر الجميع ويختلى العروسان ببعضهما.

-تعرفى الفستان دة أحلى عليكى كتير من اللى فات؟؟

قال ذلك براهيم بعد أن ذهب المعازيم واختلا ببعضهما فأجابته بخجل..

-ام..متشكرة جدا

-متشكرة على إيه؟؟ دى حقيقة

-علشان انت الى جايبه بس

كان يقف على شفا خطوتين منها فاقترب إليها ثم أمسك بذقنها ليرفع وجهها إليه قائلا...

-أحلى عروسة صغيرة شفتها فحياتى

مما زادها خجلا فردت بإستحياء...

-ربنا يخليك ..إنت أحلى

لقد كانت ترى بإبراهيم شيئا كبيرا يتعلق بحنان أبيها مما لا يمنع بأنها قد بدأت منذ فترة ..لأن ترى به ذلك الفارس الذى تحلم به كل فتاة وذلك المغوار

المحارب الذى سيستطيع أن يحارب العالم بأُكمله من أجل عينيها فلقد وجدت به حلمها الباقى ومائها الهديل الذى سترتوى به حينما تشعر بالظمأ ..لقد شعرت نحوه بشئ كبير من الحب ...شيئا كبيرا كان يجرها لأن تطيع جميع أوامره وجميع مايريد ..فلقد ودت كثيرا لو تحتوى عنقه وتتشبث بها مثل الطفل،،ولقد ودت كثيرا لأن تحتل تلك المساحة فى صدره وتحتضنه بكل قوتها لتختبئ بداخله من هذا العالم الظالم ..لقد أرادت بكل مافيها لأن تعيش معه تلك الحياة الزوجية بكل حزافيرها ..فهى لم تعد طفلة..إنها أنثى..مهما بلغت من العمر فهى أنثى.

ترك إبراهيم مهدا لتبدل ملابسها فى غرفة نومها بينما هو كان يسلتقى على الأريكة يقلب قنوات التلفاز بفتور شديد ..فإذا نظرت فى وجهه ..قد تراه رجلا فى أيامه العادية ..بارد المشاعر ..لا حسيس له ولاتغيبير.

إرتدت مهدا منامة قطنية طفولية قد أعطتها إليها تهانى من أجل تلك الليلة ...إمرأة ذكية ...ملعونة..لقد أرادت بإعطائها تلك المنامة ..أن تظل مهدا أمامه مجرد طفلة...لاتحرك به قدر أنملة ولقد فلحت خطتها!!

ولكن لم يكن ذلك السر الوحيد فى....

دعونا نكمل بعد أن ارتدت مهدا منامتها القطنية ..خرجت إليه

فنظر إليها بفتور شديد ثم أعاد وجهه إلى التلفاز.. فشعرت بتجاهله..

وجلست إلى جواره لتقول..

-إبراهيم..

فنظر إليها نظرة عابرة ثم قال..

-نعم

-بصلى كدة وسيب التلفزيون شوية

فاستدار بوجهه إليها ثم قال..

-اهه ياستى معاكى

-عاوزة أسألك سؤال

-إتفضلى إسألى؟

-هو انا وحشة؟؟

-بالعكس..داانتى عروسة زى القمر

-بجد؟؟

-أيوة بجد..ويلا بقى قومى نامى علشان سهرتى كتير النهاردة

لقد كانت مثل أى أنثى تريد أن تستشعر فيه أنوثتها ولكنه لم يعطها مجالا لذلك ..خاصة بعد أن خاب أمالها فى أول ليلة من زواجها..فشعرت بالنقص الشديد تجاه أنوثتها ..وشعرت بأنها أنثى غير مؤثرة وكأنها مجرد قطعة أثاث لا حياة فيها تجلس بجانبه..

.فهل يكون شعورها نحوه هو مجرد شعور فتاة تحتاج إلى عاطفة الأب ليس أكثر؟ لالا ..ليس كذلك فما يرسمه خيالها لها عما قد يكون بينها وبين إبراهيم

لم يرسمه خيالها وهى مع أبيها ..إن ماتتخيله مع إبراهيم شيئا أخر..فأحيانا تتخيله يقبلها وأحيانا تتخيله يضمها إليه وتعيش لحظاات فى هذا الخيال على أمل ان يتحقق.

نهضت مهدا آسفة من جانبه وذهبت إلى غرفة نومها ثم استلقت على الفراش وأخذت تفكر بأنه قد أخبرها قبلا بأن زواجها منه سيصبح مجرد زواج صورى ...ثم أتى تفكيرها إلى أن ذلك الإتفاق كان من الممكن أن يمحى فقط حينما يخرج الرجل عن طوره فور أن يختلى بإمرأة جميلة.. كاملة الأنوثة ولقد توقعت لأن ينقض من أجل عينيها ذلك الإتفاق بل واستعدت إلى ذلك النقض حينما بدأت لأن تنسج له خيالا مرمريا وهو يحملها إلى فراش الزوجية السعيد كما يفعلون بالأفلام والمسلسلات ثم ينطفئ نور الغرفة وتبدأ ليلتهما سويا مشاركين ذلك الفراش الذى تستلقى عليه ولكنه خالف جميع توقعاتها..

لقد إلتزم بالإتفاق!!

لقد اكتفى بأن يصبح زواجهما مجرد حبر على ورق..

وأما عن مشاعرها وعن ماهية شعورها نحوه فليذهب كل ذلك إلى الجحيم فكم ودت لأن يصبح ذلك الزواج حقيقا وليس كما قبله ..ولقد رأت بأنه سيصبح حقيقيا فور أن يشاركها إبراهيم فراش الزوجية السعيد..لا..لا لكنها..لن تستسلم..

إنه لابد لايزال يراها طفلة

فرنت الفكرة فى عقلها ..وأقسمت بأنها ستفعل المستحيل حتى يراها أنثى تامة الأنوثة وليست مجرد طفلة.

\------

شقشق الصباح فاستيقظت على صوت زقزقة العصافير التى كانت تنبعث من النافذة فنهضت عن الفراش بتكاسل ثم ذهبت إلى إبراهيم الذى وجدته لا يزال مستلقيا على الأريكة غائطا فى نوم عميق ..فاقتربت منه ثم جثت على ركبتيها ثم نظرت إلى وجهه بكل حب ومررت يدها بين شعيرات رأسه التى كانت بين بين لا هى ملساء ولا خشنة وتتموج على رأسه تموجا طبيعيا فقام إبراهيم بفتح عينيه رويدا رويدا حتى ظن بأنه يحلم إلى أن فتح عينيه تماما فرأى مهدا وهى تبتسم مهدهدة على شعره فنهض سريعا وكأنه لدغ بحية ثم قال محاولا تجاهل الأمر..

-هى الساعة كام دلوقتى

فأجابته ولايزال الإستغراب يعلق بوجهها

-الساعة لسه ٧ ونص

-اة..يدووبك ..اغير هدومى واروح الشغل

فنهضت عن جثيانها ثم قالت بدهشة..

-الشغل؟!

-أيوة ..عاوزة حاجة أجبهالك من برا؟

قال ذلك وهو فى إتجاهه إلى الحمام فردت قائلة

-لاء..بس هو مش المفروض إن النهاردة صباحية جوازنا؟

رفع إبراهيم بكلتا حاجبيه آتيا إليها بعد أن ارتدى قميصه الأنيق وسروال بدلته ثم قال

-جوازنا ؟

ثم قام بالضحك بصوت عال وهو يعقد ربطة عنقه فشعرت بمدى إستخفافه بزواجهما مما جعلها تقول متذمرة..

-طيب أنا عاوزة أخرج

فنظر إليها باإستغراب ثم قال

-تخرجى؟؟ تخرجى فين؟

فضمت إليها ساعديها ثم قالت

-عاوزة أشترى شوية هدوم ليا لو ماعندكش مانع ..أعتقد إنى دلوقتى بقيت مراتك وليا حق أطلب منك فلوس

فااندهشت من جرئتها الغير معتادة ثم مد يده بسترة بدلته وأخرج محفظته ليخرج منها النقود ثم يمدها إليه قائلا..

-إتفضلى اهه ياستى ..بس هتعرفى تنزلى لوحدك ولاتستنينى أما أجى من الشغل ؟

فقالت بعناد طفلة..

-لا والله أنا مش صغيرة ومش عيلة هتوه يعنى

لمح إبراهيم تغيرا واضحا فى أسلوب تلك الشقية الصغيرة فقال لها وهو يتناول سترة بدلته ليرتديها..

-عامة براحتك..بس ماتتأخريش

-ماشى حاضر..

غادر إبراهيم المنزل ومن ثم غادرت مهدا هى الأخرى وذهبت إلى أحد محلات الملابس واشترت بعضا من المنامات الحريرية ،وأكثر ثيابا قد تلائم وتجسد شكل جسدها الضئيل فهى من ذوى الوزن المثالى لذلك كانت تبحث دائما عن كل مايجسد خصرها ويظهر أرجلها الناعمة الخمرية..ثم عادت إلى المنزل وحينما أوشكت على فتح الباب ظهرت لها تهانى وهى تخرج من شقتها ...فنظرت إليها بتأمل ..ثم قالت..

-العروسة صاحية وخرجت بدرى كدة راحت فين؟

فردت ردا سريعا

بأنها قد ذهبت لشراء بعض المفارش للغرف ثم خلدت إلى الشقة بعد أن قالت لها تهانى...

-صباحية مباركة

......

أخذت مهدا ماشترته من منامات حريرية وأحذية ذو كعب عال وملابس

بيتية قصيرة ثم وضعتهم على الفراش وأخذت ترتدى كل واحدة منهم تلو الآخر حتى استقرت على منامة حريرية تصل إلى فخذيها معلقة بحاملان رفيعان من كتفيها ..شفافة قليلا ..تناهز اللون الزهرى الفاتح وقد أصرت على أن تبقى بها حتى يراها إبراهيم وليعلن إنسحابه وتأثره بأنوثتها...ثم بعد قليل..

-يامهداا..إنتى فين..أنا جعان جدا..حضريلى الغدا لو سمحتى

قال ذلك إبراهيم فور دخوله إلى المنزل فأجابته من وهى أمام المرآة تتحسس منامتها التى تشعر بها وكأنها فراشة تطير فوق حقول الورد..وشعرها القصير الذى عقصته ولفته حتى يظهر جمال جسدها..

-حاضر ياا إبراهيم ..أنا جااية اهه

خلدت مهدا إلى المطبخ ثم حملت بعض أوانى الطعام ثم أتت بها إلى الطاولة ليصطدم إبراهيم برؤيته لها بتلك المنامة..فتنبه ثم تنبه قويا بأن تلك التى يراها أمامه الآن هى مهدا!!

مهدا طفلة السابعة عشر عام!!

فهل يراها الآن طفلة؟

فكيف إذن لطفلة لأن تختطف أنظاره بهذا الشكل

كيف وهو منذ رؤيته إليها وهو فارغا فاه..متطلعا إلى ذلك الشئ الشفاف وتلك الأجزاء التى تظهر من منامتها ..وبدأت مهدا لأن تبتسم بينها وبين

نفسها كلما لمحته بطرف عينها وهو يبدو عليه تأثره بجمالها ..وبدأت تتعمد بأن تنثنى قليلا فى مشيتها عندما كانت تمر من امامه
ثم بدأت لأن تبتسم له و تتباطئ فى مشيتها كلما أحضرت شئ من المطبخ..وفى صدرها شعور خبيث جارف لا تدرى ماكنهه.. شعور فيه خوف وفيه لذة وفيه رهبة وتردد ..وكلما كانت تلمح تركيز عينيه وتطلعه إليها ..كان يزداد ذلك الشعور ودقات قلبها تتسارع ..حتى شعر إبراهيم بالعرق وهو يتصبب على جبينه فنهض عن مقعده محاولا الذهاب إلى الفريسة..إلا أن أنقذه صوت رنين الهاتف ..فخرج من المنزل مسرعا ثم قصف الباب خلفه ليرد على الهاتف بعد أن ابتعد عن المبنى بأُكمله قائلا..
-أيوة ياايوسف بيه ..الطلب استوى أوى وأنا ماسك نفسى بالعافية ..لاابعتهولك لتيجى تاخده واتطمن كل حاجة زى مااتفقنا ..لسه بالسلوفانة

****

الفصل الخامس

"ضالة الحب"

-أيوة ياايوسف بيه ..الطلب استوى أوى وأنا ماسك نفسى بالعافية ..لاابعتهولك لتيجى تاخده واتطمن كل حاجة زى مااتفقنا ..لسه بالسلوفانة

فيرد عليه يوسف من الطرف الآخر..

-لا ياابراهيم ...أجل الطلب شوية واهو كله بتمنه

-أيوة ياايوسف بيه بس كدة الطلب هيغلى

-مش مشكلة..وقت مااقولك هاته ..تجيلى بيه

-ماشى..زى ماتحب..مع السلامة

إنتهى إبراهيم من مكالمته الهاتفية وتمشى قليلا ثم عاد إلى المنزل ليجد مهدا تجهش بالبكاء..فجرى إليها قائلا..

-مهدا مالك...بتعيطى ليه؟

فنظرت إليه بأعين دامعة ثم قالت بصوت باكى..

-علشان بتكرهنى

-إيه أكرهك؟ إيه الكلام دة؟

فنهضت عن مقعدها ثم قالت

-أيوة..تصرفاتك بتقول كدة

-لالا بالعكس ..إنتى بنوتة رقيقة وجميلة هكرهك ليه؟

فمسحت دمعتها التى أوشكت على أن تجرى إلى فمها ثم قالت..

-بجد؟ أنا جميلة؟

فااقترب إليها ثم رفع وجهها بين يديه ليقول..

-جدا

فاابتلعت ريقها ثم كفت عن استرسال الدموع التى كانت تجرى على خديها وقالت..

-وطالما أنا جميلة ليه بتبعد عنى؟

فولى ظهره قائلا..

-أنا ما ببعدش..أنا بحاول أحافظ عليكى

-من إيه؟

-من كل حاجة حتى من نفسى

فمدت يديها بتردد وبطء شديد لتحتوى خصره من الخلف فتجمدت حركته إلى أن قالت..

-أنا دلوقتى مابقاليش حد غيرك

فسهد إبراهيم للحظات ثم قال متأثرا بكلمات تلك الصغيرة

-علشان كدة بحاول احميكى

ثم نزع يديها التى كانت تحتوى خصره بلطف شديد واستدار إلى وجهها قائلا..

-مش تنامى بقى وكفايا سهر لحد كدة؟

فجرت الدماء فى عروقها واحتقن وجهها بالغضب وما أحست بنفسها إلا وهى تصرخ فى وجهه قائلة..

-روحى نامى..روحى نامى ..انا مش عيلة صغيرة...

انا عندى ١٧ سنة ..ليه بتحسسنى دايما إنى طفلة عندها ١٠ سنين؟

فضحك ضحكة صغيرة بينه وبين نفسه ثم قال بتملق..

-علشان إنتى لسه طفلة

فرمت بنفسها على أحد المقاعد ثم ضمت إليها ساعديها مثل الطفل الغاضب مما أثر إندفاعها على المقعد ..على منامتها الحريرية وجعلتها ترتفع إلى أعلى فخذيها فتنبه إبراهيم إلى ذلك اللؤلؤ الذى كان يضوء بين اللون الزهرى الفاتح وحينما أحس بتأثره كشح وجهه إلى الفراغ الذى كان بجانبها ثم قال بصوت منخفض..

-يلا يامهدا علشان تنامى

فاأذدات الصغيرة فى عنادها ثم قالت..

-مش نايمة

فنظر إليها إبراهيم بنفاذ صبر ثم قال.

-طيب..خليكى صاحية..أنا هنام ..تصبحى على خير

خلع إبراهيم سترته ثم استلقى على الأريكة دون أن يبدل ملابسه ..فازدادت موجة غضبها مما جعلها تذهب إليه ثم تقول..

-بص أنا هروح أغير هدومى وامشى واريحك منى

ثم اتخذت سبيلها إلى غرفتها لتبديل ملابسها فنهض إبراهيم عن رقدته ليمنعها وحينما دخل إليها بالغرفة ووجدها تبحث فى خزانتها بين ملابسها القليلة التى اشترتها مؤخرا عن ثوبا مناسبا للخروج ..أخذ يتأمل غضبها وزمجرتها قليلا ثم حدثها قائلا..

-بتعملى إيه بس يامجنونة؟؟

فقالت وهى لا تزال تبحث بالخزانة

-مابعملش..همشى واريحك منى ..أنا لايمكن أقعد هنا تانى

فأمسك ذراعها بأريحية وجذبها إليه قائلا..

-ومين قالك إنك تعبانى بس؟؟

فنفضت يده عنها ثم قالت..

-تصرفاتك بتقول كدة..أنا بردو عندى دم

-طيب بس ..واستهدى بالله كدة ..أنا مش فاهم إنتى متعصبة أوى كدة ليه؟

فقالت ثائرة..

-بقى مش عارف ليه؟؟

كان إبراهيم يعرف جيدا ماترمى إليه ،ولقد كان يعلم جيدا ماتريده من حنان قد حرمت منه منذ طفولتها ومن أحاسيس أنثوية تراودها نحو رجل تعلق به قلبها وأصبح هو لها كل ماتبقى ،، وكم تريد لأن تقضى الباقية من حياتها معه ليصبح هو سندها ومصدر حمايتها ولكن أكثر ما كان يثير غضبها وغضب أى أنثى هو الشعور بتلك المشاعر الباردة من حبها الوحيد ومعلق قلبها تجاه مشاعرها الملتهبة نحوه ..إنه لعار جدا على جمالها وجميع لغات أنوثتها..

فكيف تشعر المرأة بجمالها مالم يكن هناك من يؤثر به ويستميت من أجل الوصول إليها

وكيف تشعر المرأة بجمالها ..مالم يكن هناك من يشعرها بأنها أجمل إمرأة على وجه الأرض .. ويسبح الله كلما شاهدها

إن الجمال متعلق قويا بشاهده

فما نفع الجمال مالم يوجد هناك شاهدا له يشهده!!

لقد أحس بكل نفس يتهدج منها و بكل مايمر بجميع عواطفها ..لقد أحس بمشاعرها التى تنضج يوما بعد آخر وساعة بعد أخرى ولقد علم جيدا أن الصغيرة قد بدأت بالنضج خاصة حينما رآها بتلك المنامة الحريرية القصيرة ..فبالتأكيد ليس هناك طفلة تتكبد العناء لإرتداء مثل تلك الملابس من أجل

قطعة حلوى أو من أجل دمية ..وإنما ذلك ما هو إلا دفعا من تلك المشاعر الأنثوية التى تلاحقها وتلحق بجميع كيانها..إن الصغيرة بالفعل تنضج.

-لا مش عارف

قال ذلك متجاهلا ماترمى إليه مما أثار غضبها وجعلها لتقول والغيظ يقطر من أحداقها

-طيب إتفضل إطلع برا علشان أغير هدومى

-ليه هتروحى فين؟

-رايحة فى ستين داهية مالكش دعوة

فضحك بينه وبين نفسه إعجابا بتمردها ثم قال..

-طيب مش هتقوليلى الداهية دى فين قبل ماتروحى علشان أبقى اجى اتطمن عليكى؟؟

فبرقت إليه بعينيها ثم قالت وقد احتقن وجهها بالدماء

-يااا بااااارد ...إطلع برا

فأثار إستفزاها أكثر حينما قال..

-يعنى أوضتى وكمان بتطردينى منها؟؟

فقالت وقد أوشكت الدموع إلى أن تتجمع بعينيها..

-معاك حق..أنا هروح أغير هدومى فى الشارع

فأخذت ملابسها تلك التى أتت بها أول مرة إلى شقته ثم همت بخطواتها تجاه باب المنزل فاستوقفها إبراهيم فى الرواق مازحا..

-طيب قوليلى عنوان الداهية اللى رايحاها علشان أبقى ازورك

فأزاحته عن طريقها ثم فتحت الباب فجرى إليها ثم أمسك بذراعها قائلا...

-إيه دة يامجنونة إنتى هتنزلى كدة بجد؟

-أيوة..هغير هدومى فى الشارع أو على السلم ..طالما مش عاوز تخرج من الأوضة

فضحك ضحكة صغيرة ثم قال..

-طب ماكدا الناس كلها هتشوفك

-مش مهم..المهم إنت ماتشوفنيش

-بقى عاوزة الناس كلها تشوفك ..وجوزك مايشوفكيش؟؟

-جوزى؟؟ إحلف كدة؟

فضحك ضحكة عالية تلك المرة حينما فهم ماترمى إليه ثم قال

-طيب ادخلى..أدخلى ياامجنونة

فهم بغلق الباب إلى أن منعته ثم فتحته إلى آخره وهى تقول..

-أنا همشى يعنى همشى..لو سمحت سيب إيدى

-لا مش هسيب ..سيبى انتى الباب

فضربت برجليها على الأرض غيظا حتى بكت بصوت عال وهى تقول..

-سيب إيدى ..أنا مش هقعد معاك هنا تانى دقيقة واحدة

لقد شعرت بالإهانة ..شعرت بالإختناق من ذلك الشخص الذى يصر بكل قوته على أن يدمر مشاعرها ..لقد شعرت بالسخف الذى يتعمد إبراهيم إظهاره لها تجاه زواجها منه والتى شعرت بأنها بالنسبة إليه شيئا تافها ..عاديا ..يحدث كل يوم ..لقد شعرت بضعفها الشديد أمامه والتى لايستطيع فهمها سوى أنثى تحب مثلها.

-لاء مش هسيب..واعقلى كدة واقفلى الباب

فزفرت بضيق ثم قالت

-مش قافلة

فحملها بين يديه ..وفى تلك اللحظة خرجت تهانى من شقتها ورأته وهو يحملها زائغا برجليه الباب ولكنه لم يلحظ رؤيتها له.

دخل إبراهيم إلى غرفتها وهو يحملها بين يديه وهى تحاول التملص منه لتعود إلى الأرض حتى وضعها على الفراش قائلا بنفاذ صبر

-إنتى إتجننتى ولا إيه؟ إعقلى كدة

فنهضت عن الفراش ثم قالت..

-إنت عاوز منى إيه؟؟

فاقترب إليها ثم قال بغضب

-إنتى الى عاوزة إيه ومتعفرتة كدة ليه؟؟

فوولته ظهرها ثم عقدت ساعديها وهى تقول..

-مش عاوزة حاجة..عاوزة أمشى

فأدارها إلى وجهه قائلا..

-وتمشى ليه..أنا عملت حاجة ضايقتك؟؟

فنظرت إلى عينيه وبريق الوله والشوق يرتسم بين أحداقها مما يشرح تمردها وغضبها عليه ولكن من كثر حديث نفسها ونظراتها التى تشرح له كل شئ لم يستطيع فمها أن ينطق عما تريده ..إن ماتريد قوله يعكس تماما ما يريده كبريائها وكرامتها فصمتت للحظات ثم قالت..

-لاء ماضايقتنيش

ثم نظرت إلى الأرض فى حيرة من أمرها ..فرفع إبراهيم وجهها إليه ثم نظر إلى عينيها وسألها بحنان

-أمال فى إيه بس؟؟

إنها لن تستطيع ..لن تستطيع لأن تصمد أكثر من ذلك أمام عينيه ..لن تستطيع أن تراه ولا تضعف...لن تستطيع كبت حنينها وحبها إليه أكثر من ذلك ..لابد أن تنطق..لابد أن تثور لابد أن يشعر بها وبكل ماتود

قوله..فارتعشت شفتاها رعشات خفيفة حتى استطاعت تحريكها بأعجوبة لينطق لسانها ويقول..

-فى إنى بحبك

هنالك سكت كل شئ وماتبقى سوى صوت أنفاس تتهدج وتتلاحق واحدة تلو أخرى ..لم يكن يصدق إبراهيم ماقالته مهدا..إنها فى نظره لا تزال طفلة على أن تعرف بذلك الحب ....فرمقها بنظرة سريعة إلى جسدها وكأنه يتأكد بأنها ليست طفلة ..فهو لا يفضل هذا النوع من الأعمار ولكن غلب تفكيره نظراتها إليه وشدة قرب أنفاسها منه فانحنى كالمسحور إلى شفتيها ليقبلها وراح فى زمن غير الزمن ومكان غير المكان حتى لم يسمع صوت ذلك الباب الذى كان يدق بقوة ولم ينتبه إليه واحست مهدا بشفتيه وهما تطوفان بوجهها وفى تلك اللحظة رأت عيناه وهى تمناها وتطلبها
لقد إنتصرت فى تلك اللحظة ..لقد نالت ماتريده ..لقد انتصرت لأنوثتها التى أحست أنها بلا معنى مادام لايقربها..لا يراها ..أما الآن ..فلقد اعترف بقبلته بأنها أنثى حقيقية..تامة النضج وليست مجرد طفلة.

إنتبه إبراهيم أخيرا الغارق فىقبلاته إلى صوت الباب الذى كان يطرق فأعاد أدراجه ثم ذهب ليفتح الباب...ليرى...

الفصل السادس

"سحابة تغيير"

إنتبه إبراهيم أخيرا الغارق فى قبلاته إلى صوت دق الباب فأعاد أدراجه ثم ذهب ليفتح الباب...ليرى تهانى

وهى تضم إليها ساعديها ويتطاير من عينيها شرار الغضب ثم تقول..

-إيه عطلتك ولا حاجة؟؟

فنظر إليها باستغراب ثم قال..

-عطلتينى عن إيه؟

فأجابت بحدة..

-عن المسخوطة اللى عندك ..طلعت على صوتكو وشوفتك وانت شايلها..ياترى خيررر

ارتفع صوت تهانى فى تلك اللحظة إلى أن سمعتها مهدا مما أثار غيرتها فقررت الخروج إليها خاصة بتلك المنامة الحريرية التى كانت ترتديها ...وحينما وصلت إلى الباب مدت يدها لتحضن خصر إبراهيم ثم تقول بغنج

-فى إيه ياابراهيم

ثم نظرت إلى تهانى وكأنها تنبهت لوجودها توا ثم قالت بميوعة..

-إيه دة ..إذيك ياماما تهانى..فى حاجة ولا إيه؟؟

مرت تهانى بنظرة سريعة على ماترتديه مهدا ثم جرت الدماء بعروقها واكتظ الغيظ بها ثم قالت..

-ماما؟!

-أيوة طبعا حضرتك قد ماما ولازم احترمك

فثار الغضب وارتسم قويا على ملامح تهانى حتى قالت..

-قد ماما؟؟ ليه ..فكرانى عندى كام سنة وهو انا لو كنت خلفت كنت جبت شحطة زيك كدة؟؟ مفكرة نفسك نوغة؟؟

فردت مهدا باإستفزاز وببرود شديد..

-إيه دة إنتى زعلتى؟؟ أسفة ياطنط بس بصراحة شكلك يقول إنك كبيرة يعنى وقد ماما

كادت تهانى لأن تنقض عليها مثل الذئاب التى تنقض على الخراف لولا أن تدخل إبراهيم قائلا...

-فى إيه يااجماعة...مهدا ماتقصدش يامدام تهانى

-ولا تقصد ..دى عيلة قليلة الأدب

ثم خلدت إلى شقتها وقصفت الباب خلفها بقوة

فقالت مهدا بفتور

-شكرا ياااطنط

نظر إبراهيم إلى تلك المجنونة التى ستكون سببا أولا فى أن تفتك به تهانى فور إختلائها به وبالرغم من ملاحظة توعد تهانى بالويل الشديد له إلا أنه ضحك قويا على ماكل ماقالته تلك المجنونة الصغيرة..

-عاجبك يعنى كدة؟؟

قال ذلك إبراهيم بعد أن أغلق الباب فردت مهدا قائلة..

-أة عاجبنى..أنا عاوزة أعرف دلوقتى هى مالها تشيلنى ولا ماتشلنيش يخصها فإيه هى؟..

-أأأة ..إنتى بتغيرى بقى؟

-ومااغيرش ليه؟؟

-أيوة بس دى ست كبيرة يعنى

-على نفسها ..وبعدين أنا مش فاهمة هى واخدة عليك أوى كدة ليه وكل شوية تنطلنا كل شوية هو فى إيه؟

-مافيش هيكون فى إيه يعنى؟؟

-أمال اتغاظت أوى ليه كدة لما شافتك شايلنى

-لا هى مااتغاظتش هى بس طلعت عالصوت فبتسأل

-ست حشرية بجد..أنا مابطقهاش

فضحك إبراهيم ضحكة صغيرة ثم قال

-إنتى طلعتى لمضة أوى وانا مش عارف

-أديك عرفت

-قلبك جمد أوى ياامهدا

فاا قتربت إليه ثم احتوت خصره بذراعيها ومالت برأسها على صدره ثم قالت..

-أنا قلبى جمدعلشان إنت جنبى..ربنا يخليك ليا

رفع إبراهيم وجهها المستقر على صدره ونظر إلى عينيها ثم قال..

-للدرجادى بتحسى بالأمان معايا ؟

فرافقته بالنظر إليه وبعينيها بريق حزن على وشك أن يتحول إلى دمعة ثم قالت..

-وهو انا بقالى حد غيرك ؟؟

فأشفق إلى حنينها إليه ورق قلبه إلى أن يمنحها ذلك الأمان الذى تبحث عنه وذلك الحب الذى تحتاجه ..لقد كان فى نفسه شعورا ميتا بدأ لأن يستيقظ ..إنه الشعور بالحب.

-يعنى مش هتقولى فى يوم عاوزة أمشى أو عاوزة تسيبينى؟
قال ذلك إبراهيم فردت مهدا قائلة
-لاه مش هسيبك ولا همشى..إلا لو حسيت إنك عاوزنى أمشى
-وعد؟؟
-وعد
فحملها بين يديه ثم سرى بها ليضعها برفق على الفراش ويقول..
-نسمع الكلام بقى وننام علشان تصحى فايقة
-بس انا مش عاوزة أنام

-لا هتنامى ..لإن انا كمان عندى شغل بكرا بدرى ولازم انام ومش معقول يعنى أرجع الاقيكى لسه نايمة ومحضرتيش الغدا

-طيب أمرى لله..تصبح على خير.
قام إبراهيم بإطفاء الأنوار ثم خلد إلى النوم مستليقا على أريكته المعهودة مفكرا فى أمر تلك الصغيرة الذى بدأ قلبه إلى أن يميل إليها..

وفى صباح اليوم التالى ..إستيقظ إبراهيم باكرا تاركا مهدا وهى تغط بنوم عميق ومن ثم إرتدى بذلته ثم دق خفيفا على منزل تهانى التى يعرف جيدا بأنها تشتعل من الغضب ففتحت له ثم نظرت إليه بمقت وتركته وخلدت إلى الداخل فلحقها ثم أغلق الباب قائلا..
-شوفتك إمبارح متعصبة وزعلانة..قولت اجى اصالحك

فجلست تهانى ثم نظرت إليه والشرر يتطاير من عينيها قائلة بحدة

-إيه أخبار العروسة ..كويسة؟

فضحك إبراهيم ضحكة صغيرة ثم قال مازحا

-كويسة..بتسلم عليكى

-اة ..صحيح ..نسيت أقولك صباحية مباركة

فجلس إلى جانبها ثم قال

-الله يبارك فيكى ..بس غريبة يعنى من إمتى بتغيرى ياتهانى

فنهضت تهانى عن مقعدها ثم ولته ظهرها وضمت إليها ساعديها قائلة..

-تفتكر أنا هغير من حتة مسخوطة زى دى؟

فنهض إبراهيم هو الآخر عن مقعده ثم استدار إليها قائلا..

-ولا علشان هى أصغر منك؟

شعرت تهانى بالإهانة حينما صب عليها إبراهيم كلماته الأخيره فبعدما كان يتغزل بجمالها ويصف لها كم تبدو أصغر كثيرا من عمرها ..أصبح الآن يرمى إليها بأنها قد بلغت من الكبر الذى يجعلها تغار من أى أنثى تصغرها..

فصرخت فى وجهه قائلة

-إنت بتقول إيه ..إنت اتجننت؟؟؟

-لا مااتجننتش ..بس إنتى سوقتى فيها أوى ياتهانى

-ياسلاااام ..يعنى عاوزنى أشوفها بتحضنك قدامى وبتشيلها واسكت؟؟؟
حد قالك إنى مابحسش؟

فضحك إبراهيم ضحكة عالية تلك المرة ثم عاد ثانيا ليجلس حيثما كان وقال ساخر..

-عاوزة تفهمينى إنك غيرتى أما شوفتينى بشيلها؟ تؤتؤ تصدقى إتأثرت؟؟
فجلست تهانى إلى جواره ثم قالت..
-إنت كمان ليك عين تتكلم؟
فااقترب إلى عينيها ثم قال..
-أكيد...ليا عين ورجل وكل حاجة
-دا ولا أكنك عملت حاجة ..إنت مش ملاحظ اللى هببته؟؟
فاعتدل عن جلسته ثم توجه إليها قائلا..
-بصى يااتهانى...أنا وانتى عارفين كويس نوعية العلاقة الى بنا ...ومن غير لف ودوران ياريت كل واحد يعرف كويس اللى ليه واللى عليه...إنتى ليكى أكونلك فى وقت ماحدش يشاركك فيه ..بعد كدة ياحبىتى دا يبقى مش بتاعك ولا من حقك

فبرقت إليه بعينيها ..لا تصدق ما يقوله .. حتى صمتت بعض الوهيلات ثم قالت بصدمة..
-إنت بتقول إيه؟؟؟

-بقول اللى سمعتيه ...أوعى تفكرى إنى صدقت إنك غيرتى لماشوفتينى مع مهدا بجد..أنا عارف كويس إيه اللى ضايقك وإيه اللى معصبك ومعفرتك كدة

-وياترى يبقى إيه؟

-إنتى خايفة أحسن مهدا تاخدنى منك وتعجبنى وتعشش فدماغى واستغنى عنك علشان هى يعنى أصغر منك وهصدمك كمان لما أقولك إنها أحلى منك

فصرخت به قائلة

-إبراهيم...هى البت لحستلك مخك ولا إيه ؟

فأمسك إبراهيم بأحد ذراعيها ثم نظر قويا إلى عينيها وقال بحدة..

-ياتهااانى ..إحنا اللتنين زى بعض.. من عجينة واحدة.. وكل واحد فينا عارف كويس التانى بيفكر ازاى

وعاوزك تتطمنى أنا مش هسيبك ..إحنا مهما لفينا ومهما شوفنا..هنرجع تانى لبعض..فلو عاوزة الى بنا يفضل مستمر ..ركزى فى اللى يخصك ياحببتى ومالكيش دعوة باللى مايخصكيش

-يعنى إيه؟

-يعنى أشيل مهدا..أزعق مع مهدا ..أمارس حقى الشرعى مع مهدا..كل داا مايخصكيش ..هى دلوقتى بقت مراتى ويحقلى أعمل معاها الى انا عايزه

فنفضت يداه عنها ثم أشاحت ببصرها بالإتجاه الآخر وقالت بمسكنة....

-هو دة الجواز الصورى الى قولتلى عليه ياابراهيم؟!

إتضجع إبراهيم واستند بظهره على المقعد ثم قال..

-هتفرق معاكى؟؟

فنظرت إليه بخبث ثم قالت

-تفتكر هكون مبسوطة يعنى؟؟

فنظر إليها إبراهيم هو الآخر ثم قال..

-مش هتفرق عندك كتير..إنتى المهم عندك حاجة واحدة بس..اللى هو انا وانتى عارفنها كويس..وأوعدك إنى مش هقصر فيها...ومش هستغنى عنك وارميكى زى ماانتى فاهمة.

-قصدك إيه ياابراهيم وبتتكلم معايا كدة ليه..دا جزاتى علشان حبيتك؟

نهض إبراهيم عن مقعده ثم قال ثائرا..

-قصدى اللى انتى فهماه كويس ياتهانى وماتقوليش حبيتك دى ..إنتى واحدة أنانية مابتحبيش إلا نفسك وانا عارف دة كويس ومن زمان جدا ..إنتى عاوزة كل حاجة فى وقت مش عايزة تخسرى فيه أى حاجة ..وانا مش هفضل كدة رهن مزاج سيادتك ..أنا حر زيي زيك بالظبط ومن حقى أعيش حياتى واعمل اللى انا عاوزه

ثم انحنى إليها وقال بصوت منخفض

-وكمان كل اللى بنا هيفضل بنا..

-مش فاهمة.. إشمعنة دلوقتى بتقولى الكلام دة

فعاد إبراهيم إلى قوامه ثم قال..

-علشان دلوقتى الوضع اتغير ومش كل شوية هتعملى معايا خناقة بسبب

الموضوع دة وتلفتى النظر لينا..إعرفى كويس بتقولى إيه ..وعاوزك من النهاردة تتعودى على وجود مهدا فحياتى ..لكدة...لكل واحد يروح لحاله..ها قولتى إيه؟؟

....

-لولولولولولوووووى..العريس جه

خرجت مهدا عن ذكرياتها آثر صوت الزغاريد التى كانت تنبأ بقدوم عريسها العاشر ..فتقدم إليها ثم قبل يدها وتأبطته بفرح حتى ركبت معه سيارة العرس التى كانت تتزين بأجمل الورود آخذة طريقها إلى قاعة الأفراح والمناسبات حتى وصلا إليها واستقبلها الجميع بالأغانى والمباركات وكاميرات التصوير ومن ثم إتخذ كلا من العروسان موضعهما بمناصة العرس ليبدأ برنامج الحفل..وفى حين ذلك عادت مهدا ثانيا لتسهد فى الفراغ وتتذكر...

-إبراهيم...ماقولتليش..إنت مالكش قرايب أو أهل؟

قالت ذلك مهدا وهى تجلس بجانبه وهم يشاهدان التلفاز فأجابها دون أن ينظر إليها قائلا..

-لاء

-ماقولتليش صحيح إنت شغال إيه؟؟

نظر إبراهيم إليها تلك المرة وقد بدا منزعجا ثم قال

-فى إيه يامهدا إنتى أسألتك كترت كدة ليه؟؟

-ومالك زعلت كدة ..هو انا قولت حاجة غلط؟

-لاء ماقولتيش واتفضلى قومى نامى بقى

-هو انا كل ماكلمك تقولى قومى نامى؟؟ للدرجادى مش طايقلى كلمة؟؟

-ياستى حقك عليا ..وادى راسك ابوسها..فى حاجة تانى؟؟

-اة فى

-فى إيه تااانى..

-مافيش

قالت ذلك متزمرة ثم نهضت من جانبه متجهة إلى غرفتها واستلقت على الفراش ..فشعر إبراهيم ببعضا من تأنيب الضمير ثم ذهب إليها ليسترضيها..

-مهدا إنتى نمتى؟؟

قال ذلك إبراهيم وهى مستلقية فولته ظهرها ثم قالت.

-اة

فجلس على الفراش إلى جانبها ثم قال..

-ولما هو أة بتردى عليا اازاى

-مش قولتلى نامى؟ أدينى نمت

فتمدد إلى جانبها وأخذ يعبث بشعرها ويمرر يده عليه بنعومة بالغة ثم قال..

-يعنى مش زعلانة؟

فقالت وهى لاتزال مولية ظهرها..

-لاء مش زعلانة

-طب عينى فعينك كدة؟؟

فااستدارت إليه ثم قالت...

-اهه

كانت لاتزال تحتفظ ببعض الضجر والغضب فى عينيها فنظر مليا إليها ثم مرر بظهر أصابعه على وجنتها حتى وصل إلى شفتيها ودهسهما بأصابعه ذهابا وإيابا ثم...

****

الفصل السابع

"مشاعر"

كانت مهدا لاتزال تحتفظ ببعض الضجر والغضب فى عينيها فنظر إليها مليا ثم مرر بظهر أصابعه على وجنتها حتى وصل إلى شفتيها ودهسهما بإصبعيه ذهابا وإيابا ثم قال..

-هتفضلى مكشرة كدة كتير؟؟

فنهضت لتجلس على الفراش ثم تقول

-والله غريبة...إنت مش قولتلى قومى نامى؟؟

-حصل

-وادينى نمت

فنهض هو الآخر ليجلس بجانبها ثم أغدق على كتفيها بإحتواء ثم قال..

-لاء بس ماقولتلش تنامى زعلانة

-لا مش زعلانة..

ثم عادت لتنام على الفراش مولية إليه ظهرها

فعاد هو الآخر ليرقد بجانبها ثم يمد يديه ببطئ ليحتضن خصرها ثم أزال ببعض الشعيرات التى كانت تحجب عنقها ليطبع عليها قبلة لاثمة جعلت جسدها ينتفض ..فسكنت ..حتى أحست بذراعيه وهى تضغطانها بقوة ..إن مايجب عليها الآن هو أن تقاوم..أن تصمد ..أن تتظاهر باللاشئ من أجل كرامتها ولكن ذلك الشعور الذى أشعله بداخلها كان يطغى عليها ..إحساس جديد لا يدركه إلا عذراء محبة مثلها.

لم تستطع أن تمنعه..لم تستطع مواصلة حفلة الصمود أكثر من ذلك وحاولت..قد ماحاولت ..إلى أن استهلك بها كل ذرة مقاومة ..حتى استسلمت واستدارت إليه ثم احتوت عنقه واحتضنته برحمة حتى بدأ إشتياقها إليه يزداد ويشتد .. فتضمه إليها ثم تضغطه بقوة ثم تغمض عينيها بحب ..إلى أن استحكم النوم منهما.

أشرق الصباح ومهدا لاتزال تستقر بين أحضانه ..والذى قد انتهت ليلتهما بحديث من القبل والأحضان ..ففتحت عينيها لترى نفسها داخل تجويف عنقه فباعدت بوجهها ثم نظرت إليه لتتأكد من حقيقة ما حدث ..فوجدت كل شئ كما هو ولم يجد عليه شئ ..فأيقظته وغمرها بقبلة من خديها ثم عاد لكرة عمله ومرت الأيام.

مرت الأيام ولم يجد على حياتهما أى جديد سوى تعلق إبراهيم بمهدا وحبها الذى ولد بداخله ..فيذهب إلى العمل صباحا ثم يعود ليلا ..ليقبل مجنونته

الصغيرة وتحضر له الطعام ثم يرتمى كالطفل الصغير بين أحضانها إلى أن يعود الصباح ويبدأ يومه الروتينى من جديد ،،وقد يأتى من العمل باكرا ثم يتسلل إلى جارته تهانى ليعيش معها أوقاتا بين أحضان الخطايا ثم يعود إلى مهدا لتمنحه ذلك الشئ الروحى الذى يحتاجه ..ذلك العطف والحنان بلا مقابل..تلك الرحمة والآمان النفسى الذى يجده كلما ارتمى بين أحضانها ..ذلك الحب الطاهر الذى نبت فى عود براءته ولم يعرف طريقا للعهر والدنس ..لقد كان يشعر بأنه شيئا طاهرا..نقى.. كلما كان بين أحضانها.

لحب إبراهيم لتهانى شيئا وحبه لمهدا يعد شيئا آخر
فأستطيع أن أقول بأن حبه لتهانى يعد حبا جسديا ..تزهق حلاوته فور الإنتهاء منه ...مجرد هاجس يتعلق بغريزته يلحق به كلما رآها ..فيحبها فقط فى تلك الوهلة التى تعرض عليه جسدها ويحبها فقط فى تلك اللحظة التى تمدح رجولته فور الإنتهاء من غزوته ويحبها فقط حينما تحاول إغوائه وتظهر رغبتها به... فيمارس مايريده على ذلك الجسد حتى يشبع حبه منه وإلى هنا ينتهى الحب.

أما حبه لمهدا فلقد كان حبا روحيا يصف له حرفيا كلمة وطن ...مشاعر ولدت بعد أن وئدت منذ زمن ..لقد كان يشعر بذلك الدفئ فى قلبه كلما اقتربت إليه ،ولقد كان يشعر بحنانها وعاطفتها الطيبة نحوه دون أن تتكلف فيها أى شئ ،وكل ذلك كان بلا مقابل وبلا ثمن ..ليس تماما كما تعود عليه

آنفا

فلقد تعود فى حياته بأنه لابد لكل شئ بأن يكون له ثمن..كل شئ ..حتى المشاعر ..كل لابد لها ثمن.

ودارت الأيام وهو يلجأ إلى أحضانها كل ليلة ليشعر بالدفئ ..إنه دفئا من نوع خاص..دفئا ليس به شهوة..ليس به أى مصالح..دفئا فقط من أجل الآمان والحب..لا من أجل الجسد.

بدأت مهدا لأن تشعر بأنها ذلك الشئ التافه الذى ليس له أى فائدة سوى تجهيز الطعام والمكوث بعض الوقت بين أحضانه
فما هو الزواج؟؟
لماذا لم يعطيها حقها الشرعى فيه
لماذا عطاؤه يجف إليها فقط عند تلك النقطة؟؟
أيعنى بذلك بأنها ليست أنثى مثيرة ؟؟
ليست جميلة ..لكى يفقد أمامها صوابه؟؟
تساؤلات كثيرة كانت تدور برأس مهدا..
لكن كان يمنعها حياءها لأن تسأله أو حتى تحاول التلميح إليه فهى لا تريده لأن يؤدى ذلك بدافع الحقوق والواجبات وإنما الأمر يتعلق بشئ يخص أنوثتها..كيانها..كرامتها..فكم تشعر المرأة بالحقارة حينما تشعر بأن زوجها أو مريد قلبها لا يرغب بها أو لايجن كلما رآها ولقد كانت تريد لأن تشعر بأنها بالفعل

زوجة ..زوجة تستطيع إعطاء زوجها كل مايتمنى ..زوجة تعطى كل مالديها بحب وسخاء..

زوجة تنجب أطفالا صغارا وحقوق جدية تجاة زوجها..إلى أن قررت بمفاتحته بالأمر
ولكن بحرص شديد حتى لا يخدش ذلك الأمر كرامتها ..فاانتظرته حتى عاد إلى المنزل وهو يتناول عشاؤه ثم قالت له..

-إبراهيم

-نعم يامهدا

-عاوزة أسألك سؤال

-إسألى..

-هو انت بتشتغل إيه؟؟

فترك طعامه الذى كان يأكله بنهم ثم نظر إليها بجدية وقال...

-بشتغل محاسب فى شركة مقاولات...ارتحتى كدة؟

-امم..طيب وماكنتش عاوز تقولى قبل كدة ليه؟؟

-علشان انتى رغاية وبتسألى فى أوقات مابكنش رايق فيها

فنظرت إليه بشقاوة ثم قالت..

-أة ودلوقتى رايق؟؟

عاد إبراهيم ليبتناول طعامه ثم قال..

-الحمد لله ..تمام

-طيب معلش عاوزة أسألك سؤال تانى

-ماشى ياستى ..اتفضلى

فابتلعت ريقها ثم قالت..

-هوااا..هو أنت مش نفسك فى أطفال؟

فرمى المعلقة من يده ثم عقد حاجبيه ونظر إليها بحدة ثم بعد وهيلات أراح ملامحه إلى أن ابتسم قائلا بهدوء..

-أكيد طبعا يامهدا..حد مايحبش الأطفال

فااستجمعت شجاعتها ثم قالت

-طيب أمال ..أمال إيه مانعك؟؟

فنهض عن مقعده ثم اتجه إليها وانحنى إلى أذنيها قائلا..

-ماينفعش ياامهدا أقربلك دلوقت!!

فااحمر وجهها خجلا ..لكنها قاومت شعورها متابعة

-ليه؟؟

فعاد إلى مقعده مرة أخرى ثم نظر إليها قائلا..

-مش حابب أعمل كدة وانتى لسه قاصر..عالأقل تتمى ١٨ سنة

-مش فاهمة

-بعمل حساب بعدين ياامهدا ..علشان ماتجيش فى يوم تندمى وتقولى كنت صغيرة وضحك عليا أو استغل ظروفى.

-لالالالا..أنا واثقة فيك وعمرى ماااعمل كدة

-داا غير إنى مستنى لحد ماتتمى السن القانونى علشان عالأقل لما تكونى حامل وتولدى نعرف نسجل الطفل لإن زى ماانتى عارفة لسه العقد مااتسجلش وفى شهادة ميلاد الطفل لازم صورة موثقة من عقد الزواج ..هنعمل إيه ساعتها؟؟

فنظرت إليه بسهود ثم قالت

-إبراهيم إنت بتحبنى؟؟

-أيوة يامهدا ومابقتش قادر خلاص استغنى عنك

-متأكد؟؟

-أيوة متأكد

-طيب عامة أنا واثقة فيك ..بس زى ماتحب ..اللى تقوله أنا موافقة بيه

لم تقتنع بما يقوله إبراهيم بشكل كافى ولكن هكذا نحن معشر النساء حينما نحب..ننصت فقط إلى ماتقوله قلوبنا دون وعى أو إدارك .. ونتخذ قلوبنا دليلا على محبتنا ومالنا حينها إلى أن نقول لها..لك السمع والطاعة..تجاهلا لأى نسبة عقل أو إدراك تخالف تماما مانشعره فى قلوبنا.

رضخت مهدا إلى ماقاله إبراهيم برغم أسبابه الغير مقنعة إلى أن بلغت الثامنة عشر ..وتم توثيق عقد الزواج وولاها التاسعة عشر والحال كما هو ..والتفكير يكاد لأن يأكل ماتبقى من عقل مهدا..

وفى ذات الأيام وقفت أمام المرآة ثم تفحصت جسدها بعمق وتأملت ملامحها

ثم فكت عقدة شعرها القصير لينسدل على كتفيها وضيقت بيديها مكان خصرها ليشكل جسدها منامتها بشكل متناسق ثم فتحت الخزانة ومدت يدها لتتناول منامة معلقة بحاملان رفيعان تصل إلى بعد الركبة ..تضيق عند خصرها وتظهر الجزء العلوى من نهديها مما سمح لفتحة تصل إلى نهاية خصرها بأن تكون فى الظهر ثم أخذت مليا تتأمل نفسها حتى قررت أن تنتصر لأنوثتها ثم سمعت صوت إبراهيم وهو ينادى ويقول...

-يامهدا...يامهدا

ف نظرت إلى المرآة بثقة ثم تنفست بعمق ثم خرجت إليه

-نعم

فنظر إليها مليا ..حتى أحس بأنه ذهب عقله ..فلقد ساعد إمتلاء جسد مهدا فى الفترة الأخيرة على أن تبرز أكثر معالم أنوثتها .. فتعقب إبراهيم تلك المنامة التى كانت ترتديها من أعلاها لأسفلها ثم بدأ إلى أن يرسم تخيلاته وعما سيفعله بذلك الجسد وكيف أضحت مهدا بهذا الجمال الصارخ فى تلك الفترة الوجيزة وكيف تحول جسد تلك المراهقة ضئيلة الحجم إلى جسد إمرأة كاملة الأنوثة وحينما أفاق من تخيلاته ..قال لها مندهشاً

-إيه اللى انتى لبساه دة؟

-ها إيه رأيك؟؟

فااقترب إليها ثم دار حولها ونظراته تحيطها من كل اتجاه ثم قال..

-هو دا محتاج رأى ..تجننى

فااستدارت إلى المطبخ قائلة..

-طيب أنا هحضرلك العشا بقى

فلحقها إبراهيم ثم جذبها من ذراعها قائلا..

-لا عشا إيه ..تعالى هنا..

ثم حملها بين يديه وذهب بها إلى الفراش وأطفأت الأنوار ثم بدأ الفارس رحلته مع الفريسة بعد أن نزع كل مايمنع وصولهما وانهارت الفريسة بين يديه حتى سقط على الفراش مايثبت بكارتها وقد حان الآن الموعد لأن ينتهى الحفل ويسقف الجمهور وتسدل الستائر

ولكن لالالا

ليس الآن

هناك إلتماسا حقيقيا ينوى توضيحه شخصا هناك فى الصف الأخير من المسرح ..فهل يسمع الناس له!!

أم يتركون الستائر تسدل

لقد استطاع الشخص إقناعهم بأن لا تسدل الستائر الآن ليقوم هو بفقرته الخاصة.

فبعد شهووور قليلة

طرق الباب مرة أخرى ونهض إبراهيم ليفتحه..

-مين يوسف بيه؟؟

****

الفصل الثامن

"اللغز"

-مين يوسف بيه؟؟

قال ذلك إبراهيم مندهشا فرد يوسف قائلا..

-إذيك ياإبراهيم ..أنا كنت معدى من هنا قولت أعدى عليك..جيت فى وقت مش مناسب ولا حاجة؟؟

فتلكأ قائلا

-لا لا أبدا..إتفضل..إتفضل يايوسف بيه..الصالون من هنا..

دخل يوسف المنزل رائده إبراهيم إلى غرفة الضيوف المعروف ب(الصالون) ثم ذهب إلى أحد المقاعد وجلس واضعا قدما فوق أخرى .. فصاح إبراهيم مناديا مهدا

حتى أتت قائلة..

-نعم ياابراهيم فى حاجة؟

تلك النظرة الأولى وتلك الوهلة التى رافقت معها جيوشا من مشاعر شهوانية إحتلت كيان يوسف فور أن رآها إلى أن قاطع نظراته إبراهيم قائلا ..

-تشرب إيه يايوسف بيه ؟

لم يسمعه ..بل لم يكن معه بالمرة وإنما كان مع ذلك الطيف الجميل الذى لمحه وجلجل كل مابه من الوهلة الأولى ..فكرر إبراهيم سؤاله مرة أخرى ...فانتبه إليه تلك المرة ثم قال...

-قهوة مظبوطة

فردت مهدا بحماس

-ثوانى والقهوة تكون جاهزة

ثم ذهبت إلى المطبخ ونظرات يوسف لا تزال تلاحقها حتى اختفت من أمامه مما لفت إنتباه إبراهيم وجعله يقول

-دى تبقى مهدا..مراتى يا يوسف بيه

عاد يوسف ببصره إلى إبراهيم ثم قهقه بصوت عال رج بأرجاء الغرفة ثم قال..

-أى حد غبى يقدر يفهم كدة ياابراهيم ...خصوصا لما يكون عارفك

إنتقل إبراهيم من جواره إلى المقعد الذى يقابله ثم قال..

-لا ياا يوسف بيه ..أقصد إنها مراتى بجد الى هتكون أم ولادى..مش زى التانيين

فاابتسم قائلا..

-من حقك طبعا..

فقام إبراهيم بتغيير مجرى الحديث ليقول

-صحيح يايوسف بيه ..مااقولتليش إيه رأيك فى الكام طلب اللى بعتهوملك

من فترة

-جميل ..ذوقك حلو ..خصوصا الطلب الأخير اللى بعته...يجنن

-أهم حاجة عندنا تكون مبسوط يايوسف بيه

فاابتسم قائلا..

-إنت الوحيد ياابراهيم اللى بتعرف تفهمنى وبتعرف كويس أنا عايز إيه

أتت مهدا فى ذلك الوقت وهى تحمل معها فناجين القهوة ثم وضعتهما على المنضدة الصغيرة التى تتوسطهما ثم قالت..

-القهوة

رمقها يوسف ببعض النظرات الفاحصة فتحدث إبراهيم مقاطعا تلك النظرات ليقول..

-مهدا..دا يبقى يوسف بيه..

-أهلا وسهلا

-أهلا بيكى ياا أمورة..

ثم نهض عن مقعده وأردف

-يلا أستأذن أنا بقى

-ليهماابدرى يااايوسف بيه

-لا يدوبك كدة ..هبقى أعدى عليك فى وقت تانى ..علشان ألحق أخلص المشاوير بتاعتى قبل الليل مايهجم

نهض إبراهيم هو الآخر لتوصيله إلى باب المنزل ثم قال

-تنور ياايوسف بيه ..ماشى خلاص زى ماتحب

وحينما وصلا إلى الباب تفوه إبراهيم قائلا..

-صحيح إنت عرفت عنوان البيت دة اازاى؟؟

فالتفت إليه يوسف بغرور ثم قال..

-عيب عليك ياابراهيم أنا لو عوزت أعرف حاجة بعرفها

ثم رحل وتحرك إبراهيم تفكيره إلى أشياء يعرفها جيدا ..و واذدادت مخاوفه من تلك النظرات التى كان يلحقها بمهدا وأثناء ذلك أتته مهدا لتسأله

-هو مين يوسف بيه دا ياابراهيم؟؟

فتلكأ قائلا..

-داا صديق قديم من زمان أوى

-غريبة

-إيه الغريب؟

-مش عارفة نظراته ليا كدا كانت مش مريحانى

-لالا ماتقلقيش..داا راجل كبير ومحترم ..اتطمنى خالص

-جايز

مر أسبوعان إلى أن أتى يوسف معاودا زيارته مرة أخرى ومرة ثم مرة حتى ائتلفت مهدا على وجوده وأصبح جزئا من حديثهما اليومى بل وجزءا من عائلتهما أيضا حتى بدأت لأن تنضم إليهم بالحديث والمزاح مما ساعدها فى ذلك

حديث إبراهيم عنه وعن إحترامه ووضعه بالمجتمع وأنه لايمنع أبدا الإنضمام إليهما خاصة بعد شرح معزته لها وأنه رجل يكبرها بثلاثة وعشرون عام ..مما استراح إبراهيم إلى وجوده أيضا وساعده ذلك على إزاحة مخاوفه وطرد تفكيره السيئ الذى كان يراوده من آن إلى آخر، ولقد كانت مهدا تعامله معاملة الأب الحنون ،ولقد كان يعاملها بمنتهى الرقة ..جانبا إلى هداياه التى كانت تغدقها والذى أصر إبراهيم على أن تقبلها بدافع الأبوة وخشية من غضبه حيث ذكر لها بأنه يوجد بينه وبين يوسف علاقة عمل قد نشبت مؤخرا ولا يريد أن يؤثر ذلك على عمله وبدأت الأمور لأن تختلط ببعضها وأصبح ليوسف معزة ومكانة لايستهان بها لدى مهدا ..إلى أن أتت الصدمة حينما زارها يوسف أخر مرة ليعلن إستسلامه ووضوحه أمام إبراهيم.

-إبراهيم أنا عايزك فى موضوع مهم

-خير ياايوسف بيه

-إنت دايما بتسعى للحاجة اللى تسعدنى وعمرك أبدا ماخليت فى نفسى حاجة إلا وجبتهالى صح؟

-صح ياايوسف بيه

-طيب لو قولتلك إنى نفسى فى حاجة صعبة جدا وماحدش فى إيديه يجبهالى غيرك ..هتقول إيه؟؟

-ولو مستحيلة ..أجبهالك تحت رجليك ياايوسف بيه

-أى حاجة ..أى حاجة؟؟

-أى حاجة..إنت عليك بس تأشر وانا انفذ

فنهض يوسف عن مقعده ثم ولى إليه ظهره قائلا..

-أنا عايز مهدا

فدبت لطمة قوية على قلب إبراهيم واستيقظ ماكان يخشاه ..وذادت فى أعينه وفدات القهر والحسرة..الحسرة على ذلك الرجل الذى ظن بأن لديه مشاعر أخرى تسكن بقلبه تجاور مشاعر الدنس والشهوة لديه..ولقد كان يفسر هداياه وزياراته

من آن إلى آخر ..بأنها مجرد غرور عجوز ..يريد أن يتباهى بما لديه وأن من المفترض عليه مجاراته من أجل طبيعة عمله وما كان يحسب أبدا بأنه يخطط إلى شئ آخر كان يكبر يوما بعد أخر حتى يناله بكل رعونة وسهولة دون أن يتكبد أى عناء فيه ،وأكثر ماكان يزيد الحسرة هو تلك المهدا التى حسبت تصرفه بدافع أبوى .. نقى ..خالى تماما من أى شعور خبيث.

-بس دى مش بنت بنوت يايوسف بيه

قال ذلك إبراهيم بصوت محبط محاولا إزالة الفكرة من رأسه ..فرد يوسف قائلا..

-عارف

-بس ..أنا بحبها

فالتفت إليه يوسف ثم ضحك بصوت عال ثم قال..

-إنت بتعرف تحب ياابراهيم؟؟

-ليه..مش بنى أدم ياايوسف بيه؟؟

-لا ياابراهيم ..بس سيب الحب لناسه

نهض إبراهيم عن مقعده هو الآخر ليقول

-بس انا مش هقدر أعمل كدة

-لالالا..فكر بهدوء كدة واعقلها..

ثم لوح إليه بسبباته محذرا..

-إنت صبعاك تحت درسى ياابراهيم ..يعنى فأى وقت أقدر أطربقها على دماغك فى سبيل بس إنك تعارضنى أو تقف قصادى ..خليك عاقل كدة وفكر كويس

فارتمى إبراهيم على المقعد قائلا..

-بس...

-مافيش بس..وبعدين أنا مش حد غريب يعنى

-بس..ياايوسف بيه ..أقول لمهدا إيه بس..هى لحد دلوقتى ماتعرفش أنا بشتغل إيه ..أبوس إيدك بلاش..أنا هجيب تحت رجليك بنات كتير غيرها ..بس بلاش مهدا

-وانا مش عايز غيرها ياابراهيم وبعدين إنت قلقان ليه ..هو أنا قولتلك

طلقها؟ ماهى هتفضل مراتك بردو ..زى اللى قبلها واللى قبلها ..هى دى حاجة جديدة عليك يعنى؟؟

-أيوة ..بس دى تختلف..أنا بحبها ..اللى قبلها كنت بجبهملك على طبق من دهب زى ماابتطلب من غير ماالمس واحدة فيهم وكنت وفى معاك ومخلص..ليه باصصلى فى اللقمة بتاعتى ..دا انا عمرى مابصيت لواحدة فيهم

-كلامك مظبوط ..حصل..واللى بطلبه منك دة هيكون أكبر دليل على إخلاصك ليا ياابراهيم ...وقدامك دلوقتى خيارين..لإلى تسمع اللى بقولهولك وتثبتلى مدى وفائك ليا ..لإلى هزعل منك جامد ..وانت عارف زعلى كويس..ربنا مايوريك.

سكت إبراهيم متذكرا ذلك الحديث الذى دار معه على الهاتف منذ سنة

(فلاش باك)

-أيوة ياايوسف بيه ..الطلب استوى أوى وأنا ماسك نفسى بالعافية ..لاابعتهولك لتيجى تاخده واتطمن كل حاجة زى مااتفقنا ..لسه بالسلوفانة فيرد عليه يوسف من الطرف الآخر..

-لا ياابراهيم ...أجل الطلب شوية واهو كله بتمنه

-أيوة ياايوسف بيه بس كدة الطلب هيغلى

-مش مشكلة..وقت ماقولك هاته ..تجيلى بيه

-ماشى..زى ماتحب..مع السلامة

فى ذلك الوقت بدأت مهدا إلى أن تتسلل إلى داخله وتسيطر دقة بدقة على كيانه ولقد بدأ إبراهيم لأن يتعلق بها ويلتجئ إليها كل ليلة حتى يستمد من قلبها ذلك الحنان الذى يحتاجه ..لكنه كان يرافق بداخله ..شعورا آخر آنانيا ..لقد حاول قدر سعته إشباع نفسه من وجودها معه قبل أن تذهب إلى زبونها المقدر..إلى أن حدثه يوسف بعد شهران ليأتى إليه بالضحية التالية ..فعدل إبراهيم عن خطته وقرر أن يستخلص مهدا لنفسه لبعض الوقت ..وقام بالذهاب إليه بفتاة أخرى عذراء ..كان يسكنها فى منزل آخر ..مما كان يفسر غياب إبراهيم عن منزله بالأسبوع والأسبوعين عن المنزل ..حيث كان لديه فى كل مكان منزلا مستأجرا يصطاد به ضحاياه.

ولقد ظن إبراهيم بأن حبه لمهدا وتعلقها به..هو مجرد عاطفة سيحل سبيلها بمجرد أن تذهب من أمام عينيه لقد حسب بأن حبه لها سيذوب بمرور الزمن..لكن إشتياقه إليها وعقله الذى لا يكف عن التفكير بها قد أثبت له عكس ذلك وبرغم ذلك ..لقد كان يثاوره الطمع بداخله حتى بخل على نفسه بحقه بها واكتفى فقط بالإستلقاء داخل أحضانها قبل أن يأتى زبونها القادم الذى سينتزعها منه بعد أن تبلغ السن القانونى.

ثم بعد أن بلغت مهدا الثامنة عشر من عمرها(السن القانونى)

لم يستطع إبراهيم أيضا الإستغناء عنها ولقد كان يحاول بكل سعته إلى أن لايحتاج إليها ويتركها تذهب إلى ذلك القدر اللعين كما سبقها الآخريات ثم أخذ يماطل بالوقت ويماطل على أمل أن يستطيع.. ولكنه لم يستطيع..لم يستطيع الإستسلام أمام أطماعه وأغراضه الخبيثة..إلى أن بلغت مهدا التاسعة عشر عاما وبدأ لأن يلمح جسدها وهو ينضج ويرسم قوامه فاستسلم أخيرا وقرر إلى أن يستخلصها لنفسه دائما وإلى الأبد ..ثم يأتى يوسف بعد كل هذا لينتزعها منه وليشبع بها أغراضه الشهوانية ..كم هو مؤسف ومقيت

ولقد كان يخبئ إبراهيم جريمته تحت طائلة الزواج خوفا من أى مسائلة قانونية قد تحيق به ،،ولقد أصر على أن تبلغ مهدا سنها القانونى حتى يحمى نفسه ويحميها من عواقب القانون ..فى حال إن ضبطت ضحيته بفعل فاضح مع أحد الزبائن فيقوم بكل سهولة الذهاب إلى قسم الشرطة ويقوم بضمانها والتعهد بها ...أو بدفع كفالة وبمنتهى السهولة يخلى سبيلها وإن استعصى الأمر ورفضت النيابة إخلاء السبيل وأوشت به إلى المحكمة فسيلصق بها تهمة الخيانة وبأنه كان يود ضمانها حفاظا على سمعته وكرامة رجولته ويخرج منها كالشعرة من العجين .. وهنا كان لابد من وجود معه وثيقة زواج شرعية حتى لا يلصق إليه أى تهم تدينه.

لقد كان إبراهيم يتزوجهن ثم يذهب بهن إلى أحد الأغنياء المتفق معهم بثمن مرتفع وتفاجئ الضحية بعد ذلك بقدرها المشؤم ويهتك عرضها الذى حافظ

إبراهيم على أن يبقيه من أجل زبائنه الأثرياء ولقد كان أكثر مايطلبه أؤلئك الرجال هو أن تكون الفتاة لاتزال عذراء ..ثم يرسلها إليهم بعد ذلك بدافع التهديد و يستغل ضعفهم ونقاط الخوف لديهم ليضعف أى مقاومة لديهن ليصبحن ملك يديه يرسلهن حيثما يشاء ..فيأخذ كل من يقع بيديه إلى طريق العهر والدنس...ولقد كان من حظ مهدا بأنها لم تبلغ السن القانونى بعد لتوثيق عقد الزواج فلم يستطع إستغلالها فى تلك الفترة ولقد كان ينتظر أيضا حتى يأتى لها بزبون جديد ..فوظيفته لاتحتمل المخاطرة أبدا والتى قد تودى بحياته ..أما يوسف فلقد كان يعد حالة خاصة ..أن يأتى إليه إبراهيم بفتاة قاصر ليس به مخاطرة أبدا وإنما هو عين الأمان ..حيث أن عوامته التى يستقبل بها الفتايات كانت تقطن بعيدا جدا.. فى منأى بعيدا عن أنظار الشرطة مما كان يسهل تحركاته إليه ليأتيه بالفتايات كلما رغب.

أعلمتم الآن ماذا يعمل إبراهيم؟؟

إنه ...إنه ...قوااااااااد

-ها سكت ليه ياابراهيم؟؟

تنبه إبراهيم على صوت يوسف فرمقة بنظرة خاطفة ثم قال والأسف يغدق من عينيه

-تحب أجبهالك إمتى؟

الفصل التاسع

"الحب شيئاً آخر"

يوسف..

يعد يوسف من أحد رجال الأعمال المستثمرين فى البنوك التجارية ...مطلق..فى أواخر الأربعين..لديه طابع خاص وميول غريبة مما كانت تلك الميول سببا فى طلاقه بعد سنته الأولى من الزواج..حيث أنه شخصية سيكوباتية ..يتلذذ ويستمتع بمعاناة الآخرين ولا عجب بأنه يحب دائمًا إقامة علاقات مع فتايات عذروات وأكثر مايعجبه فيهن هو رؤيتهن وهو يهتك بعرضهن ويتعذبن أمامه دون الشعور ولو بوخزة من عذاب الضمير..بل كان ذلك يعكس له شعورا ممتعا يتلذذ به، ولقد كان على استعداد بأن ينفق نقودا كثيرة من أجل فقط ذلك الشعور ، وهو شخص سيكوباتى وليس سادى .. وحتى لا يختلط الأمر

الشخصية السادية..هى الشخصية التى تستمتع كثيرا برؤية الدماء والضرب الذى يؤدى إلى الجروح

أما الشخصية السيكوباتية..هى شخصية عدوانية..تستمتع بمعاناة الآخرين ورؤيتهم وهم يتألمون ولكن دون إراقة دماء أو نشب جروح فنستطيع أن نقول بأنها أقل درجة من السادية.

ولقد كان إبراهيم يحقق له جميع ما يرغب للوصول إلى ذروة ذلك الشعور ..أما مهدا فلقد أصبحت بالنسبة له كيانا جميلا يرغب بالإستمتاع به لآخر لحظة بالرغم أنها لم تعد عذراء...فما اعتاد أن تعجبه فتاة ولم يستطع نيلها حتى لو على حساب أقرب الناس إليه..إنها مسألة نفسية..تتعلق قويا بميوله الجامحة والغريبة.

-هستناك النهاردة الساعة ١٠ فى العوامة..تجبها وتجيلى..سلام

قال ذلك يوسف قبل أن يذهب تاركا إبراهيم مع حيرته ..إلى أن قرر بأنه...

-مهدا...مهدا...

-أيوة ياابراهيم فى إيه؟؟

-إجهزى علشان هنروح نزور يوسف بيه النهاردة بالليل فى العوامة بتاعته.

خرجت مهدا عن حقل ذكرياتها على صوت زوجها العاشر بانتهاء الحفل

الذى لم يستغرق أكثر من ساعة وسط حفنة من االمعازيم التى لم تتعرف على أحد منهم وبالتالى لم يكن هناك بين المعازيم سوى سهودا وتبرما على تلك العروس التى تتزوج للمرة العاشرة ..مما أزعجها كثيرا وجعلها طوال الحفل ساهمة ..شاردة عبر ذكرياتها ..تسلم باليد فقط ولكن عقلها بمكان آخر ...فلقد كان برنامج الحفل قائما والمعازيم يشاهدون فقط دون أى تدخل أو تفاعل منهم وكأنه عرضا مسرحيا مملا ينتظره الجميع لينتهى بفارغ الصبر..حتى أخيرا

انتهى الحفل ونزلت مهدا عن مناصة العرس برفقة عريسها العاشر حتى خرجت من القاعة لتركب بالسيارة ثم ينطلقان إلى فندق بالساحل الشمالى ليقضيان شهرهما العسل فيه..فتحدثت مهدا مع عريسها العاشر قليلا ثم أسندت برأسها على مسند مقعدها وعادت ثانيا..إلى حيث كانت.......

____

-بجد؟؟ يعنى هنخرج؟؟

قالت ذلك مهدا بفرح ..فرد إبراهيم قائلا..

-أيوة هو عازمنا النهاردة الساعة عشرة..

-كويس إنك قولتلى علشان الحق استعد بقى من دلوقتى..

لما تستعجبون الآن؟؟

إنه قواد..

أتعلمون ماذا تعنى كلمة قواد؟

القواد هو ذلك الرجل الذى على استعداد تام إلى أن يبيع أمه أو أخته أو حتى نفسه من أجل المال

إنه ذلك الرجل الأنانى الضعيف الذى لا يغيره حب ولا يعتريه مذهب..إن الحب بالنسبة إليه شيئاً آخر..إن الحب بالنسبة إليه مجرد شعور كمالى لاينبغى أبدا أن يؤثر على مستقبله أو حتى على هفوة مال فى طريقها إلى أن تأتيه..إنه ذلك الرجل الذى يحيي دائما.. بلا كرامة وبلا نخوة وبلا رجولة..

يبيع عرضه وأهله فقط من أجل المال..

أيضحى الآن بحياته وبمستقبله العاهر من أجل الحب؟؟

تبا للحب..بل تبا ألف مرة لشعور قد يحيق بمصالحه وأغراضه المادية..

إنما الحب له يعد شيئا آخر..شيئا لا يتعلق بأى خسائر ولا يتعلق بأى مصالح....شيئا لا يتعلق بتضحية ..شيئا لا ينبغى لأن يحيق بحياته ويقف عائقا أمام عمله ..إنما يجب عليه بأن يكون مخلصا لذلك العمل ..حتى لو على حساب كرامته..رجولته..حتى قلبه...فتلك هى طبيعة عمله التى تستوجب عليه إبعاد أى شعور إنسانى أو رجولى يصل إلى أن يدهس بقلبه حتى يصبح بالنهاية ..أعظم قوادا.

أتى الليل ..فاارتدت مهدا فستانا لونه فيروزى طويلا ذو أكمام طويلة ..يضيق قليلا عند خصرها ليعطى شكلا متقاسما لجسدها بارزا فيه جميع معالم أنوثتها وتركت شعرها القصير لينسدل على كتفيها..

-أنا جاهزة..

قالت ذلك بمجرد أن انتهت من أناقتها ..فنظر إليها إبراهيم بحسرة وأسف ثم قال..

-جميل ..يلا بينا

-فتأبطت ذراعه بفرح ثم ركبت معه بالسيارة.. أخذت تتحدث إليه طوال الطريق وتحدثه عن فرحتها بخروجها معه وكيف ستكون زيارتها الأولى

لصديقه الوفى يوسف ولقد كانت الفرحة لاتفارق بريق عينيها بينما إبراهيم كان يرتسم على ملامحه الضعف والأسف والخيبة..إنه لايريد ذلك..ولكن أطماعه وخوفه من أن يقف يوسف أمام مصالحه الدنيئة هى من تريد ذلك ..إنه يحبها ولكن لايعنى هذا أن يضحى بكل ذلك من أجل الحب..

إنما الحب شيئا آخر.

-وصلنا...

قال ذلك إبراهيم بعد أن أوقف محرك السيارة ..فردت مهدا..

-بجد؟؟ فين؟؟

فأشار بسبابته قائلا..

-اهيه...العوامة الى هناك دى؟؟

فنزلت عن السيارة ثم لحقها إبراهيم

وأخذت خطواتها فى المضى تجاه العوامة التى كانت تبعد عن الشاطئ عدة أمتار وحينما وصلا إلى الشاطئ ..قام إبراهيم بمهاتفة يوسف لإرسال إليه أحد الرجال لآخذهما من الشاطئ ..وبالفعل لقد أرسل يوسف أحد رجاله بمركب صغير لتوصيلهما بآمان إلى العوامة ..إلى أن صعدا إلى العوامة وبدأ يوسف بترحيبه الحار ..ملمحا إلى إبراهيم قائلا...

-أيوة كدة ..إنت كدة تبقى إبراهيم اللى اعرفه

ثم نظر إلى مهدا متابعا

-إذيك يامهدا عاملة إيه؟

فقالت والإبتسامة تعلو شفتيها

-الحمد لله..أخبار حضرتك إيه

-تمام..اتفضلو..

إستضافهم يوسف إلى داخل العوامة وجلس كلا منهما على مقعد كلا منهما فى مقابلة الآخر وبدأ الحديث لأن يتناثر بينهما بالمزاح والهزل والجد حتى نظر يوسف إلى إبراهيم نظرة يعرفها جيدا كلما أتى إليه بضحية جديدة ثم غمز له بعينيه فااستأذن إبراهيم متحججا..بنسيانه لمفاتيح السيارة وبأنه سيقوم

بإحضارها ثم يأتى على الفور. .
ومن هنا ... بدأت الخطة.
لقد ذهب إبراهيم ليقف أمام سيارته كما كان يفعل دائما وينظر إلى العوامة من بعيد منتظرا ذلك الصراخ الذى تعود إلى أن يسمعه فى كل مرة يأتيها إليه..فذهب إلى سيارته ثم أخرج علبة السجائر خاصته وأخذ يمتص سيجارة تلو الأخرى والحسرة والقهر تغدقه بأعصاب باردة ...إلى أن سمع صراخا كان يتوعد سماعه وهو يدوى فى أرجاء النهر ..ولكن ذلك الصراخ لم يكن كمن زى قبله ..لقد كان فى تلك المرة يأكل جزءا من قلبه.
وإن نظرنا إلى ذلك المشهد بالعوامة ..فسنرى مهدا وهى تحاول مقاومة ذلك الذئب المفترس..الذى كان ينقض على جسدها بلا رحمة وماكان يآبى لصراخها ولا لتوسلها إليه حينما كان يقوم بتمزيق ثيابها وما كان يكترث أكثر

من اكتراثه لإثارته ونشوته ،أما رجاله فلقد كانو يصطفون بخارج العوامة يراقبون الطريق ..والذى مهما علت بصراخها لن يسمعها أحد من المارة..وتصرخ ثم تصرخ ويعلو صوتها بالصراخ تستنجد بإبراهيم ولكن لا حياة لمن تنادى.. ..فينقض يوسف على جسدها كالذئب ويشبع رغباته بكل ذرة بها ويضعف مقاومتها بيديه حتى تخور قواها ويهتك عرضها ثم ينهى رحلته بقبلة سعيدة على شفتيها ويتركها مغادرا العوامة ..وهى ضعيفة ...خائرة القوى ..تحاول استجماع ماتبقى من جسدها الذى استولى عليه ذلك الذئب بلا

رحمة وبلا شفقة ثم أخذت بتهذيب الباقى من ثيابها الممزقة حتى تسترها..
وحينما استطاعت النهوض على قدميها ..خرجت إلى خارج غرفة العوامة
فوجدت إبراهيم ماثلا أمامها وهويعتيريه فتور غريب..لا مشاعر..لا تعبير
يظهر على ملامحه ..فحاولت تحريك شفتيها لتتحدث إليه ولتحكى له عما
حدث .. ولكنها لم تستطيع ...لم تستطع حتى أن يذهب خيالها بأنه قد يكون
السبب فى كل ماحدث..
فجذب إبراهيم رأسها إلى صدره ثم قبلها قائلا..

-معلش

الفصل العاشر

"بداية النهاية"

-معلش

قال ذلك إبراهيم فرفعت مهدا وجهها عن صدره ثم نظرت إليه بااستغراب ..فهو لم يثور لشرفها ولم تتجعد ملامحه من هول الصدمة ولم تجرى الدماء فى عروقه مثل أى رجل حر ..يخاف على شرفه وعرضه ..لقد كان باردا تماما لا يحرك ساكنا فيه ..فزاغت ببصرها ثم أغشى عليها.

حملها إبراهيم بيدان باردتان ثم ذهب بها إلى المنزل ووضعها بالفراش وأخذ ينظر إليها بفتور وهو يحاول إفاقتها إلى أن بدأت بفتح عينيها رويدا روايدا حتى استيقظت على دمعة سقطت على أحد خديها ،، وأخذت تدور بعينيها هنا وهناك..حتى استقر بصرها عليه،وحاولت النهوض عن رقدتها فقام بمساعدتها لتجلس على الفراش وما إن عادت إلى وعيها..حتى قالت

-إنت كنت فين

إنتقل إبراهيم إلى جانبها ووضع يده على كتفيها ثم قال..

-كنت جانبك ياحبيتى

فأشاحت يده بعيدا ثم قالت

-لا قصدى لما الكلب دة عمل عملته معايا

فنظر إليها بحيرة وأخذ يفكر ماذا يقول ومن أين يبدأ حتى تحركت شفتاه ليقول..

-مهداااا...أنا عاوزك تنسى خالص الى حصل

فنظرت إليه بااستغراب ثم قالت...

-أنسى!!

فنهض من جانبها ثم ولى إليها ظهره قائلا..

-أيوة لازم تنسى

-قصدك إيه ؟؟

فاستدار إليها قائلا بحدة..

-قصدى إنك تنسى خالص الى حصل وتعتبريه مااحصلش

فرقرقت أعينها بالدموع ثم قالت بصوت باكى..

-أنسى إزاى ياالإبراهيم...إنت عارف إيه اللى حصلى؟؟

فأجابها بفتور..

-أيوة عارف..ولازم كل الى حصل يتنسى ياامهدا

-يتنسى؟؟ إنت بتقول إيه ؟؟

جلس إبراهيم إلى جانبها مرة أخرى ثم قال قابضا على يدها..

-يامهدا أنا بحبك وعاوزك دايما جنبى وإحنا مش قد يوسف بيه علشان نعاديه

فأفلتت يديها من قبضته ثم قالت والدموع تجرى على خديها..

-بس انا مراتك..فاهم يعنى إيه مراتك؟؟ يعنى شرفك؟؟ إنت..إنت ازاى قبلت الموضوع كدة عادى ..داا اغتصب مراتك..فاهم يعنى إيه اغتصب مراتك!!

-يعنى عاوزانى أعمل إيه يعنى ياامهدا..أروح اقتله وادخل السجن؟؟

لم تكن تصدق ماتسمعه أذنيها ..لم يكن يأتى بتفكيرها ولو لحظة أن يكون ذلك الرجل الذى أقسم على حمايتها بأن يكون بتلك الدرجة من الوضاعة والخسة...لم تكن تصدق بأن يكون ذلك الذى تراه هو نفس الرجل الذى أحبته وأخلصت فى الحب إليه ..ألا يزال الآن فى ناظرها رجل؟؟ ألا يزال فى أعينها مصدر حمايتها وحارسها الأمين ؟ بل أين الحب فى ذلك ..أين الحب فى رجل لا يثور على شرف زوجته ولا تجرى الدماء فى عروقه كلما لمح من يحاول النظر إليها أو ابتغاء سبيلها ..أين الحب فى رجل ليس له كرامة ولا نخوة حينما يهتك أحدهما بعرضه وشرفه ؟؟

أين ذلك الحب الذى كان يتحدث عنه!!

لقد رأت بأعينه فى تلك اللحظة شيئا آخر..شيئا آخر ينافى تماما ما كانت تراه

منه ..شيئا يتعلق قويا بعكس ماكانت تفهمه وعكس ماكانت تشعره ..لقد رأت فى تلك اللحظة شخصا لم تراه ولم تعرفه من قبل.

-إنت مش هامك شرفى يعنى؟؟

قالت ذلك والحزن والحسرة يغدق قلبها فأجابها بكل برود..

-لا ياحبيتى هاممنى طبعا..بس خلينا نفكر شوية بعقل بعيد عن العواطف ..دلوقتى يوسف بيه نفوذه كبيرة جدا وإيده طايلة وممكن يإذينى كتير فى شغلى ويسلط عليا بلطجية كمان..يرضيكى يعنى أتأذى؟ فكرى فنفسك حتى ..تفتكرى أنا لو جرالى حاجة ..إنتى هتعيشى ازاى ولا هتروحى لمين..إنتى ليكى حد غيرى؟؟

فسرحت داخل الفراغ الذى كان يحيق بجانبه ثم أخذت تلوم حظها المائل وتعتب على ذلك الزمن الذى حرمها من كلتا أبويها وجعلها وحيدة بتلك الحياة ولقد استطرق إليها كثيرا فكرة الهروب ولكن إين ..إلى أين ستهرب؟؟

إلى أين ستذهب ..أتجول بالشوارع حتى يجدها مختل آخر ليقوم بأكثر ما قام

به إبراهيم ؟؟ أمن المتوقع ان توجد على الأرض ملائكة ؟!
..إنه لاسبيل لها الآن سوى أن ترضخ لقدرها وترضى بالعيش مع ذلك الرجل الذى أصبحت تحتقره وتكرهه بعد ان تيمت فى غرامه وعشقته ...لم يكن لديها حل آخر لذلك قررت المكوث بجانبه إلى أن يعدل القدر خطته.

كفت مهدا عن عتابه بعد ما تبين لها حقيقته الكاذبة والمخادعة وتظاهرت بالجمود أمامه ولكن كان بداخلها نارا تعصف بكل شعور أحسته يوما تجاه هذا القواد تاركا مكانه كرها وبغضا له ..فتمالكت قواها ثم مسحت دموعها التى كانت تجرى بدون حساب ثم نهضت عن الفراش وقامت بفتح خزانتها لتتناول منامة محتشمة طويلة ثم دخلت إلى الحمام وقامت باارتدائها وعادت لتندثر تحت الغطاء وتتقوقع على نفسها حتى غطت فى نوم عمييييق...

____

خرجت مهدا عن ذكرياتها على صوت زوجها العاشر وهو يقول لها..
-حببتى إحنا وصلنا
فردت قائلة..
-هو دة الفندق؟؟
-أيوة ..يلا انزلى
فنزلت عن السيارة ثم توجهت مع زوجها العاشر إلى مدخل الفندق مما قامو باستقبالهم بالمباركات والتهانى الحارة حتى خلدا إلى غرفتها بالفندق وبدأت

ليلتهما..

-إيه الجمال ده..

قال ذلك زوجها العاشر فور إختلائهما فردت مهدا بالخجل ثم ابتسمت إبتسامة بلا معنى وقالت..

-مش ندمان؟؟

-لا طبعا..أنا بحبك يامهدا ..عارفة يعنى إيه بحبك؟؟

سرحت مهدا لتتذكر عدد المرات التى قيلت لها تلك الكلمة وفى كل مرة كان يخيب ظنها ..وحينما أحس زوجها العاشر بما كانت تفكر فيه أردف قائلا..

-إتطمنى يامهدا..أنا عمرى ماهكون زى الى صادفتيهم وشوفتيهم فى حياتك..أوعدك إنى هحافظ عليكى وهحميكى لحد آخر يوم فى عمرى

لم تفرح بتلك الكلمات ولم تتأثر بها ..فما أكثر ما سمعت منها وما أكثر ما فرحت لها ..حان الوقت الآن لكى تصبح تلك الكلمات مجرد كلمات منزوعة الروح ..كما مر من قبلها وكما لحقها من خيبات وحسرة .. لكنها تظاهرت بالفرحة ثم قالت

-ربنا يخليك ليا..

فخلع زوجها سترت بذلته ثم قال وهو يفك عقدة عنقه..

-أنا هدخل الحمام أغير هدومى واخد دش..لحد ماانتى كمان تاخدى راحتك كدة وتغيرى هدومك..

ذهب زوجها العاشر متجها إلى الحمام طابعا قبلة رقيقة على خديها قبل أن يذهب ثم اتجهت هى أيضاً إلى غرفة نومها وجلست أمام المرآة وهى تفك طرحة الزفاف ثم تسرح ثانيا وتعود إلى ذكرياتها...

مر إسبوعان ومهدا لاتزال تتذكر كل دقيقة ..بل كل ثانية واقعة إغتصابها وفى كل يوم كان يمر عليها..كان يذداد بها نيران البغض والكراهية داخل قلبها ،، فما عادت تلك الصغيرة التى كانت تملئ الدنيا مرحا وفرحا بخفة دمها وشقاوتها وماعادت تلك التى كانت يدب بها روح الشباب والحيوية وإنما باتت طوال الوقت...شاردة..ساهمة ..حزينة ..تغلف عينيها بنيران الحسرة والأسف ..ولقد كان إبراهيم يتحدث إليها كثيرا محاولا لخلق إبتسامتها من جديد ولكن لقد كان كلما اقترب إليها نفرت بكل كيانها منه وجرت الأيام
حتى سمعت مهدا حسيس صوت يعلو وينخفض أمام الباب فااسترقت السمع من خلفه وسمعت صوت تهانى وهى تقول لأحد ما..
-إنت سوقت فيها أوى وانا مش هصبر عليك أكتر من كدة
فرد الطرف الآخر بصوت خافت على ما يبدو بأنه صوت رجل..ولكن لم تستطع مهدا تمييزه أو سماع كل مايقوله مايقوله..وبعد أن سكن الصوت تماما فتحت مهدا الباب على مهل ..فلمحت ظهر رجل يدخل شقة تهانى على عجل ومن سرعة الحدث لم تستطع أن تميز هاوية ذلك الرجل ولقد أثار فضولها

فعلها الغريب وتهامسها المثير للشك ودخول ذلك الرجل إلى منزلها وكأنه يخشى بأن يراه أحد..كل ذلك كان يتحدث عن شيئا مريبا أو غير طبيعيا يحدث..فقررت الإنتظار حتى يخرج لتعرف من يكون ذلك الرجل وما صلته بتهانى والتى شكت بأنه قد يكون عشيقا لها.. فقامت بالإنتظار على درج

الدور الذى فوقها لتستطيع رؤيته بوضوح ...فاانتظرت..قد ماانتظرت حتى خرج الرجل وهو يهذب ثيابه طابعا قبلته على خدى تهانى ملوحا إليها بعودة اللقاء قائلا "هتوحشيني ياحببتى"
ليتضح وجهه إلى مهدا ولتراه بشكل واضح

إنه إبراهيم!!
هنالك كانت الصدمة..بل كانت القاذفة والحقيقة التى تكتشفها مهدا يوما بعد آخر والتى كانت فوق طاقتها لأن تحتملها ..فاانتظرت حتى خلد إبراهيم إلى شقته ثم هبطت على الدرج بحذر لتدق على الباب...
-مهدا ؟ ..كنتى فين ؟ ؟
قال إبراهيم ذلك فور أن فتح لها الباب فأجابته
-أبدا..كنت نازلة أشترى حاجات للمطبخ بعدين مالقتش الحجات الى انا عاوزاها..
-ماشى..
ثم ترك الباب متجها إلى الفراش وهو يقول..

-حضريلى العشا..أنا جعان جدا

-حاضر..

أخذت مهدا تفكر وتعود بذاكرتها لتتذكر تصرفات تهانى الغير مبررة وغيرتها الشديدة التى كانت تلاحظها كلما رأتها مع إبراهيم وحاولت ربط الأحداث

ببعضها إلى أن وصلت إلى حقيقة...

بأنها كانت مجرد دمية بين يدى إبراهيم ..كانت من أجل نزواته وأغراضه الدنيئة وضحية لكذبه وخداعه إلى أن توقفت فجأة عن الحركة تاركة لعقلها مجالا أكبر للتفكير فى كيف تنتقم من إبراهيم.

مر اليوم بسلام ووجدت مهدا بأنه ليس من الذكاء أن تخبر إبراهيم عما رأته وشهدته منه وإنما كان من الضرورى أن تتجاهل سرجى ذلك الأمر حتى تأتى تلك اللحظة الموعودة للإنتقام منه.

لقد علمت مهدا بأن ماتمر به ليس أمرا سهلا..لقد قررت بأن تكف عن تفكيرها المراهق والساذج والتفكير بالأمر بشكل أكثر تعقلا وأكثر نضجا ..لقد علمت قويا بأنها وقعت بفخا عتيقا..لن تستطيع التخلص منه بسهولة وقد يتنازل إبراهيم عنها بتلك السهولة التى تنازل فيها عن عرضها وشرفها ..إنه شخص الآن يتوقع منه أى شئ ..إلى أن أتى يوما سمعت فيه طرقا خفيفا على الباب فتوجست خيفة فى البداية فهذه ليست الطرقات المعهودة على

إبراهيم فتحركت قدميها لتفتح الباب..فجدته..

الفصل الحادى عشر

"حتما ستكون هذه النهاية"

-يوسف؟؟

قالت ذلك مهدا فور أن رأته..فتماسكت وأشاحت بخوفها بعيدا ثم أردفت بجدة..

-خير

-بقى دى مقابلة بردو ياامهدا

فولت إليه ظهرها وضمت إليها ساعديها ثم قالت..

-متوقع أقابلك إزاى يعنى؟

-أنا هفضل واقف برا كدة كتير؟ممكن أدخل؟

فااستدارت إليه وقالت بسخرية..

-بتستأذن علشان تدخل ؟؟ غريبة

-أيوة طبعا ..لازم أستأذن إنتى فكرانى إيه؟

فرفعت طرف شفتيها ثم قالت..

-أبدا..هفكرك إيه يعنى..خيرك سابق يايوسف بيه.. بس عاوزة اعرف ياترى إيه سبب الزيارة الحقيرة دى

-حقيرة ؟؟ ماشى مقبولة منك ..حقك ..بس انا جاى النهاردة فى موضوع يهمك جدا

-تفتكر كدة إيه اللى ممكن يهمنى بعد اللى راح؟

-ممكن أدخل ونتكلم طيب؟؟

فرمقته بنظرة متحدية لتخبره بأنها لم تعد تلك الطفلة الساذجة التى عرفها من قبل وأن تلك التى أمامه فتاة أخرى تماما..ثم فتحت الباب إلى آخره وتركته وذهبت إلى أحد المقاعد وجلست واضعة قدم فوق أخرى ..فدخل يوسف إليها وأغلق الباب ثم جلس بجانبها قائلا..

-هو الموضوع اللى حصل دة غيرك للدرجادى؟

فنهضت عن مقعدها ثم ولته ظهرها قائلة..

-إخلص...كنت عاوز إيه

فنهض هو الآخر وقال بعطف

-مهدا..أنا بحبك

فضحكت ضحكة عالية ثم التفتت إليه وقالت...

-بتحبنى؟؟؟

ثم ضحكت مرة أخرى وتابعت

-تصور...إبراهيم كمان كان بيحبنى

-لا ..أنا حبى يختلف عن إبراهيم كتيبير..وبصراحة أنا مستخسرك فيه

-إيه..ماكفكش المرة الأولى..عاوز تغتصبنى تانى؟؟

-لالالا ياامهدا..أنا المرادى عاوزك برضاكى ..لإنى اتاكدت إنى بحبك ونفسى تحبينى زى مابحبك علشان كدة عمرى ماهغصبك على حاجة والمرة الى فاتت دى إعتبريها غلطة ..صدقينى مش هتتكرر تانى ..إعتبريها ماحصلتش ياامهدا..

فقالت بانهيار..

-إبراهيم يقولى إنسى وانت تقولى إنسى..إنتو إيه مفكرنى حيوانة مابحسش..منكو لله ..إنتو مستحيل تكونو بنى آدمين أبدا

-لا ياامهدا ..هتتأكدى إنى بنى أدم ومش زى ماانتى فاكرة ..لما تسمعى اللى جاى اقولهولك

-ياترى إيه؟؟ فى تمثلية جديدة ألفتها وجاى تجرب دورك فيها؟؟

-لا ياامهدا ..إسمعينى للآخر واحكمى

فعادت مرة أخرى إلى مقعدها ثم قالت

-ماشى...قول..ماانشوف أخرتها

فجلس يوسف هو الآخر ثم قال

-إبراهيم ياامهدا

-ماله؟؟

-إنتى عارفة بيشتغل إيه؟؟

-اة..قالى بيشتغل فى شركة مقاولات

-الكلام دة مش صحيح..إبراهيم بيشتغل قووواد ياامهدا

فرفعت كلتا حاجبيها بااستغراب ثم قالت..

-قواااد؟؟ يعنى إيه قوااد؟

-قوااد يعنى بيشتغل فى الدعارة ويشوف طلبات الزباين ويبعتلهم البنات اللى يطلبوها..أى بنات بقى تيجى فسكته..يقعد يمثل عليهم الإحترام ويتجوزها والأخر يبعها ويقبض التمن وفى بنات كتير شغالة لحسابه من البنات اللى مالهاش أهل أو هربانة من أهلها..كل صيدة وليها ظروفها..

وللأسف إنتى كنتى واحدة منهم

فنهضت عن مقعدها بعد أن جرت الدماء فى عروقها وقالت بعدم تصديق..

-إيه؟؟ إنت بتقول إيه؟

-اللى سمعتيه ياامهدا

-قصدك إن إبراهيم باعنى ليك؟؟

-بالظبط كدة

فخارت عن قواها وارتمت على المقعد ثم قالت.

-معقولة..أنا مش مصدقة

-لا صدقى...وصدقى كمان إن إبراهيم أخد منى مبلغ محترم علشان أعمل معاكى اللى عملته.

فنظرت إليه بعدم تصديق ثم قالت.

-إنت أكيد بتكدب صح؟؟

-لاء مش بكدب وانا مستعد أثبتلك كلامى

-إزاى؟؟

-بسيطة ..نسنتناه لحد مايبجى وهتسمعى بنفسك كل حاجة..

ثم بعد نصف ساعة أتى إبراهيم ليجد يوسف بضيافة منزله وهو يجلس مجاورا مهدا وحينما رأته إعتذرت لتحضر له مشروبا فى حين أن جلس إبراهيم بجانبه ليسأله..

-خير يايوسف بيه ..فى حاجة؟؟

كانت مهدا تسترق السمع إليهما من خلف ستار الممر المؤدى إلى الصالة ولقد حاول يوسف أن يرفع صوته متعمدا حتى تستطيع مهدا سماعه بوضوح حينما قال..

-إيه أخبار البضاعة بتاعتك ياابراهيم

فنظر إبراهيم تجاه المطبخ ليتأكد بأن مهدا لا تسمع حديثهما ثم قال بصوت منخفض..

-وطى صوتك ياايوسف بيه ..أحسن مهدا تسمعنا

-وإيه يعنى ياابراهيم هى يعنى فاهمة أنا اقصد إيه

-طيب تعالى ندخل جوا فى الصالون أضمن

-لالا خلينا هنا ..أنا شوية وماشى..عامة أنا يلزمنى بنت تانية بنفس

المواصفاات اللى انت عارفها وتبعتهالى على العوامة وبنفس المبلغ اللى اتفقنا عليه قبل كدة وياسلام لو تكون زى مهدا كدة يبقى تمام أوى

قال ذلك يوسف بصوت عال حتى استطاعت مهدا سماعه فرد إبراهيم قائلا..

-أمرك يايوسف بيه..بس أرجوك وطى صوتك

فضحك يوسف ضحكة عابرة تأكيدا لمهدا عما عن حقيقة ما نبأها به ثم قال.

-مع السلامة ياابراهيم

ذهب يوسف تاركا لمهدا حقيقة واضحة لتستشف منها ما تريد معرفته ولتعرف حقيقة عمل ذلك الوغد الذى خدعها ولتتيقن حقيقته التى زيفها بالخداع والغش.

بعد أن تأكدت مهدا بصحة ما قاله يوسف.. ذهبت إلى إبراهيم لتؤكد له بأنها لم تسمع حرفا

مما كان يقوله يوسف ولتقتل الشك لديه حتى تستطيع خداعه وصب إنتقامها منه وحينما أتت إليه تطرق إبراهيم إليها سائلا...

-غريبة يعنى...أدخل والاقيكى قاعدة معاه؟ إيه اللى حصل

-ماحصلش حاجة ..عادى ..نسيت زى ماقولتلى ..هو أنا هفضل كل شوية افتكر واحرق فى دمى؟

-نسيتى؟ ..اااة..امم وياترى كنتو بتتكلمو فإيه؟

-ولا حاجة ..كلام عادى ..قولى صحيح إنتو كان صوتكو عالى كدة ..كنتو بتتكلمو فإيه؟

تنفس إبراهيم الصعداء وحمد الله بأن مهدا لم تسمعهما ثم قال..

-أبدا..شوية شغل كدة

-ماشى...أحضرلك العشا؟

-لا أنا رايح مشوار كدة وجاى تانى ..نامى إنتى

-طيب..زى ماتحب

لقد كانت تعلم بأنه يريد الذهاب إلى تهانى..فتجسست على الباب فور خروجه..حتى استطاعت أن تسمع همس أصواتهما فتيقنت بأنه بالفعل قد قام بالذهاب إليها.

تظاهرت الآن خيوط الحقيقة أمام مهدا.. لقد خدعها إبراهيم وطغى على شرفها ومرمغه فى الوحل والآن يقوم بخيانتها!!

يوما بعد يوم ويزاد غضبها وكرهها الشديد إليه ..لذلك فهى لن تدع الأمر ليمر بهذه البساطة ..لقد عدلت الآن عن خطتها .. .فجلست على الأريكة ثم أعدت لها فنجانا من القهوة وأخذت تفكر بكل ماحدث للأمر من بدايته إلى أن رن هاتف المنزل واالتطقت السماعة لتجيب..

-ألو...مين؟؟

ليرد عليها رجلا من الطرف الآخر قائلا..

-ها..دلوقتى إتأكدتى ؟

إنه صوت يوسف..فأجابته

-أيوة

-عاوز أقولك حاجة كمان

-قول

-إبراهيم له فى كل مكان بيت متأجره وفكل بيت بنت كدا ززيك..بيستغل ضعفها وإن مالهاش أهل ويهددها بإنه هيبلغ عنها أهلها ويبلغ البوليس فاالبنت تخاف ويبدأ بقى يشغلها لحسابه وأخر واحدة اللى كانت قبلك ..كان جاييها فنفس الشقة اللى انتى فيها وراح بيها لراجل من رجال الأعمال المشهورين والبنت مااستحملتش فجالها نزيف وماتت وتاووها فى مكان ماحدش يعرفله جره واما صاحبة الشقة اللى متأجر منها وأهل الحارة سألوه عنها ..قالهم ماتت واتدفنت فى البلد والبجاحة كمان إنه عملها عزا..بس طبعا ماحدش من أهل الحارة صدقه ..لإن حواراته كانت كترت وكل فترة يجيب بنت ..مرة اخته ومرة بنت عمه ومرة مراته وييجو فترة ويختفو وأخر مرة كنتى إنتى فقال يتجوزك و يضرب عصفورين بحجر ..منها يشيل أنظار الناس عنه ويخرص كلامهم وفنفس الوقت يستخدمك للزباين بتوعه ..إبراهيم مش زى سهل ماانتى متوقعة وأنا اعرف كل حاجة عنه علشان كدة دايما تلاقيه بيخاف منى وبيعملى مليون حساب..

كان عقلها تماما فى حالة صدمة ..لا تستطيع أن تصدق ماتسمعه ..وجرى فى خاطرها بأن إبراهيم الآن على إستعداد لأن يضحى بها تضحية جديدة من أجل أى شئ قد يقف فى طريقه وأنها الآن فى خطر.. إلى أن قاطع يوسف تفكيرها قائلا..

-مهدا..إنتى رحتى فين؟؟

-معاك..أيوة يعنى دلوقتى إنت عايز إيه؟

-عايزك يامهدا ..أنا بحبك ..بحبك من أول دقيقة شوفتك فيها وحبيتك أكتر فى المدة الى عرفتك فيها واللى حصل دة نتيجة لحبى ليكى مش أكتر ولإنى كنت عارف إنك مش هتوافقى

-بتحبنى؟؟ هو الى بيحب حد يعمل فيه كدة؟

-أنا أسف ..بعتذرلك وطالب رضاكى..شوفى إيه يرضيكى وانا اعمله ..المهم إنى عايزك دايما معايا وجنبى

-يعنى إنت عاوزنى أعمل إيه؟؟ ماانت عارف إنى متجوزة إبراهيم

-إهربى منه وتعالى ..أو انا ممكن أخليه يطلقك إيه رأيك؟

سهدت مهدا قليلا وتألق بداخلها شعور خبيث ثم قالت..

-وانا إيه ضمنى إنك مش هتبعنى زيه؟؟

-خدى الضمانات اللى عايزاها وانا تحت أمرك

-خلاص..تكتبلى شقة بإسمى..بعدين نتجوز وتصلح غلطتك

-حاضر..زى ماتحبى

-خلاص..سيب موضوع طلاقى دا عليا انا وماتجبلوش سيرة..لإنه ممكن يعند وإبراهيم يعتبر بعد اللى قولته دة مش مضمون

-حاضر..اللى تشوفيه

وجدت مهدا بأنه من الذكاء أن تحتمى برجل ذو نفوذ مثل يوسف وأنه من الخطر تواجدها بكنف إبراهيم الذى لا يبقى عليه غاليا وإنما أطماعه هى دليله الوحيد ومبتغاه فى الحياة دون إعتباره لأى شعور إنسانى خاصة حينما علمت بأمر عمله الذى يتعلق بالعهر والفسق واما يوسف برغم سفالته ووطائته فوجدت بأن وضعه كرجل أعمال مشهور له سمعته ذو مال وذو نفوذ ..لن يحتاج إلى المتاجرة بها.

أخذت مهدا تفكر بخطتها التى تعزم على تنفيذها بكل دقة وإتقان ..ولقد كان هناك شيئا يدور بعقلها وترغب فى تنفيذه ولكن كان يلزمها يد مساعدة لتلك الخطة.

-مين؟؟

قالت ذلك تهانى حينما سمعت طرقا خفيفا على الباب فذهبت لتقوم بفتحه لتجدها..

-مهدا؟؟ خير

-معلش..أنا عارفة إنى جيت فى وقت مش مناسب بس أنا جيالك فى موضوع مهم

-موضوع مهم؟؟ طيب ..اتفضلى

خلدت مهدا إلى داخل شقتها وقامت بالجلوس بجانبها ثم قالت لها بدون مقدمات

-إبراهيم ياتهانى

فارتبكت ثم نهضت عن مقعدها وولتها ظهرها وهى تفرك بيديها قائلة..

-إبراهيم؟؟...ماله إبراهيم

-إبراهيم بيلعب بيا وبيكى

فاستدارت إليها ونظرات الدهشة تحيقها ثم قالت

-مش فاهمة

-أنا عارفة كويس إيه اللى بينك وبين إبراهيم

دب القلق بداخل تهانى وارتبك شعورها فوليت إليها ظهرها ثم قالت..

-إيه اللى هيكون بنا يعنى

نهضت مهدا عن مقعدها ثم استدارت إلى وجه تهانى لتقول..

-بصى ياتهانى من غير لف ودوران..علاقتك بإبراهيم مش قصتنا دلوقتى..أنا عاوزة أعرف بس حاجة واحدة ..إنتى عارفة إبراهيم بيشتغل إيه؟؟

-أيوة طبعا..هو قالى إنه شغال فى شركة مقاولات

فضحكت مهدا بصوت مرتفع ثم قالت

-يبقى إتضحك علينا أنا وانتى ياحبيبتى

-قصدك إيه؟؟

-قصدى إن إبراهيم... قواد ..بيشتغل فى الدعارة

ثم نظرت إليها بمكر وتابعت..

-كويس إنى جيت أقولك قبل فوات الآوان

-قصدك إيه؟؟ وإيه الكلام الى بتقوليه دة؟

-قصدى كويس إنى لحقتك قبل ماابراهيم يبيعك لواحد من زباينه

-مش فاهمة!!

-إبراهيم زى مااصطادنى علشان يبعنى لواحد من زباينه ..بردو اصطادك اكيد لنفس الهدف ..ماتفكريش يعنى إنه حبك بجد..إبراهيم بيحب نفسه وبس..والحب مالوش علاقة خالص بمصالحه الشخصية..

رفعت تهانى كلتا حاجبيها بااستغراب ثم قالت..

-إيه الكلام اللى بتقوليه دة؟؟

فااقتربت مهدا من أذنيها ثم قالت

-بقول إنه كدب عليكى وفهمك إنى أخت مراته وفى الحقيقة أنا ماكنتش اعرفه ولاا هو يعرفنى وكان بيستغفلك كل دة وكل الى جم معاه قبل منى كانو نفس الحكاية ..لايعرفهم ولا يعرفوه ..كان بيجبهم علشان يبعهم لزباينه وفيهم اللى اتجوزهم وفيهم لاء وانا للأسف كنت ضحية زيهم .. أنا جاية أقولك إلحقى نفسك قبل ماتضيعى

فشهقت تهانى بصدمة ثم احتقن وجهها بالدماء ثم قالت..

-لاء ..داانا لحمى مر ..وبعدين أصلا أنا إيه يأكدلى كلامك

عادت مهدا لتجلس بهدوء على مقعدها ثم قالت..

-يأكدلك كلامى ..لما كان بيغيب عنك بالاسبوع والاسبوعين واوقات شغله الغريبة والمش منتظمة..البيه متأجر أكتر من شقة فى أماكن مختلفة وكل شقة فيها ضحية زيي وزيك ..غير إنى بنفسى بقولك إنى مش أخت مراته ولا حاجة..مراته الى الى قالك عليها إنها ماتت ..هى ماتت فعلا بس على يد واحد من زباينه . اللى كان واخدها ليه ..البنت مااستحملتش فجالها نزيف وماتت ..واترمت فى الشارع زى أى كلب مابيموت ...إبراهيم اللى بيلاقيه مالوش فايدة لحياته ومش عايدله منه منفعة..بيتخلص منه...حتى لو بالقتل!!

-وإنتى عرفتى كل دة إزاى ؟ ؟

-من واحد صاحبه ويعرفه كويس ..وصاحبه دة هو نفس الزبون اللى خدنى ليه..علشان يبيعنى ليه

-وإنتى عملتى إيه ؟

نهضت مهدا عن مقعدها ثم ولت إليه ظهرها لتقول..

-هعمل إيه يعنى ؟ ؟ أدى الله واادى حكمته

كان هناك شيئا قويا يجعل تهانى تصدق كل ماتقوله مهدا بالرغم من إختلافها الشديد معها،،وذلك الشئ استمدته من بحر ذكرياتها وتصرفات إبراهيم الغير

مقنعة طوال هذه السنون الطويلة وتغيره نحوها حينما ظهرت مهدا بحياته..
كان كل شئ يوحى بالغرابة وبأن هناك شيئا مريبا يحدث ولكن استطاع إبراهيم بكل براعة إلى أن يطرد أى شعور غريب يعتريها فهو يعرف جيدا.. نقاط الضعف لديها.. وبعد أن أحست تهانى بصدق كلماتها وبأنها قد لمست الكثير من حقيقة ماتقول وشهدته ولاحظت غرابته..قالت لها..

-وإنتى معقولة يعنى جاية تقوليلى الكلام دة علشان تنصحينى؟؟

-لالالالا خالص...أنا بقولك كدة علشان أنقذك

فرفعت تهانى إحدى حاجبيها ثم قالت..

-تنقذينى!!

-أيوة طبعا

-من إيه؟؟

-من اللى إبراهيم ناوى يعمله معاكى

-وإيه اللى ناوى يعمله؟؟

-إبراهيم الخطوة الجاية ..هيحاول يهددك

-يهددنى؟؟

-أيوة يهددك علشان تسمعى كلامه وتوافقى إنه يتاجر بيكى

-وهيهددنى بإيه إن شاء الله

فااقتربت مهدا إلى أذنيها مرة أخرى لتقول..

-هيهددلك إنه يعرف الناس إنه على علاقة بيكى و هيهددلك بالفيديوهات اللى كان مصورها ليكى وانتى معاه علشان لو ماوفقتيش باللى هو عاوزه

-فيديوهات؟؟

-أيوة كان بيصورك لما كنتى بتكونى معاه بكاميرا كان مخبيها فأوضتك ..أنا شوفت الفيديوهات بنفسى

ثم ولتها ظهرها وضمت إليها ساعديها متابعة..

-أمال أنا عرفت اللى بينكو إزاى ؟

إرتمت تهانى على المقعد من آثر الصدمة وأخذت تفكر بمصيرها الذى أحست بأنه أصبح ميؤسا منه ثم قالت بيأس تام..

-طب والعمل؟؟

-العمل قدامك وسهل جدا وعملتيه قبل كدة مش جديد عليكى يعنى

-إيه هو؟

فهمست مهدا إلى أذن تهانى قائلة..

-تسميه

لطمت تهانى لطمة قوية على صدرها ثم قالت..

-إيه أسمه؟؟

فااعتدلت مهدا عن إنحنائها ثم قالت..

-إيه ياإتهانى ..هى غريبة عليكى؟؟ إنتى مش هتعملى حاجة جديدة.إنتى

هتعملى معاه زى ماعملتى مع جوزك بالظبط..

-إيه إنتى بتقولى إيه؟؟ الكلام دة مش صحيح

-بقول اللى سمعتيه..أنا دلوقتى أعرف عنك كل حاجة وأصلا مش موضوعنا خلينا فى اللى احنا فيه..ها قولتى إيه؟؟

-طب وماتسموش إنتى ليه؟؟

-مش هعرف للأسف الموضوع دة عاوز حد يكون مجربه قبل كدة ..وانا لو عملت كدة هنكشف والخطة كلها هتبوظ ..إنتى أضمن...وليكى عندى أجبهولك لحد عندك وميت من الجوع كمان ..ها قولتى إيه؟

إن مادفع مهدا إلى أن تبحث عن خطة بهذه العبقرية للإنتقام هو نارها التى كانت تتقد بداخلها وتذداد يوما بعد آخر ولقد اكتسبت مهدا دهاء النساء الذى جعلها تلمس سلكا شائكا يخص بشرف المرأة وعرضها حينما قالت لتهانى بأن إبراهيم قد قام بتصوير علاقتها حتى لا تعطيها أى مجالا للتراجع عن خطتها ..حتى لو كان إختلاقا من كذبا..المهم عندها هو أن تنفذ خطتها بمنتهى الدقة والإتقان..

-طيب ..هنتخلص منه إزاى؟؟

-أنا إبراهيم الفترة الأخيرة دى لما كان بيروح معايا علشان نشترى حجات

للبيت قدرت اتعلم منه شوية فى السواقة ....هنستنى لحد الساعة ٣ ونشيل جثته أنا وانتى ونحطها فى شنطة العربية ...وانتى تطلعى فوق ومالكيش دعوة بالباقى..

أخذت تهانى تحملق بوجهها وتتسائل...من أين أتت بكل هذه القسوة ..من أين أتت بكل هذا الجبروت ..أيجعلنا الإنتقام نصل إلى هذا الحد من العنفوان والقسوة؟!

ثم شعرت بكيد نفسها وبرغبتها هى أيضا بالإنتقام منه والتخلص منه إلى الأبد .

"______

-مهدا..يامهدا.. حضريلى العشا

قال ذلك إبراهيم فور دخوله إلى المنزل فردت قائلة..

-أسفة ياحبيبى ..كنت تعبانة شوية ماعرفتش أطبخ النهاردة

-يعنى يامهدا جاى تعبان والأخر مالاقيش أكل؟؟

-طيب تستنى اما اعملهولك؟؟

-ولا مستنى ولا متنيل...انا خارج اتغدى برا

ثم قصف الباب خلفه وانتظر قليلا على الدرج حتى يتأكد بأن مهدا لن تتبعه

ثم استرق الطرقات إلى شقة تهانى ففتحت له ..وحينما وجد العشاء معدا على الطاولة بمجرد أن دخل ..قال لها باستغراب..

-إيه دة إنتى كنتى مستنية حد؟؟

-أة

-مين؟

فاحتوت عنقه بيديها ثم قالت..

-كنت مستنياك

-ياسلاااام ..يعنى كنتى تعرفى إنى جاى؟

-أيوة طبعا ..قلبى بيحس

-ربنا يخليلى قلبك

قال ذلك ثم انضم إلى الطاولة وأخذ بتناول الطعام بنهم وتهانى تتأمل لحظاته الأخيرة حتى شعر بوعكة شديدة وذهب إلى المرحاض ليفرغ كل مافى جوفه وفى تلك اللحظة سمعت تهانى طرقا خفيفا على الباب فقامت بفتحه..إنها مهدا..فأشارت إليها تهانى تجاه المرحاض إلى أن رأت إبراهيم وهو يظهر من خلف الستائر وهو يحاول إعادت توازنه حيث كان يترنح يمينا وشمالا حتى فقد توازنه تماما وسقط على الأرض والسم لا يزال ينتشر بسرعة فى دماؤه إلى أن قام برفع يده إلى مهدا مستنجدا بها..

فضحكت ضحكة صاخبة...ضحكة أخرجت بها جميع أوجاعها وآلاامها ثم قالت...

-معلش!!

الفصل الثانى عشر

"بين القسوة والحب"

معلش!!

قالت ذلك مهدا مهدية له جميع ما ذاقته وما تجرعته من لوعة وألم ..وحينما كان يلفظ أنفاسه الآخيرة ..كانت هى تنظر إليه بتشفى ولم تتذكر له ولو شيئا بسيطا يشفع له عندها ..إنماافعله بها فاق حدود قدرتها عن العفو والسماح ..إن مافعله شيئا بشعا لا تستطيع أى إمرأة على وجه الدنيا أن تصفح عنه ..فأخذت تنظر إليه وتتأمله هى وتهانى بأعصاب باردة..إلى أن إنقطعت أنفاسه تماما...

-هو مات كدة؟؟

قالت ذلك تهانى حينما مررت يدها أسفل أنفه وأحست بأن أنفاسه قد انقطعت فتحسست مهدا النبض فى عنقه ثم نهضت عن الأرض وقالت..

-هو خلاص كدة مات..هنستنى لحد الساعة ٣ ونشيله أنا وانتى وننزله فى العربية تحت أنا جبت المفاتيح..

فلمع الخوف بأحداق تهانى مما أصابها رعشة خفيفة بجسدها جعلتها تقول..

-أنا خايفة أوى

فرمقتها مهدا بنظرات قاسية ثم قالت.

-ماتخافيش..الوقت بيعدى بسرعة جدا وكل شئ هيكون تمام...

لا تعلم مهدا من أين أتت بكل هذه القسوة..

...من أين أتت بكل هذه الغلظة..

قلبها الدافئ ..الذى ماكان يسكنه سوى الحب والطيبة لماذا أصبح الآن باردا قاسيا ؟!

إن سبب ذلك التغيير ...شيئا قويا تأذت منه روحها ومشاعرها التى أحست بأنها تمرمغت بين أهواء رجل حسبته سندا وملجئا من ذلك المجتمع الظالم..لقد شعرت بالضعف..شعرت بالوهن ..شعرت بأنها أنثى بلا كرامة يستطيع كل من أراد لأن يدهسها ..فخرجت عن طورها...عن وهنها...عن ضعفها ..عن خوفها وشعورها بالجبن والخيبة ..لتأخذ بحق كرامتها وشرفها وحينما تملك منها الغضب..لعنت كل شئ ..لعنت حتى نفسها التى تعاملت مع ذلك المتجمع بتلك العفوية والسذاجة ...لعنت قلبها الذى أضل هواه حينما شعر بالحب نحو قاتله..لعنت كل شئ دافئ كان ينبض بداخل عروقها وتحول كل ذلك إلى جحود وقسوة مما جعل قلبها أقوى آلالاف المرات لتقابل جميع ماحدث بأعصاب باااردة...فاترة وشعور لا معنى له.

أتت الساعة الثالثة صباحا ..فقام كلاهما بلف الجثة ببعض الملائات وقاما بحملها على مهل إلى أن قاما بإخراجها من باب ومن ثم عبر الدرج إلى أن وصلا إلى السيارة وكل ذلك بحذر تام برغم من ثقلها حتى قاما بثنى الجثة ووضعوها بالسيارة.

أشارت مهدا لتهانى بالعودة إلى شقتها للتخلص من أى أثار له ولسمها القاتل الموضوع بالطعام ثم ركبت بالسيارة وأدارت المفتاح وتحركت بها إلى خارج الحارة وأخذت فى المضى بالسيارة إلى أن وصلت إلى مكانا على مايبدو أنه مهجورا ليس به أحد ونزلت عن السيارة بعد أن مسحت أى بصمات لها على المقود كما كانت ترى بالأفلام وتركت السيارة الحاملة للجثة ثم خرجت إلى الشارع العمومى واستقلت سيارة أجرة لتوصلها إلى باب الحارة وأخذت تتلفت يمينا وشمالا وتختبئ هنا وهناك وبحرص شديد استطاعت الدخول إلى المبنى دون أن يراها أحد ...ثم بعد ذلك..

-مين؟؟

فردت مهدا بصوت وشوش

-إفتحى ياتهانى أنا مهدا..

ففتحت الباب بحذر ثم تركت مجالا ضيقا لتدخل منه مهدا

-ها عملتى إيه؟؟

فردت تهانى لتقول..

-كله تمام ..واتخلصت من الأكل وكل حاجة

-تمام..أنا هرجع للشقة بقى.

فتمسكت تهانى بذراعها قائلة..

-طب ماتباتى معايا هنا...أنا خايفة أوى وحاسة إن روحه معايا فى البيت

-لالالا..لازم كل حاجة تبان طبيعية وإلا هنروح فى داهية

فأفلتت تهانى ذراعها باﺍستسلام ثم قالت..

-طيب..ربنا يستر

عادت مهدا إلى شقتها...نعم فلقد أصبحت الآن بعد موت ..أقصد بعد قتل إبراهيم شقتها..ثم ذهبت إلى الفراش وارتمت عليه بكل تهالك وتعب ،،وأخذت تفكر قبل نومها بتلك القوة التى واتتها وبذلك الثبات الإنفعالى الذى جعل قلبها لا يتردد لحظة عن المضى فى خطتها ولا يشعر بالخوف حينما تحركت بالسيارة التى كان يوضع بها الجثة ولا عن جماد أعصابها حينما تركت الجثة بذلك المكان المهجور وثبات قدميها دون أى خوف أو قلق..لقد كان شعورا غريبا لم تستطع حتى الآن وصفه ...إنه لأمر محير فعلا ولا يستطيع الإجابة عنه إلا أؤلئك ذو القلوب الطيبة ...النقية ..الذين ذاقو كثيرا من قسوة الدنيا وعذاب الزمن...أؤلئك الذين نصعت بياض قلوبهم وعاشو فى الحياة بإخلاص مشاعرهم وبرائة أعينهم ثم طافت بهم الحياة بجميع أنواع المر ...لقد حان الوقت الآن لأن يتعلمون الدرس جيدا ، وليعلمون بأنهم لاينبغى

لهم أن يفنو أنفسهم وجميع مشاعرهم من أجل شئ تافه يدعى الحب..إن الحب أحيانا يكذب .....أين الثقة إذا فى كيان يكذب؟؟؟

لالاالا إنه فقط شعور قد يضل أو يهدى ..يصدق أو يكذب..إنه حتى يستطيع أن يكون صادقا داخل كيانا كاذبا..تراهااااات وسخااافااااااات

إن مايحدث الآن ليس له أى علاقة بالحب

إنما له علاقة بالكره..بالبغض..بالإحتقار

..بالغضب..بالإنتقام..بالإجرام...بالوحشية

نتيجة لشخص خذله من أحب.

أغمضت أعين مهدا بعد دقائق معدودة من المهاترات النفسية ثم غطت بنوم عميق..

عميق جدا..وكأنها لم تنام من قبل ...نعم فلقد كانت منذ حادثة إغتصابها وهى لاتنام إلا دقائق معدودة والآن بعد أن اقتصت لشرفها...هدأ بالها وسكن فكرها واستسلمت أخيرا لذلك النوم ليعوضها عما سرقه الفكر والسهر من راحتها وأحلامها.

استيقظت مهدا على صوت دق الباب..فنهضت عن الفراش بتكاسل ثم فتحته لتجد جماعة من أهل الحارة ينبؤنها بأسف..خبر وفاة زوجها إبراهيم الذى وجده أحد العابرين نهارا وهو ملقى بحقيبة السيارة والذى قد دلهم عليه هو مجموعة من الكلاب كانو يلتفون حول السيارة ويجرون شئ من حقيبة

السيارة ..مما قرر هذا الرجل معرفة ما ذلك الشئ الذى يجرونه بداخل الحقيبة التى تركت مهدا بابها مفتوحا قبل أن تذهب فوجد جثته وقام بإبلاغ الشرطة والتى وجدت بسيارته بطاقته الشخصية مما دلهم على مكانه ..فمثلت مهدا الإنهيار وأخذت بالصراخ والولولة حتى انتهت الإجراءات والتحقيقات التى لم تصل إلى أى شئ وتمت مراسم العزاء وقيد المحضر ضد مجهول.

مر شهران على وفاة إبراهيم ومهدا وجارتها تهانى يقومان بدورهما على أكمل وجه ..حتى أتى يوما رن به الهاتف لتجيب مهدا ويرد الطرف الآخر..

-البقاء لله

إنه يوسف ..إستطاعت مهدا تمييز صوته من الوهلة الأولى فردت قائلة..

-ونعم بالله ...إذيك

-الحمد لله...أنا قولت ابعد شوية الفترة الى فاتت دى بسبب التحقيقات الى كانت شغالة وانتى عارفة وضعى مايسمحليش أدخل فى سين وجيم..

-لالالا عملت خير..أنا كنت هقولك كدة بردو..كويس إنك ماجتش

-بس إيه حكاية إبراهيم دى ؟

-معرفش ..أكيد مش انت صح ؟

-إنتى اتجننتى ياامهدا لاء طبعا

-أمال مين ؟ ؟

-معرفش..مش ممكن جارتكو الى اسمها تهانى دى ؟ ؟

-لالالا تهانى ماتعملش كدة ..ثم إنها هتعمل كدة ليه

-عادى ..مانا قايلك الكلام اللى الحارة كانو بيقولوه عليها فى موضوع جوزها

-أيوة ..بس دا إيه علاقته باابراهيم ؟

-عادى..ممكن يكون إبراهيم اتغابى معاها شوية فقالت تخلص منه

-لالالالا وهى هتعرف تشيله وتحطه فى العربية وتعمل الحجات دى كلها ازاى..العملة دى عملة راجل مش ست

-جايز بردو..المهم إنتى عاملة إيه ؟

-كويسة

-إيه ياجميل ..اهو ابراهيم غار من سكتنا ..مش هنتجوز بقى زى ماقولتى وتسيبى البيت المقرف دة وتيجى تعيشى معاايا ؟ ؟

-لالالالا مش وقته خالص الكلام دة ...غير إن شهور العدة لسه ماخلصتش هنتجوز ازاى...باطل يعنى ؟

-لا ياستى ولا باطل ولا حاجة ..اللى يريحك

-واهو بردو علشان محدش يشك لحاجة ...ماتنساش إن القضية لسه مفتوحة والمباحث بتشك فصوابع إيديها

-معاكى حق...ماشى ..وقتى ماتحبى إنتى معاكى الرقم إبقى كلمينى

-حاضر

-يلا مع السلامة

-سلام

أغلقت مهدا الهاتف ثم اتجهت إلى غرفة نومها ونظرت إلى المرآة وكأنها تتفقد معالم أنوثتها ...وفى تلك اللحظة طرق الباب وذهبت مهدا لتفتحه فوجدتها تهانى..

-إتفضلى..

قالت ذلك مهدا فور ان رأتها

فردت تهانى بترحيبا حارا ثم قالت بعدما دخلت الشقة

-كنتى بتعملى إيه؟؟

-أبدا..كنت ببص فى المراية ...بتصعب عليا نفسى أوى كل ماابص فى المرايا

-ليه ياحببتى..داانتى لسه صغيرة وفعز شبابك

-وإيه الفايدة وأنا حاسة إنى زى ماأكون واحدة عجوزة

-طيب تعالى كدة نشوف فى المراية

جرت تهانى مهدا من ذراعها ثم خلدت إلى غرفتها لتقفان أمام المرآة ثم تتناول تهانى فستانا قصيرا من خزانة مهدا وتعطيه إليها قائلة...

-خدى إلبسى كدة الفستان دة

رضخت مهدا لما قالته تهانى وقامت بالفعل بارتدائه ولقد كان يصل إلى قبل ركبتيها ...عارى الذراعان ..يحمله حمالتان سميكتان ..وحينما إنتهت من ارتدائه جذبتها تهانى إلى المرآة ..لترى به قدها وجمالها قائلة...

-بصى كدة يامهدا شايفة جسمك فى الفستان عامل ازاى؟؟

-أيوة..الفستان حلو فعلا..

-وتفتكرى الجمال إتخلق علشان يستخبى؟؟

-قصدك إيه ...عاوزانى أخرج عادى كدة؟؟

-وانتى كنتى جايبة الفستان علشان تقعدى بيه فى البيت؟؟

-ايوة عجبنى ..فكنت جيباه ألبسه كدة فى البيت قصاد إبراهيم بس

-لا ياحبيتى ..إنتى لازم تنسى اللى فات وتشوفى نفسك ..وتتباهى بجمالك اللى ربنا خلقهولك..إنتى صغيرة والدنيا لسه قدامك...إتمتعى بشبابك على قد ماتقدرى..وماتبقيش خايبة زيى

-خايبة ليه؟

-أبدا...كنت مفكرة الدنيا فلوس وبس.

طلع إن مش كل حاجة الفلوس وإن فى حجات تانية ممكن تكون نقصانا

-زى إيه؟؟

-لما تتجوزى راجل كبير قد ابوكى...هتعرفى..المهم دلوقتى إنتى لازم تقلعى الاسود دة وتلبسى وتتشيكى وتشوفى حياتك ..الجسم دة ماالتخلقش علشان يستخبى أبدا..

الفصل الثالث عشر

"حالة حب"

سهدت مهدا فى المرآة التى كانت تعكس جمال قدها ثم نظرت إلى تهانى وقالت..

-معاكى حق..

هنالك تغير كل شئ ..حتى ملامحها البريئة تم تلطيخها بألوان التجميل التى أخفت تماما جانب البرائة لديها وأظهرت جانبا آخر لأنثى متباهية بجمالها ..فخلعت ردائها الأسود ثم بدأت لأن ترتدى فساتين قصيرة ملونة..أغلبها قد أعطتها إليها تهانى لعدم حاجتها إليها ،،ونزلت إلى الحارة بعد أن كانت تعتكف دائما بالمنزل ..فأسرت قلوب الرجال ثم نزلت إلى أرض الحياة لتبحث عن عمل ..حتى استطاعت بفضل مظهرها أن يقبل بها مدير أحد البوتيكات الفخمة الخاصة لأن تعمل لديه و

بدأت مهدا لأن تعتنى كثيرا بجمالها وأناقتها..حتى أصبحت كلما رأها أحد من أهل الحارة أو فى أى مكان دب قلبه إليها ..إلى أن جاء بمحض الصدفة

..شابا يافعا يظهر عليه معالم الشباب والحيوية ارتطمت دراجته بجسد مهدا التى كانت تمضى بالحارة ناظرة تجاه المقهى الذى كان ينتصب به عراكا ..فسقط عن دراجته ثم سقطت هى الأخرى..فصرخت بوجهه قائلة..

-مش تفتح ياعمى؟؟

فنظر إليها بأسف ثم قال وهو ينهض..

-أنا أسف

ثم مد يده إليها ليساعدها على النهوض فأشاحتها بعيدا ونهضت من تلقاء نفسها ثم رمقته بنظرات غاضبة وقالت..

-أعمل إيه أنا دلوقتى بأسف دى ..إفرض كنت اتكسرت ولا جرالى حاجة

-الحمد لله إنها جات سليمة

فنظرت إليه بغيظ ثم التزمت الصمت وتابعت طريقها ..فجذبها من ذراعها ليقول بحنو..

-إنتى كويسة؟؟

فاالتفتت إليه لتتلاقى عيناها بعينه السماوية ولتسبح بملكوت عينيه التى كان يزينها لون السماء الهادئ ورموشه التى كانت تحرسها ثم أحست بشئ من الزهو فى قلبها وكأنها تعرفه منذ زمن مما طرد الغضب بعيدا وجعلها تستدير بجسدها إليه وتريح ملامحها الغاضبة لتخلق من رحم الغضب إبتسامة جميلة على ثغرها وبعينيها بريق يضئ لونهما الأسود ثم قالت

-الحمد لله..

-لو فى حاجة قولى أو تعالى أكشف عليكى

قال ذلك ولاتزال عيناها ترتكز على عينيه بانجذاب شديد ..إلى أن قالت..

-لا الحمد لله أنا كويسة..حصل خير

فنظر إليها هو الآخر بإعجاب شديد مع نظرة غافلة أخطفها لتلك الجميلة.. والتى كانت بين لحظة والأخرى..تزيح خصلة من شعرها الناعم تائهة على جبينها وما أراد أن ينتهى حديثهما ..وما أراد أن يذهب ولكن ذهبت تلك الكلمات التى لم تجد من يقولها..إلى أن ركب دراجته بعد أن اعتذر منها ثم رحل.

ومضت فى طريقها سارحة وخيالها يستعيد جمال عيناه وطلته الواثقة وملامحه دقيقة التقاطيع.. لقد كان كامل البهاء.. يسر الناظرين ولكنها لم تقو على النظر إليه كثيرا خوفا من نفسها وعلى نفسها من ذلك الجمال الذى ألقته الصدفة فى طريقها وأخذها خيالها معها إلى غرفة نومها ولا تعرف متى دخلت فى النوم أو متى أغلقت عينيها ..لتراه مرة أخرى فى أحلامها وهو ينظر إليها بلون عيناه السماوية وابتسامته الرائعة ثم تصحو مبتسمة على حلم جميل ماكانت تود أبدا لأن تستيقظ منه وإنما حاولت جاهدة أن تعود إليه ولكن دون جدوى لقد سمعت طرقا على الباب أزعجها ..فنهضت بتأفف ...لتجدها تهانى..

-تهانى ...إتفضلى

قالت ذلك وهى تدعك عينيها فردت تهانى

-نموسيتك كحلى..إنتى لسه صاحية؟؟

-أة ..تشربى إيه

-إعمليلى فنجان قهوة أحسن خلاص الواحد دماغه باظت - حاضر

دخلت مهدا إلى المطبخ لتجهز فنجانين من القهوة حتى أتت بهما إلى تهانى وجلست جوارها ثم سألتها..

-مالك..دماغك بايظة من إيه؟؟

فأخذت تهانى رشفة من قهوتها وأخذت تقص إليها معاناتها الشهرية مع سكان المبنى وحيال ذلك ..سرحت مهدا مرة أخرى فى كيان ذلك المخلوق الجميل الذى التقت به والتى شكت بأنه ليس مخلوقا عاديا وإنما ملاكا نزل إلى الأرض بمحض الصدفة..خاصة بأنه من هذا النوع الذى تتمنى أن ترحل إلى شفتيه وتسافر معه بعيدا..بعيدا جدا..حيث الأمل والحب والنقاء...إلى أن أخرجها صوت تهانى وهى تقول..

-ناس ماعندهمش دم وأقولهم هاتو الإيجار أكنى بشحت منهم

-ها؟؟ ..معلش..

-هو إيه اللى معلش ..إنتى رحتى فين

فتنهدت ثم قالت..

-ماروحتش

-لا روحتى ..اللى واخد عقلك

-ياستى مافيش

-طيب هستأذن أنا بقى

-ليه؟ماابدرى

-يدوبك كدة..يلا أشوفك بعافية

ذهبت تهانى وتركت مهدا مع خيالها وهيامها وفجأة أحست بنسمات قوية تهب من الشرفة فشعرت بالبرد مما استدعاها الأمر لأن تقوم بغلق الشيش وقبل أن تغلقه استدعاها فضولها أيضا للنظر إلى الشارع وبمجرد أن رمت ببصرها إليه ..وجدت ذلك الشاب الذى خطف عقلها من الوهلة الأولى وهو يقف أمام محل شحن للهواتف الخلاوية ..فنبض قلبها ..بل اشتدت نبضاته ..إلى أن رأته وهو يدخل إلى المحل

فقفزت على الدرج بعد أن انتزعت هاتفها ووضعت وشاحا غليظا على كتفيها ثم ذهبت إليه.....

-لو سمحت..

قالت ذلك مهدا بمجرد دخولها إلى المحل وهى فى حالة تجاهل متعمد لما كان يقف بجانبها ..وأما هو فما كف أبدا عن النظر إليها مبتسما من تلك الصدفة الجميلة التى جمعت بينهما مرتين فى يوم واحد.

-نعم؟؟

قال ذلك صاحب المحل..فأجابته

-لو سمحت عاوزة أشحن تليفونى

-رقم إيه؟

-إتصالات

-طيب إتفضلى قولى الرقم

ارتفع صوت مهدا وهى تملى عليه رقم هاتفها واحدا تلو آخر بتعمد ..حتى يستطيع سماعه ذلك الشخص المطلوب

ثم عادته عليه مرة أخرى تأكيدا إليه وأبلغته بالمبلغ المطلوب للشحن ثم دفعت له النقود وقبل أن تخرج أوقفها صوت الآخر ليقول..

-لو سمحتى

فالتفتت إليه ثم قالت بفتور..

-نعم؟

-مش فكرانى؟

فتماسكت وتظاهرت بوشاشة ذاكرتها من باب الثقل ثم قالت..

-اااااة..إنت اللى خبطنى الصبح

-أيووووة أنا.. أنا مش عاوزك تكونى لسه زعلانة منى

-لاا مافيش زعل ولا حاجة ..حصل خير

ثم تركته وعادت إلى شقتها ..وعادت الأشواق تناديها ..ولقد تمنت أن ينطلى عليه خطة رقم الهاتف حتى تستطيع التحدث إليه وسماع صوته ...فأخذت تنتظر على أمل أن يتحدث إليها ..على أمل أن يدق هاتفها ويكون هو..إنها حتما ستشعر به..ستشم رائحته ..لذلك فهى لم تقلق أبدا.

____

-ها ياامهدا غيرتى هدومك؟؟

قال ذلك زوجها العاشر مما جعلها تنهض من أمام المرآة مقاطعة تفكيرها وما كانت تتذكره ثم قالت..

-لاء لسه

-كدة ياامهدا؟؟ أمال كل دة كنتى بتعملى إيه

-كنت بفك دبابيس الطرحة ..غلبتنى

ثم اقترب إليها وقال..

-طيب تحبى أساعدك؟

فاابتعدت عنه قليلا ثم قالت..

-لاء أنا هساعد نفسى

فجذبها إليه برفق ثم نظر إليها بنظرات مشتاقة إلى أن غرقت فيها فااستسلمت إلى ذراعيه ليضمها إليه بشوق هائل وليطوف بشفتاه على وجهها بهلفة وحب وليمسك بكف يدها لتتداخل فى يده تاركا ليده الأخرى

مجالا واسعا لنزع فستانها الأبيض....حتى أحست بأنها تتفانى بأكملها وتضيع فيه ..فحملها إلى الفراش ثم ذاقت معه ليلة جميلة من الحب.

أتى الصباح فاستيقظت مهدا على أثر خيوط الشمس التى كانت تنبعث من زجاج نافذة الغرفة ونظرت إلى جانبها لترى زوجها وهو يغط فى نوم عميق فاابتسمت ثم قبلته على جانب وجهه بحب ونهضت عن الفراش ثم اغتسلت وارتدت ملابسها وعادت مرة أخرى إلى ذلك النائم وتحدثت فى إذنيه بصوت يخالطه الرقة وهى تعبث بوجهه بأطراف أصابعها قائلة

-كل دة نوم ..إصحى بقى..

فااستيقظ بنصف عين ليراها أمامه فى كامل أناقتها ثم أغمضها مرة أخرى ليقول

-صباح الخير..لابسة كدة ورايحة على فين..

-رايحة البحر...يلا قوم بقى بلاش كسل

فوضع وسادته فوق رأسه ثم قال..

-سبينى أنام شوية

فقامت مهدا من جانبه ثم قالت

-طيب أنا هسبقك أنا عالبحر..ماتتأخرش عليا

فأزال وسادته من على رأسه ثم نظر إليها ليتأكد أنها لم ترتدي (مايوه) ثم عاد إلى نومه قائلا..

-طيب..بس ماتنزليش البحر إلا لما أجيلك

-حاضر..

خرجت مهدا من الفندق وهى تحمل مظلة بحر وكرسى ثم جلست على الشاطئ وأسندت برأسها على مسنده وعادت مرة أخرى إلى ذكرياتها...

****

الفصل الرابع عشر

"بين أحب ولكن"

خرجت مهدا من الفندق وهى تحمل مظلة بحر وكرسى ثم جلست على الشاطئ وأسندت برأسها إلى الخلف ثم عادت مرة أخرى لتتذكر...

____

كانت تقلب فى هاتفها بملل ، وتنظر إليه بتمنى ..منتظرة تلك اللحظة التى ستسمع فيها طنينه ..حتى شعرت بالإحباط وبذلك الأمل وهو ينجلى بداخلها ..إلى أن ظهر على شاشة هاتفها رقما غريبا لم تراه من قبل...فنبض قلبها بنبض غامض فيه الأمانى أن تكون ..ثم قامت باستقبال المكالمة ووضعت الهاتف على أذنيها إلى أن سمعت ذلك الصوت الذى كانت تترجاه وتتمنى وصاله وهو يقول...

-الو ...الو

فانتظرت قليلا قبل أن تجيبه ثم قالت والأمل يعتصر قلبها..

-ألو..مين معايا ؟ ؟

-أنا كمال

-كمال مين؟؟

-منا ممكن لو قولتلك مين تقفلى الخط فوشى

-مين معايا؟؟

-الله ماقولتلك أنا كمال

هنالك ابتسمت حينما تأكدت بأن هذا الكمال هو نفس الرجل الذى احتال كيانها وعقلها دون سابق نذار والتى كانت تنتظره بفارغ الصبر .. فقالت بااستنكار..

-مش فاهمة بردو..كمال مين؟

-مش هتضربى؟؟

-لاء

-ولا هاتقفلى السكة فوشى؟؟

فقالت بحدة..

-مااااتخلص ..إنت هتهزر!!

-طيب خلاص خلاص ..هقووول..

-إتفضل..

-أنا كمااااال

-يووووه...هقفل السكة والله

-ياستى اصبرى خلينى أكمل

-إتفضل

-أنا كمال اللى خبطتك من كام يوم ...واااا...

لم تنساه أبدا ولقد كانت تعلم بأنه هو منذ البداية ولكنها قررت الآن إعلان تذكرها له فقالت..

-أيوة أيوة خلاص إفتكرتك وجبت رقمى منين

-لما كنتى بتدى الرقم للراجل فى المحل فحفظته

فقالت بفتور..

-اممم...طيب وحضرتك بتكلمنى ليه ؟؟

-علشاااان ....علشااااان أعتذر

-ماانت اعتذرت قبل كدة وقولتلك حصل خير

-عادى أعتذر تانى...إحنا ورانا إيه؟؟

-طيب وانا بقولك تانى حصل خير..

-لالالا مش مقتنع حاسك لسه زعلانة

-يووووه بعدين معاك..قولتلك حصل خير

-منا مش مصدقك أعمل إيه؟

قال ذلك بلهجة مازحة فاابتسمت بينها وبين نفسها ثم قالت بنبرة حانية

-طيب أعمل إيه علشان تصدق؟

-إحلفى

-أحلف؟؟

-أة...إحلفى ..إحلفى بعيونك الى بياخدو العقل وينسو الواحد حتى إسمه

واللى لو طلبو لبن العصفور ماحدش عمره هيقولهم لاء وخدودك اللى لو غار منهم التفاح معاه ميت ألف حق وحق وقوامك الجميل الى مالوش حل ...إحلفى كدة؟؟

فغمرتها سعادة الدنيا لتغسلها من جميع ماكانت تمر به وتركت نفسها للذة الإحساس ولدقات قلبها التى كانت تف مثل الطبل ثم تماسكت حتى لا تنهار أمامه وقالت بحيادية..

-إنت بتعاكس بقى؟؟

-لالالا مابعاكسش ..أنا عايز أتأكد إنك مش زعلانة بس

فعادت مرة أخرى إلى حدتها ثم قالت..

-لا إتطمن ...وقول من الآخر إنت عايز إيه؟؟

-إمم...بصراحة أنا معجب

-آآآة وبعدين

-بعدين إيه ؟؟

-خلينا نتكلم ولو حصل منى حاجة ضايقتك ماتكلمنيش تانى

-لا أسفة ..مش هقدر..النمرة غلط..

وأغلقت الخط بوجهه بدافع من الكبرياء والثقل..وانتظرت حتى يدق إليها مرة أخرى

ولكن دون جدوى..لم يظهر رقمه على هاتفها مرة أخرى..فعاتبها قلبها وتملكها

شعورا مريعا بالندم ..حتى فكرت أن تطلبه ولكن ...كان يمنعها كبريائها وخجلها ومر أسبوعا كاملا وهى تنتظر ولقد أصبحت فى كل مرة يرن هاتفها تجرى إليه على أمل أن يكون هو ولكن هيهات ..لقد كان فى كل مرة شخص آخر مما أصابها بالإحباط وأصبحت فى كل مرة يرن هاتفها يتملكها أمل ضعيف فى أن يكون هو ..حتى إنجلى الأمل وانعدم تماما توقعها فى أن يتحدث إليها مرة أخرى حتى أصبحت كلما رن هاتفها لاتجرى إليه كعادتها ولا يدق قلبها ويرفرف إليه ..إلى أن أتى فجرا استيقظت فيه مهدا على صوت رنين الهاتف...

-ألو

قالت ذلك مهدا بصوت نائم ليرد عليها الطرف الآخر قائلا..

-أنا أسف إنى أزعجتك..بس كنت بفكر فيكى كتير وماقدرتش أستنى أكتر من كدة

فاازداد تركيزها ثم نظرت إلى الهاتف لتتأكد بأنها لا تحلم فوجدته هو كما سجلته على هاتفها تماما..(معذب قلبى) فاابتلعت ريقها ثم قالت بلهفة ودقات قلبها تنقبض وتشتد..

-كمال؟؟

-إيه دة إنتى لسه فكرانى اهه

لم تعرف ماذا تقول وأخذت تدور بأعينها بجميع أنحاء الغرفة حتى أخيرا عاد

عقلها الذى تاه حينما سمعت صوته ثم قالت

-إنت مش واخد بالك إنت بتتصل الساعة كام؟

-واخد بالى...بس أعمل إيه وحشتينى

فرفرف قلبها من الفرح وارتعدت حتى سقط الهاتف من يدها ..فتناولته سريعا ثم قالت ودقات قلبها تدق مثل الطبل..

-إنت..إنت إزاى تقولى كدة..انت تعرفنى أصلا؟

فرد بحنان..

-لاء شوفتك وعنيا وعقلى وقلبى مش قادرين ينسوكى...أعمل إيه طيب؟

إنها لن تستطيع...لن تستطيع كبح مشاعرها أكثر من ذلك..لن تستطيع أن تتماسك أمام صوته الذى كان يعزف طربا رقيقا لدى أذنيها ولن تستطيع صد مشاعرها..إنها تحتاج إليه..تحتاج إليه بكل ذرة فيها..لا تريده أن يبتعد..تريده جدا ..وليوقظ ماتبقى من حلمها بفارس أحلامها وبقصة حب عنيدة كانت تتخيلها دائما وتعيش فيها...إنها تريده عوضا عن كل شئ وأى شئ ..إنها تريد حبا يعوضها عما راح من أحلامها وأمانيها..

-إنت بتهزر صح؟؟

قالت ذلك وكأنها تريد مزيدا من كلماته الحنونة اللهوفة ...فأجابها

-لاء طبعا ودا كلام الواحد يهزر فيه؟؟

-مش مصدقاك

-وإيه يثبتلك؟؟

فقالت وكأنها تعاتبه على إنقطاع إتصاله..

-إنت مش محتاج تثبتلى هو كان فى إثبات فعلا..لما كلمتنى وأول ماقفلت السكة ماحاولتش تكلمنى تانى..دا دليل إنك واحد عايز أى واحدة سهلة كدة وخلاص

-لا والله ...هو انا بس حسيت وقتها إنى ضايقتك فقولت مش هضايقك تانى بس دايما كنتى فبالى وفتفكيرى ماانستكيش لحظة واحدة ..لحد النهاردة ..كنت لازم أسمع صوتك

-بجد؟؟

-بجد

-طيب وانت عاوز إيه دلوقتى؟؟

-إيدينا فرصة نعرف بعض...ولو ماطلعتش كويس ..بسيطة ماتكلمنيش تانى..

-طيب..إنت منين؟

وأخذا يتحدثان بالساعات والإشتياق يذوب بين حديثهما حتى أشرقت الشمس واعتذر كمال منها للذهاب إلى عمله..

..فسألته..

-إنت بتشتغل إيه؟؟

-بشتغل فى معمل ألبان وبوصل الجبن واللبن للزباين ولما كنت فى حارتكم كنت بوصل بضاعة لزبون..
-اممم طيب على كدة بقى ممكن أكون من زباينك؟؟
-يااخبر أبيض هو انا أطول...أجبلك كل حاجة لحد عندك
-كتر خيرك..مش دلوقت

ومرت الأيام وفى كل يوم كان يمر ..كان يزاد حبها إليه وتعلقها فيه وعاشا ساعات على الهاتف من الحب والهيام وكلمات العشق والغرام كانت طرحا قويا فى مقصدها ..حتى آن الأوان ليصبح هذا الحب حبا
ملموسا...محسوسا..فأقنعها كمال للذهاب إليها وكأنها أحد الزبائن لديه ولقد أصبح يمر عليها كل يوم بالصباح ليعطيها زجاجة من اللبن ونظراتهما ..كانت خير دليل على شوق محبتهما ..حتى أتى يوما وقد طاق الشوق بهما ..فطلب منها كمال أن يتقابلان ليجلس معها وليتحدثان خارج إطار الهاتف ..فرفضت مهدا مشيدة إليه بحجتها...
"الناس وكلام الحارة"
إلى أن إقترح فكرة الذهاب إليها بحجة إعطائها (زجاجة اللبن)والجلوس معها قليلا.. بداخل شقتها..فوافقت بعد تردد شديد..إلى أن أتى إليها ورن جرس الباب..
فقفزت مسرعة نحو الباب وبكل ترحاب وفرحة لقاء.. دعته إلى الدخول

فأخذ الإشتياق منهما لحظات ليتأمل كل منهما الآخر فى عشق مكبوت ..وحينما أعلن لهما الشوق عن صرحه..ذهبو معه فى رحلة عناق طويلة ..طويلة جدا.. ورحل هو فى شفتيها إلى رحلة عبر العوالم البعيدة .. وكانت مهدا كالطفلة التى عادت إلى صدر أبيها ..إلى أن انتهت الجلسة وودعها كمال خارجا من الشقة ..لتتلاقى عيناه بعينان تهانى التى كانت تخرج بالصدفة من شقتها ..ف

****

الفصل الخامس عشر

"مابين النساء"

ودعها كمال وخرج من الشقة ..لتتلاقى عيناه بعينان تهانى التى كانت تخرج بالصدفة من شقتها...فرفع صوته وهو على الدرج قائلا..

-طيب يامدام مهدا بكرا إن شاء هجبلك الجبنة اللى حضرتك طلبتيها

فردت مهدا تجاوبا معه..

-طيب ماشى ..ما تتأخرش

فضمت تهانى إليها ساعديها بعد أن ذهب كمال ثم قالت لمهدا..

-من إمتى يعنى بتطلبى حد يجبلك جبنة لحد البيت..

فقالت بإارتباك..

-أأأ...أصله بيجيب اللبن والجبنة من المعمل نفسه وطبيعية ...غير بتاعت البقال اللى مالهاش طعم

-أة طيب...لما يجيلك تانى إبقى خليه يعدى عليا

-ليه؟؟

-نجرب الجبنة بتاعته..لو طلعت حلوة نجيب منه على طول

-ماشى

خلدت مهدا إلى شقتها ولكن لم تطمئن أبدا لما قالته تهانى ..لذلك فلقد قررت بأن لا تخبر كمال بما قالته ولتعتبر الأمر كأن لم يكن..إلى أن أتى يوما آخر وأتى كمال بالفعل إلى شقة مهدا ولكن قبل أن يقرع الجرس..كانت تهانى تخرج من شقتها فتحدثت إليه فور أن رأته قائلة...

-مساء الخير..

فاالتفت إليها ثم قال..

-مساء النور..

و استمر برن الجرس ..فقامت مهدا بفتح الباب لتجد تهانى وهى تتحدث إليه قائلة..

-إنتو عندكم بتبيعو لبن وجبن صح؟؟

فرد كمال قائلا..

-أيوة ياامدام

-طيب ممكن تبقى تجيلى بعد مهدا علشان عاوزة أعرف أنواع الجبن الى عندكم ؟؟

فنظر كمال إلى مهدا بتوتر ثم التفت إلى تهانى قائلا..

-حاضر ياامدام تهانى..زى ماتحبى..

ثم نظر إلى مهدا وأعطاها كوز اللبن قائلا..

-إتفضلى ياامدام مهدا والحساب المرة الجاية إن شاء الله
وتركها ثم اتجه إلى تهانى قائلا...
-تحت أمر حضرتك..حضرتك بتحبى نوع جبنة معين؟؟
فنظرت إليه تهانى بخبث ثم قالت..
-لالالا هنتكلم كدة عالباب..الموضوع هيطول ومحتاج فهم ..وأنا ضهرى تاعبنى ومش هقدر أقف كتير..إتفضل تعالى نتكلم جوا..

كانت مهدا لا تزال تراقب حديثهما والغيظ والغيرة يشتعل من عينيها .....خاصة حينما رأت كمال وهو يدخل إلى شقة تهانى ويقفل عليهم باب واحد..هنالك استحكم الغضب منها وجرت الدماء الثائرة فى عروقها ..فقصفت باب شقتها ثم أخذت تمر بالصالة ذهابا وإيابا بحركات عصبية قلقة ...

وأما بداخل شقة تهانى ..فلقد كان هناك كمال يجلس على أريكة الصالون وتهانى تجلس فى مقابلته ثم أخذ كمال يعد لها أنواع الجبن المتوافرة لديهم ..كل هذا وتهانى لم تحرك أعينها من عليه .... ثم بعد دقائق قامت تهانى بوضع قدما فوق أخرى ليظهر ذلك الجزء العلوى من فخذيها ..حيث كانت ترتدى فستانا قصيرا ذو أكمام طويلة ..ولقد كانت حالة فستانها القصير لاتسمح أبدا إلى أن تضع قدما فوق أخرى ..ولكنها فعلت ذلك متعمدة لكى تكشف له مثقال أنوثتها وجسدها الذى لم يتأثر بعوامل السن المعروفة ..وأما كمال فلقد

كان كأى شاب يتأثر بمثل هذا النوع من الإغواء ولكن ليس هذا الشئ الذى يجعله يتخلى عن حبيبته مهدا أو يقوم بخيانتها من أجله..فحينما انتهى من حديثه إليها واختارت نوعا معينا من الجبن..نهض للخروج متحججا بعمله فوقفت هى الأخرى ثم أتت بقربه ووضعت يدها على كتفه الأيمن بخلاعة لتقول..

-بس إنت لسه ماشربتش حاجة

فتركها وذهب إلى الباب قائلا..

-معلش مرة تانية لازم امشى

وفتح الباب ثم رحل.

زفرت تهانى بغيظ ..لقد فشلت خطتها..لقد هرب من بين أصابعها...تلك الشمطاء ..الهاوية لعشق الرجال فى الحرام لن تستسلم أبدا حتى توقعه فى شباكها كما أوقعت من سبقوه..فما أرادت رجل إلا وعرفت معنا للوصول إليه ولقد أصبح كمال الآن هو هدفها القادم التى ستسعى حق سعاتها حتى تصل إليه..مهما كلفها الأمر.

-أدخل

قالت ذلك مهدا حينما أتى إليها كمال فى اليوم الذى يليه فالتفت يمينا وشمالا ثم قال بقلق.

-يامهدا ممكن الست الى اسمها تهانى دى تخرج وتشوفنى طالع من عندك ..والحمد لله ربنا ستر المرة اللى فاتت وشافتنى وانا واقف عالباب وماشافتنيش وانا بخرج

فقالت بغضب

-إنت خايف منها؟؟

-لا هخاف منها ليه ..بس علشان ماتعملكيش مشاكل

-طاب ادخل

-يامهدا...

فقاطعته قائلة

-بقولك إدخل

فدخل إلى شقتها و قامت مهدا برد الباب لتصطفى بحسابها معه قائلة بعد أن جلس على مقعد الطاولة..

-طبعا مااصدقت انت صح؟

فاانضمت هى الأخرى إلى الطاولة ثم نظر إليها بااستغراب ليقول..

-مااصدقت إيه؟؟ وبرن عليكى امبارح ماكنتيش بتردى ليه؟؟

-ماكانش ليا نفس أرد

-بقى كدة؟؟

-أيوة ..لإنى كنت عايزة اخنقك

فابتسم إليها ثم قال بحنان

-وأهون عليكى بردو؟؟

فنهضت عن مقعدها ثم ولت ظهرها إليه لتقول..

-أيوة

-ليه القسوة دى ياامهدا

فااستدارت إليه ومشاعر الغيرة تضرم قلبها ثم قالت

-عملت إيه مع تهانى جوا الشقة؟؟

-هكون عملت إيه يعنى ياامهدا؟؟

-إنت هترد عليا سؤال بسؤال؟؟

فنهض كمال هو الآخر وهدهد على كتفيها قائلا..

-مالك ياامهدا فى إيه..إهدى كدة ياحبيبتى

فخطت خطوتين إلى الأمام ثم قالت بغضب

-مش هادية ..هى شكلها أصلا عجبتك

-مين دى بس اللى عجبتنى

-تهانى

فمد يده إلى خصرها ليجذبها إليه ثم قال بعشق

-واانا بردو أبص لغيرك؟

-والله أمال كنت بتعمل إيه كل دة جوا..أنا شوفتك من الشراعة بتجرى

من عندها لدرجة إنك ماشوفتنيش ولحد مافتحت الباب كنت مشيت..
فتلكا قائلا..
-أنا...لالالا ماآكنتش بجرى ولاحاجة ..هو بس صاحب الشغل استعجلنى مش اكتر
-اة وكنت بتقولها إيه جوا بقى إن شاء الله؟
فعاد ليجلس على مقعده ثم جذبها لتجلس على ركبتيه ونظر إلى عينيها قائلا..
-كنت بقولها بحبك
-والله؟؟ طب أوعى كدة
حاولت نزع يديه التى كانت تحيطان خصرها بقوة ولكنه لم يفلتها ولم يحل سبيلها حتى قال..
-لاء مش هوعى ..مش انتى عاوزة تعرفى قولتلها إيه؟
-أيوة
فنظر بحنان إلى عينيها ثم قال..
-طيب انا كنت بقولها وحشتينى ..ماانمتش طول الليل بسببك وبسبب عنادك .. ..منك لله يامفترية
فاابتسمت مما شجع كمال لمتابعة حديثه قائلا..
-وكمان بحبها أوى ومستحيل أفكر فى واحدة غيرها بس هى للأسف مش فاهمة كدة

-بجد؟؟

-أيوة بجد ..وبعدين مين تهانى دى اللى تقارنى نفسك بيها؟

-أمال قالتلك إيه؟

-أبدا..كنت بقولها على أنواع الجبن الموجودة عندنا وبنعملها وهى اختارت نوع منهم

-بس كدة؟

-اة بس كدة

فتنهدت الصعداء ..فهى تعرف تهانى جيدا ولا تمر مرور الكرام على أى أمر أبدا

-هاا اتطمنتى كدة؟

فسكنت ثم قالت..

-معلش اعذرنى ...أصلى بحبك جدا وبغير عليك جدا جدا

-واانتى عارفة إنى كمان بحبك ولازم تتطمنى إنى عمرى ماهبص لغيرك أبدا

ويالا بقى قومى علشان عندى شغل ولاانتى استحليتى القاعدة؟

فضحكت ضحكة رقيقة ثم نهضت عن ركبتيه وودعته بقبلة شديدة العذوبة

وقامت بفتح الباب ..لتراه تهانى وهو يخرج من شقتها وهو يبتسم وينظر إليها بنظرات عاشقة ..ففارت الدماء بعروقها

واكتفت بالنظر إليها ببرود ..إلى أن ذهب كمال الذى قد تجاهل تماما

وجودها فور رؤيته إليها..علاجا لحرجه أمامها ،، وما تبقى بالمشهد سوى تهانى التى كانت تنظر إلى مهدا بنظرات غير مفهومة ومهدا التى ما ماعادت تعنيها مااترمى إليه تهانى بنظراتها ..فاانتظرت بالصمت حتى سألتها تهانى بكل تملق...

-هو فى إيه يامهدا؟؟

-مافيش ياتهانى وخليكى لحالك ..سلام

ثم قصفت الباب بوجهها ولا تعلم السبب سوى أنها تتدخل فى أمر لايعنيها ولقد كانت مهدا تكره كثيرا ذلك الطبع الذميم فيها.

وبعد قليل رن هاتف المنزل...فرفعت مهدا السماعة لتجيب قائلة..

-ألو..

فيرد عليها الطرف الآخر قائلا.

-إيه يامهدا ..بقى أبعد كل دة...وماتسأليش عليا خالص كدة؟

****

الفصل السادس عشر

"أشواك فى قالب عسل"

وبعد قليل رن هاتف المنزل...فرفعت مهدا السماعة لتجيب

-ألو..

ليرد عليها الطرف الآخر قائلا.

-إيه يامهدا ..بقى أبعد كل دة...وماتسأليش عليا خالص كدة؟

فاامتعق لون مهدا فور سماعها لصوته وقالت بصدمة..

-مين؟؟ يوسف بيه؟؟

-يااه كويس إنك لسه فاكرانى

فاارتبكت ثم قالت بصوت يخالطه التوتر..

-لاا..هو أنا أقدر أنساك

-ماانا لو كنت فبالك ..كنتى كلفتى نفسك حتى وكلمتينى

-ماهووو أنا خفت ليكونو مراقبين الخط ..مش دا اللى اتفقنا عليه؟؟

-كنتى اتصلى من اى مكان ..كنتى هتغلبى يعنى؟؟

-ماجاش فى بالى معلش بقى..

-ماشى ياستى علشان تعرفى بس إن انا قلبى كبير..هنخلص موضوعنا دا بقى إمتى

-موضوع إيه ؟

-موضوع جوازنا ياامهدا ولا انتى نسيتى

فران بخاطرها صورة كماال..ذلك الرجل الذى أحبته وأخلصت له بكل كيانها ثم عادت إلى يوسف وقالت..

-لالالا ماانستش ..بس مش احنا أجلنا الموضوع شوية؟

-أيوة أجلناه لحد ال ٦ شهور مايعدو واهو عدى ٨ ..نستنى إيه تانى بقى؟؟

فاستسلمت قائلة..

-طيب ماشى ربنا يسهل

-ربنا يسهل إيه يعنى

-ربنا يسهل ياايوسف بيه بس هظبط الأمور وااجهز نفسى بعدين هكلمك وأقولك إمتى ..داا جوااز ولازمله تجهيزات واستعداد مش حاجة سهلة

-تجهيزات واستعداد؟ ...اة طيب ..زى مااتحبى ...هستنى منك مكالمة ...سلام

أنهت مهدا مكالمتها ومن ثم لازمها البؤس والحسرة لقد استطاع كمال أن ينسيها يوسف وجميع ماعاشته قبل أن تراه حتى لم يأتى ذلك الذى مضى

لزيارتها ولو حتى فى الخيال ..لقد شعرت بأن أحلامها فى الحب قد ضاعت للمرة الثانية ..ولقد حسبت أن الدنيا أتتها بعمر جديد لتسعد فيه مع طيور الحب وفارس الأحلام ،، ولكن هيهات ..هيهاات لقدر إلتف فيه الأشواك فالأمر مشابه تماما..لأشواكا موضوعة داخل قالب عسل.

وأثناء ذلك سمعت مهدا طرقا يدق الباب ففتحت لتجدها تهانى وهى تنظر إليها بسخط فأشارت إليها بالدخول

وقالت تهانى فور دخولها..

-إذيك يامهدا

فنظرت إليها مهدا من أسفل لأعلى ثم قالت..

-الحمد لله...إذيك إنتى ياتهانى

-تمام..كنت عاوزاكى فى موضوع

-إتفضلى

جلس كلاهما كلا منهما فى مقابلة الآخر ومن ثم بدأت تهانى لتتحدث قائلة.

-الموضوع إنتى عارفاه كويس

نظرت مهدا إليها بمكر ثم قالت.

-عادى ..عرفينى تانى

-الولد اللى إسمه كمال دة ...بتاع اللبن

-اااة..ماله

-يلزمنى

فنهضت مهدا بسرعة خاطفة ثم قالت

-إيه؟؟ إنتى بتقولى إيه؟؟

لحقتها تهانى لتنهض هى الأخرى ثم قالت..

-اااه ..أدام وقفتى كدة يبقى أكيد حبتيه

-حبيته مااحبتوش مايخصكيش

-لاء يخصنى

-إزاااى

-زى ماا ابراهيم كان يخصنى وانتى خدتيه وشاركتينى فيه

-يعنى عايزة إيه يااتهانى

فاااقتربت إليها ثم أمسكت بذقنها لتقول..

-إنتى النص وانا النص

فنفضت مهدا يدها عن وجهها ثم قالت بغضب

-إنتى بتقولى إيه؟

-زى ماسمحتلك تشاركينى فى ابراهيم يااامهدا...يبقى دا بردو لازم أشاركك فيه ...مش هبقى أنانية واقولك سبهولى لوحدى

-إنتى باين عليكى اتجننتى شكلك

-مهدا..ماتبقيش أنانية ...أنا اقدر كويس أطربقها عليكى..إتقى شرى

-اللى عندك اعمليه...

ثم أشارت إليها بصيغة آمرة تجاه الباب وقالت..

-براااا

-بتطردينى يامهدا؟؟ وكمان من بيتى؟؟

فرفعت مهدا كلتا حاجبيها ثم قالت..

-إحنا بنا عقد إيجار ياحلوة وماتنسيش إنك مدتيلى عقد الإيجار لخمس سنين قدام..يعنى طول الخمس سنين دول تبقى شقتى مش شقتك...واتفضلى يلا برا

فضحكت بسخرية ثم قالت..

-يااه ..كبرتى يامهدا وبقيتى بتعرفى تفكرى وتدبرى ..تصدقى أبهرتينى؟؟ بس أوعدك إنك هتندمى كتير أوى عاللى بتعمليه دة ..ومن غير سلام..

قالت ذلك تهانى ثم خرجت من الشقة وهى تشتعل من الغضب فقصفت مهدا الباب خلفها لتختلى بغضبها الذى ثار بين ضلوعها حتى قامت بالإتصال على كمال ليحضر إليها فى الحال ..إلى أن أتى وبدأ حديثهما لأن يحتد حينما قالت له مهدا...

-كمال إحنا لازم ناخد خطوة فى علاقتنا دى

نظر إليها كمال بااستغراب ثم قال

-خطوة إزاى مش فاهمك يامهدا

-مش فاهمنى ؟؟ هى دى محتاجة فهم؟؟ ناخد خطوة يعنى نتجوز

-إيه نتجوز؟؟

-أيوة نتجوز

ثم نظرت إليه بحدة لتقول..

-أيه مالك..اتفزعت كدة ليه ..يكنش مش قد المقام؟؟

-لالالا الحكاية مش كدة خالص

-أمال إيه؟

-الحكاية إنى لسه بكون نفسى ياامهدا ومش مستعد للجواز دلوقت

فولت ظهرها إليه ثم قالت

-مش عاوزة منك حاجة

-إزاااى

فااستدارت إليه ثم قالت..

-يعنى مش عاوزة منك حاجة

-بس انا ماعنديش شقة..أنا ساكن فى أوضة عالسطوح

-مش مهم...نتجوز هنا

-مهدا..إنت واخدة بالك بتقولى إيه؟؟

واقتربت إليه ثم قالت بلهفة

-أيوة واخدة بالى...أنا لايمكن أسمح لحد يبعدك عنى أو ياخدك منى أبدا

ثم قفزت إلى أحضانه وضمته إليها بفقد واشتياق ..فنزعها من أحضانه لينظر مليا إلى وجهها ثم يقول..

-مهدا...مالك فى إيه؟

-مافيش

وانسحبت دمعة من عينيها لتجرى على خديها وتلامس شفتيها...

وعاد كمال ليسألها..

-مهدا...مالك؟

فأجابته بيأس

-ماليش

-لاء فى ..مالك؟

-خايفة

-من إيه؟

-خايفة تبعد عنى

-ومين قالك بس إنى هبعد عنك؟

لم تستطع أن تشرح له تلك الظروف التى تحاول وبكل قوة إلى أن تنهى علاقتها معه فعادت إلى أحضانه ملتجئة من ذلك الخوف الذى كان يستوطن فيها حتى سكنت وهدأ قلبها وخرجت عن أحضانه ثم قالت..

-إحنا لازم نتجوز

-بس ظروفى...

فقاطعته قائلة

-قولتلك مش عاوزة حاجة..واحنا هنعيش هنا فى الشقة ...ها قولت إيه؟

____

-بخ...أنا مبيين

قال ذلك زوجها العاشر وهو يعصب عينيها بيديه مما قاطع رحلتها مع الذكريات لتعود إلى الواقع من جديد ثم تقول..

-حبيبى طبعا

فأزال يده عن عينيها ثم قام بطبع قبلة على خديها وجلس إلى جوارها على مقعد أتى به إليها من الفندق وقال..

-كنتى سرحانة فإيه؟

-أبدا...مافيش حاجة

-ماافيش حاجة ازاى بس...مش قولنا ننسى الماضى ياامهدا؟؟

فنظرت إليه بأسى ثم قالت..

-اللى شوفته ياحبيبى ماكنش شوية ...صدقنى أنا بحاول أصلح كل حاجة اتكسرت جوايا...بس غصب عنى بفتكر

فوضع يده على كتفيها وضمها إليه ثم قال..

-عادى ياامهدا...خدى وقتك..بس عايزك تاخدى بالك ياحبيبتى إننا فى شهر العسل ومش طالبة زعل ونكد خالص

فاابتسمت ونهضت عن مقعدها ثم جذبته لينزل معها إلى البحر وعلت

الضحكات لتشهد يوما عظيما بعد حزن وألم وبكاء ...ثم عادا إلى غرفتهما بالفندق بعد أن عاشا يوما بين الأفراح والضحكات ...وبحرا وسماءا ووجه حسن..وحينما عادا إلى الفندق ..لمحت مهدا رجلا يناهز الثلاثين يقف أمام أحد موظفين الإستقبال ولقد كان يبدو من ظهره بأنه شخص تعرفه ولكن حينما استدار إليها تأكدت بأنها تعرفه تمام المعرفة..

-مين ؟ ؟ كمال!!

****

الفصل السابع عشر

"نبض دافئ"

-مين كمال؟؟

هكذا صرخت قائلة فنظر إليها زوجها العاشر بااستغراب ثم قال..

-كمال مين يامهدا؟

فأشارت إليه وهى ترتجف ثم ابتلعت ريقها و قالت..

-دا ...داا..كمال جوزى التالت

فعقد حاجبيه ثم قال..

-إيه إزاااى؟

-مش عارفة

-مامكن مش هوا ..هو شافك ولو كدة كان جالك

-مانا مستغربة ..دا شافنى ولا االهوا

-طيب هنعمل إيه دلوقتى؟

-إحنا لازم نتأكد

-إزاى؟

-هاتعرف دلوقت

ذهبت مهدا إلى موظف الإستقبال بعد أن غادره المشتبه فيه (كمال)
وجلست على أحد مقاعد الإستقبال
ثم سألته مشيرة إلى الشخص الذى تعنيه ثم قالت.
-لو سمحت ..هو الى قاعد هناك دة يبقى مين؟؟
فنظر موظف الإستقبال إلى حيث أشارت ثم قال..
-دا رضا بيه ياافندم
-رضا بيه مين؟؟
-رضا بيه إبن صاحب شركة الرضا للسياحة ياافندم..دا رجل أعمال مشهور

فهدأ قلبها وعاد نبضها لينبض بطريقة طبيعية ثم عادت إلى زوجها العاشر ثم قالت..
__مش هو
-ومالك بتقوليها كدة وانتى زعلانة
-وهزعل ليه
-يمكن زعلانة إنه ماطلعش هو ولا حاجة مع إنى عارف إنه مستحيل يكون هو
-لالا ..صدقنى انا دلوقتى مافيش فى قلبى غيرك
فاابتسم ووضع يده على كتفيها ثم قال..
-وانا واثق جدا فى كدة ..يلا هروح انا اشوفهم عاوزنى فإيه فى

الإستعلامات بيقولو عاوزين يحدثو البيانات..هروح اخلص معاهم وأنتى اقعدى هنا لحد مااجيلك

-ماشى

وبعد أن ذهب زوجها العاشر ..جلست مهدا بقاعة الإستقبال وأخذت تنظر إلى ذلك المدعو رضا وهى تتأمل ذلك التشابه الغريب الذى بينه وبين زوجها الثالث كمال

أو قلت الآن زوجها الثالث؟؟

نعم ...فلقد عادت مهدا إلى ذكرياتها من جديد

____

-مبرروك ياكماااال

-الله يبارك فيك ياا فايز

لقد تم الزواج ونصبت مراسيمه بشقة مهدا ولقد كان المعازيم فى هذه المرة يهللون ويصفقون ، ولقد كانو من محاسيب ومعارف العريس و من ضمنهم بعض سكان الحارة ماعادا تهانى ...حتى إنتهى الزفاف واختلى العريسان ببعضهما ..ليكشف كلا منهما عن حبا جحيما كان يختزن بقلبهما ، وقبلات من الأشواق تبرر عشقهما ، وأحضانا لا تعرف الخجل ..كانت هى ترجمان حبهما ...إلى أن أطعمها قبلة غارقة بعشقه

وعاد ليرى وجهها قائلا..

-بحبك أوى ياامهدا

-أنا أكتر والله...أنا خلاص مابقتش قادرة أتخيل حياتى من غيرك

-طيب قوليلى بقى عاوزة كام طفل؟؟

فنظرت إليه بخجل ثم قالت..

-ام..نفسى فى بنوتة

-بنوتة بس؟

-أيوة

-أنا فكرتك هتقولى نفسك فى ولد شبهى

-لا مااهى هتكون شبهك بردو..بس انا نفسى فى بنت

-إن شاء الله هنحقق كل الى بتتمنيه..بس انتى قولى يارب

-ياااااااارب

-طيب إيه مش هنتعشى؟؟ انا واقع من الجوع

-يااروح قلبى...حاضر هجهزهولك حالا..

لقد كان كل شئ يجرى كما صوره خيالها...فارس الأحلام ،، عشها الزوجى السعيد ،، رجل تحبه وتعيش فى كنفه ، الكثير من الإستقرار ، الكثير من الأمان ، صدرا يتسع لها وإلى ذلك الحب الذى تريده ..لقد تحقق ذلك الحلم الذى كان يراودها دائما منذ الصغر ..ماذا تريد الآن!!

جهزت طاولة الطعام ثم استدعته لينضم إليها وقامت بتبديل ملابسها ثم خرجت إليه وهى ترتدى منامة حريرية بيضاء معلقة بخيطين رفيعان ..تصل إلى بعد ركبتيها وشعرها الذى عقصته بعيدا عن عنقها ليظهر إستدارت وجهها وعنقها بأُكمله مما أضاف إليها الكثير من الوداعة والرقة ..لقد كانت رائعة...جميلة...جذابة ..كما لم تكن من قبل.

أو هذا هو الحب؟؟

أهذا هو الحب الذى يبعث الدفئ فى قلوبنا وبجميع أوصالنا ؟

أهذا هو الحب الذى يرسم الفرح بالأحداق ويجعل لها بريقا جذابا يظهر به جمالنا!!

أيتعلق الجمال بالحب؟

وما الرابط بينهما ؟

أيكون الدفئ؟؟

ذلك الدفئ الذى نحسه حينما نشعر بالحب!!

أيكون هذا هو السر؟

إنه مجرد نبض دافئ ..كيف له لأن يفعل ذلك!!

هل سبق قبلا وجربت نبض الحب؟؟

حسنا..فلتفكر بذلك السؤال بينك وبين نفسك ..لنعد الآن إلى هذا المشهد الرومانسى الذى يجمع بين مهدا وزوجها الثالث كمال.

فبعد أن خرجت إليه وانضمت إلى الطاولة..نظر إليها وكأنه يراها لأول مرة ،، ونسى أمر معدته التى كانت تتضور جوعا حينما نظر إلى عينيها
واستدارت وجهها الذى كان يطل بالنور والبهاء ، ثم رمقها بنظرة خاطفة إلى جسدها الذى كان يزينه منامتها البيضاء التى كانت تبدو فيه كالبدر فى تمامه ولقد شعر بأنه يود لو يلامس هذا القمر ...فأمسك بكف يدها و قبلها قبلة رقيقة فى منتصفها ثم انتقل بيده إلى وجنتيها ليلامسها حتى وصل إلى شفتيها ومرر عليها بأصابعه ..فاقتضمتها برقة بين شفتيها ..وراح ذلك النبض الدافئ لأن يجرى فى عروقه ..فنظرت إليه بشقاوة نسائية مما جعله يرغب كثيرا فى الإقتراب إليها وتفريق تلك الشفتين عن بعضهما لينفرد بكل واحدة منهما على حدة ..فااقترب إليها بمقعده ليحقق رغبته فيهما ثم أغمض عليهما بشفتيه وكأنه لم يصدق بأنه استطاع الوصول إليهما وراح يضمها إليه بشوق هائل..

شوق تبدد فيه كل سنين الألم والتعب،وكأنه طفل عاد إلى صدر أمه ..فأحست بأنين قلبها يشتد ليخفق ويدق بقوة ..ثم رفعت ذراعيها لتضمه وتستقبل أحضانه بكل ترحاب .. ليحتل ذلك الجزء الأكبر من صدرها ..وحينما استقر وجهه إلى جانب عنقها ..لمح تلك السلسلة الفضية التى على شكل قلب وهى يستقر قلبها بين نهديها ..فمرر بشفتاه على عنقها متتبعا أثر تلك السلسلة حتى وصل إلى قلبها وأخذها بين شفتيه ثم لثمها وعاد بها حيث كان ثم رفع وجهه لينظر إليها بكل الحب والحنان وليذيقها من نظرات عيناه

السماوية التى كانت كالسحر الذى يجعلها لا تكف أبدا عن النظر إليها ..فهى تريد أن تنظر إليه هكذا..فقط هكذا ..ولا تريد أى شيئا آخر ..حتى قاطع تلك النظرات قائلا..

-إيه القمر دة

لم ترد ..ساهدة فى أعينه ..فقال متابعا..

-كإنى بشوفك لأول مرة

فاابتسمت ثم قالت..

-إشمعنة يعنى ؟

-مااعرفش ..بس فى حاجة غريبة فعنيكى لأول مرة بشوفها

-إيه هى ؟؟

فوضع يده على خديها ثم تلمسها برفق قائلا..

-فى ضى موجود فعنيكى مخلينى مش قادر أنزل عنيا من عليها

-ضى إيه ؟

-ضى جميل..اللى يبصله يروح بعيد..بعيد جدا فى عالم تانى يحلم يسكن جواه

-يمكن شوفته علشان حلمى اتحقق النهاردة

-وإيه كان حلمك ؟

-إنت حلمى!!

-إزاااى

-ماافيش حاجة إسمها ازاى لما اكون بحبك

-يعنى الحلم دة كنتى بتحلميه قبل ماتعرفينى ولا بعد ماعرفتينى

-لالالا من قبلك بكتيير..بكتيييير جدا ..من وانا عندى ١٦ سنة

-يااه ..ويا ترى عرفتى ازاى إنى حلمك؟

-أول ماشوفتك ...صدقنى قلبى دلنى عليك

-أنا كمان ..ماعرفش أول ماشوفتك ..حسيت إنى أعرفك من زمان جدا

..بس ماكنتش فاكر فين

-طيب ممكن طلب؟

-إطلبى

فقالت ببرائة

-ممكن تشيلنى؟؟ أصل فارس أحلامى كان دايما بيشلنى فى الأحلام

-طيب قوليله بعد كدة عيب ..علشان جوزى بيغير وانا مش هقبل حد

تانى يشيل مراتى مهما كان

فضحكت ضحكة صغيرة ثم قالت..

-بس دا خيال!!

-حتى لو خيال ..مش هقبل أبدا أى حاجة تشاركنى فيكى ولو مجرد خيال

-عارف؟؟ أنا خايفة

-خايفة ليه؟؟

-خايفة للحلم الجميل دة يتهد ..أصل انا دايما مكتوبلى الشقى والغلب

-ومين قالك إنك فى حلم..إلمسينى بإديكى كدة علشان تتأكدى
فوضعت يدها على صدغه ونظرت إليه بحزن ثم قالت..
-أنا مش مصدقة أصلا إنى لقيتك
-لا صدقى ..أنا اهه بين إيديكى ..وهشيلك كمان علشان تتأكدى وماتقوليش مقصر وتخلى فارس الأحلام دة يشيلك من ورايا
فضحكت بصوت عال هذه المرة حتى حملها بين يديه وكانت كالعصفور ..بل أشد خفة ودلالا ثم ذهب بها إلى الفراش وأجلسها على ركبتيه و سافر بها إلى عالم آخر ..داخل نسيج عظيم من القبل وكلمات الحب والغرام حتى أطفأت الأنوار وحملها الفارس إلى مدينة بعيدة..بعيدة جدا ..لايسكن بها أحد سواهما ..يضحكان..يتغامزان ..يجعلها تركب خلفه على الجياد ليخطفها بعيدا ...بعيدا جدا عن منأى وأعين الناس وهى تحتضن ظهره بقوة حتى لاتسقط ثم ينزل الفارس عن حصانه وينزل أميرته إلى حقل الورود والبساتين ثم يقطف أجمل وردة ليهديها لها ..فتستنشقها لتجدها أجمل وردة استنشقتها على مر حياتها ثم تعطيه قبلة شكر على هذه الوردة ..فيحملها مرة أخرى ثم يسافر بها إلى بستان آخر ..إلى أن شعرا بالإرهاق ..ونزلو إلى الوادى المظلم الذى لا يوجد به أى مصابيح ..حيث النجوم كانت تضئ كل شئ وجميع الأنوار كانت طبيعية وتهيئ جوا رومانسيا لكليهما ...مما سمح للفارس أن يستلقى بالوادى وعلى صدره تنام أميرته والنوم يهدهد بعينيها..إلى أن ناما واستكانا فى ثبااااات ومن ثم سرقهما النوم إلى عالم آخر من الأحلام.

إستيقظت مهدا..لتجد نفسها بدون ردائها الأخير وإلى جوارها كمال على نفس هيئتها ..فاابتسمت ثم احتضنت ظهره بحب إلى أن قام بفتح عينيه ليشعر بيداها وهى تقمض على خصره فااستدار إليها ثم ضمها إليه وكأنه يود أن لايتركها ..وبعد قليل رن هاتف المنزل ..فتملصت مهدا من بين ذراعيه لتجيب قائلة..

-ألو؟

-ألف مبروك ياامهدا مش كنتى تعزمينى؟؟

قال ذلك يوسف الذى عرفته مهدا من صوته ..فراح ذلك الشعور الجميل من قلبها وتبدل بشعور آخر عاهدته آنفا من الحزن والأسى ومن ثم تماسكت وردت قائلة..

-الله يبارك فيك ..عقبالك

-عقبالى؟؟ بجد؟ لاااه داانتى قلبك جمد خالص

-كل شئ نصيب ياايوسف بيه

-فعلا..كل شئ نصيب

ثم تغيرت نبرة صوته ليقول..

-بس مش انا اللى يتضحك عليا ياامهدا ولا اتخلق لسه اللى يقدر يلعب بيا

-وانا مااضحكتش عليك فى حاجة ..الجواز قسمة ونصيب

-ماشى ياامهدا..أوعدك إنى هخليكى تلعنى اليوم الى فكرتى فيه تتجوزى حد

غيرى

كشحت مهدا ذلك الخوف الذى كان يبرد أطرافها ثم قالت بتمالك..

-أنا جوزى صحى ومحتاج يفطر عن إذنك ياايوسف بيه

ثم أغلقت الهاتف بوجهه

____

-يلا بينا ياامهدا انا خلاص خلصت

****

الفصل الثامن عشر

فرح وبكاء

-يلا بينا يامهدا ..أنا خلصت خلاص..

قال ذلك زوجها العاشر بعد أن عاد ..فعادت هى أيضا من ذكرياتها ونهضت لترد قائلة..

-ماشى..هنروح فين
-إيه رأيك ندخل سينما..فى سينما هنا تبع الفندق بتعرض أفلام تحفة
-تمام..يلا بينا

دخل كلاهما بين صفوف مشاهدين لمشاهدة فيلم رومانسيا..اختارته مهدا ثم جلسا متجاورين بأحد الصفوف ..وأخذا فى مشاهدته ..إلى أن أتى مشهدا..كانت تبكى فيه بطلة الفيلم على فراق حبيبها وتتألم من ذلك القدر الذى فرق بينهما ..فأمسكت بيد زوجها وشدت قبضتها عليه بأثر خوف قد مر على ذاكرتها ثم رحلت بعقلها لتعود إلى الذكريات وتتذكر زوجها الثالث كمال.

____

-ياامهدا...

-نعم..أيوة ياكمال

-كنتى بتكلمى مين؟؟

-أبدا ..دا واحد طلب الرقم غلط

-اة..طيب تعالى

إقتربت إليه لتجلس على حافة السرير ثم قالت..

-نعم

فجذبها إلى أحضانه ثم قال..

-ماتقوميش من جنبى تانى

-والله ..ومين هيحضرلنا الفطار..إنت نسيت إنك مااتعشتش من امبارح ؟

-لما بشوفك بنسى الجوع أعمل إيه؟

فتملصت من بين ذراعيه ثم قالت..

-لا ماينفعش لازم تاكل ..أنا هروح أحضرلك الفطار

ثم خلدت إلى المطبخ ..ونهض كمال عن الفراش واغتسل ثم ارتدى ملابسه هاما للخروج ..إلى أن وجد الطعام معدا على الطاولة ومهدا تجلس باانتظاره ..فنظرت إليه بااستغراب فور أن رأته ثم قالت..

.

-إيه دة إنت خارج؟؟

فاانضم إلى الطاولة ثم قام بتناول الطعام وهو يقول..

-أيوة..لازم أروح الشغل

-شغل؟؟ دا النهاردة صبحيتنا

-أيوة ياحبيبتى ..بس زى ماانتى عارفة إن شغلى باليومية واحنا الفترة الجاية دى محتاجين فلوس

-مش مهم ..أنا معايا ..عالأقل ماتخرجش الفترة دى

توقف كمال عن تناول الطعام ثم رطم المعلقة بالطبق قائلا بغضب..

-إنتى معاكى!! .. ليه ..إنتى مفكرة علشان قولتى نتجوز فى شقتك يبقى هوافق إنك

كمان تصرفى على البيت؟؟

-ياحبيبى مااهو أنا وانت واحد..وبعدين أنا بقبض مرتب كويس من شغلى ..ومصاريف البيت دى حاجة تافهة

-اة ولما هتقعدى من شغلك..المصاريف دى هتيجى منين؟

-ومين قالك إنى هقعد؟

فصاح قائلا..

-أنا...ولا مش مالى عينك

-لا أبدا ..بس مش فاهمة ليه عاوزنى أقعد من الشغل

-علشان مش عاوز مراتى تتبهدل وتتعاكس فى الرايحة والجاية ..إلا بقى لو ماكنتيش شيفانى راجل

-مين قال كدة بس ...بس ياحبيبى شغلى على شغلك بيسندو بعض
-أنا ملزم اشتغل واصرف عالبيت ومااخلكيش محتاجة حاجة ..مش انا ياست هانم اللى اخلى مراتى تصرف عليا أو تتبهدل فى شغل ومرمطة..أمال انا راجل ازاى؟

سهدت مهدا لتتذكر ذلك الفارق الغريب الذى بينه وبين إبراهيم زوجها الثانى و الذى لم يكن يمانع أبدا فى أن تختلط إمرأته بالرجال أو تصادق أحدهم حتى ..لقد شعرت بالفرح بينها وبين نفسها وشكرت ذلك القدر الذى ألقاه فى طريقها ..بل شكرت تلك الصدفة التى جمعت بينهما .

ومرت االأيام ....ليشق كلا منهما طريقه وعمله بالحياة..فتستيقظ مهدا كل يوم أولا وتقوم بإيقاظ زوجها كمال للذهاب إلى عمله ثم تودعه بقبلة رقيقة تجمع بها كل الحب ثم تقوم بأعمالها النسائية من تنظيف وطهى وتجهيز الطعام حتى يعود من عمله..إلى أن أتى يوما طرق فيه الباب وكمال لايزال بالعمل..فقامت مهدا بفتح الباب لتجده يوسف ..فتآكل قلبها ثم شعرت بالخوف وهو يطاردها ولكنها تماسكت ثم قالت..
-نعم؟؟
-نعم؟؟ دى مقابلة بردو يامهدا؟؟ داانا حتى يعتبر ضيف
فضمت إليها ساعديها ثم قالت
-جوزى مش موجود ومش هقدر أخليك تدخل ..ولا انت مفكره زى

إبراهيم!!

-الله وإنتى إيه عرفك إنه مش زيه ..ماابراهيم فضل بردو يمثل عليكى لحد ماانا كشفتهولك

-لا إتطمن..أنا المرادى عرفت أختار

-على إساس إن إبراهيم كنتى مختاراه؟؟ إنتى عارفة جوازكو كويس كان بسبب إيه

-يوووه إنت جاى تحقق معايا؟؟ إتفضل يلا من غير مطرود

وفى تلك اللحظة عاد كمال من العمل ..ليرى يوسف واقفا أمام الباب ..فتدخل قائلا..

-هو فى إيه؟؟ مين دا يامهدا؟

فاارتبكت وارتعشت شفتاها ثم قالت..

-داااا...داااا...داا يبقى يوسف بيه صاحب إبراهيم الله يرحمه

فنظر إليه كمال بعدم إرتياح ثم قال

-اااة..أهلا وسهلا

فرد يوسف قائلا..

-أهلا بيك ...أنا فى الحقيقة كنت عاوز أتكلم معاك كلمتين كدة على انفراد يااستاذ كمال

فدارت أعين مهدا بين يوسف وكمال واستوطن الخوف أحشاء قلبها ..إلى أن

رد كمال قائلا...

-مااشى ..اتفضل..تحت أمرك

وأشار إليه بالدخول..ثم بعد أن دخل ..طلب كمال من مهدا أن تحضر لهما مشروبا وقام باستقباله بغرفة الصالون ثم بعد أن جلسا...تجاذبا أطراف الحديث ومهدا لا تزال تقف بالمطبخ تحملق بالقهوة التى تنتظر أن تغلى واضعة يدها على قلبها ..خوفا من أن يضعف كمال أمام مغريات يوسف التى تعرفها جيدا وعاهدتها قبلا مع زوجها السابق إبراهيم..إلى أن غلت القهوة ووضعتها بالفناجين قبل أن تفور وأثناء ذلك..

سمعت مهدا صوت كمال وهو يصيح قائلا..

-إمشى إطلع براااا...ولو جيت هنا تانى رجلك دى هقطعهالك

فجرت مهدا إليهما تاركة فناجين القهوة .. فوجدت كمال يوبخ يوسف وينهره ومن خلال ذلك إستنشفت مهدا ماذا يمكن أن يكون قد قاله يوسف أو عرضه عليه ..ففرح قلبها بل رفرف من الفرحة ..إنه أخيرا ذلك الرجل الذى دائما ماكانت تحلم به..إنه أخيرا سند حياتها وفارس أحلامها الذى كانت تتمناه والذى أهداها القدر إليه بعد أن يأس كل مافيها وكرهت الحب ولعنته ..إنها لها الحق الآن لأن تبكى ..لأن ترقص..لأن تغنى..لأن تفرح ..وتنسى جميع ماعانته ...فبعد أن قام كمال بطرد يوسف وقصف الباب خلفه .. إلتفت إلى مهدا التى كانت تشاهد مبتسمة جميع ماحدث ومن ثم بعد صمت قليل

تتوافد فيه النظرات بينهما إغرورقت أعين مهدا ثم جرت إليه لتصعد إلى أحضانه وتحتضنه بقوة وهى تبكى ثم ضمته إليها كما لو تود إختراق صدره والدخول فيه ..ولقد كان فى بكائها رجاءا وفرحة ..مشاعر مختلطة بين الفرح والحزن ..وحينما سكنت ..رفع وجهها عن كتفه ..ليسألها عن أشياء كثيرة ..أولها كان عن سبب هذا البكاء..فقالت..

-علشان فرحانة

-فرحانة؟؟

-أيوة

-وهو الفرحان بيعيط؟؟

-أيوة ..دى دموع الفرحة ...أوقات لما يكون الفرح زايد عن اللزوم بنبكى ..دى من رحمة ربنا ..علشان نعادل الفرح الى جوانا ومايحصلناش حاجة ونموت

-طيب يافيلسوفة وإيه بقى سبب الفرحة دى؟

-إنت

-أنا؟؟

-أيوة ..علشان كل يوم بكتشف إنى معايا راجل بجد ..يقدر يحمينى ويحافظ عليا..أنا دلوقتى أسعد واحدة فى الدنيا

-إنتى كنتى عارفة بقى الراجل دة كان عايزنى فإيه

-أيوة..لإنه طلب دة من جوزى اللى كان قبل منك

-وأكيد رفض زيي صح؟؟ أصل مستحيل فى راجل يقبل كدة على مراته أبدا

-لما يكون راجل بقى

-قصدك إيه؟؟

نزلت دمعة أخيرة من خديها ومن ثم تذكرت ذلك اليوم المشؤم الذى أخذها به إبراهيم إلى يوسف ..فتحول شعورها إلى حزن وراحت مرة أخرى لتلتجئ إلى أحضانه ولتحتوى عنقه بكل قوتها ..حتى أصبح كل مابها يرتجف ..فأخذ يهدهد على شعرها ويمسح على كتفيها ..حتى هدأت واستكانت ..ومن ثم حملها وذهب بها إلى غرفة نومها ليلقى بجسدها على الفراش بنعومة ..وليمسح على وجهها بلطف شديد مزيلا فى طريقه مجرى الدمعات ..حتى ابتسمت ووضعت يدها على يده التى كانت تستريح على وجنتها وفى تلك اللحظة ..قرر كمال أن يكمل يسألها..

-ممكن افهم دلوقتى بقى إيه الى بيحصل؟؟

فأخذت تقص له جميع ماحدث منذ أن تزوجت إبراهم فيماعدا حادثة وفاته ..مما أثار غضبه وأخذ يلعنه بينه وبين نفسه وأشفق كثيرا على تلك المسكينة..التى وقعت ضحية لهذا الذئب البشرى ..وحينما انتهت من سرد تفاصيل الحكاية..تفوه كمال قائلا..

-يااا ..دا طلع خسيس اوى

-أيوة ومن ساعتها ويوسف بيزن عليا علشان اروح اعيش معاه...فقولت بدالماافضل مع إبراهيم ويبعنى لواحد تانى ..اطلب من يوسف اننا نتجوز واهوو مش هيكون محتاج فلوس علشان يبعنى ..نص العمى ولا العمى كله..وكنت بماطل فيه..لحد مااتعرفت عليك ..مابقتش بقى بكلمه ..وكان لو كلمنى اتهرب منه..لحد مابقى يهددنى ..وكان مفكر إنك هتكون زى إبراهيم وهتبعنى

-اللى حصل دة أكيد زعلنى كتير ..بس انا عمرى مااقدر أبيعك

-بجد؟؟

-أيوة..إنتى عارفة البتاع الى اسمه يوسف دة طلب منى كام ..علشان أبيعك ليه؟؟

-كام؟

-100000جنيه

-يااااه ..للدرجادى ؟

-اللى زى دة يامهدا مستعد يعمل أى حاجة علشان يوصل للى فدماغه ...واهو أخد اللى فيه النصيب...يلا بقى قومى حضريلنا الغدا ولا مش هناكل النهاردة؟؟

وف مشهد الآخر من خلف الباب سنجد تهانى وهى تخرج على أثر صوت كمال وهو ينهر يوسف ويوبخه ...فنادته بصوت خافت من على الدرج ليصعد

إليها...

فالتفت إليها ثم قال

-أنا ؟؟؟

-أيوة ...تعالى

وحينما صعد إليها ..أشارت إليه بالدخول إلى شقتها

****

الفصل التاسع عشر

"نصيب من الأحزان"

وفى اليوم الذى يليه ..قامت مهدا بتجهيز الطعام ثم أعدته على الطاولة ..حتى أتى كمال وأخذ فى تناول الطعام ولقد كان الصمت رائدهما ،،وأما مهدا فلقد كانت ..ساهدة...شاردة.. وبين شفتيها إبتسامة حزينة ..كانت ترثى بها نفسها وعيناها مفتوحتان كان تنظر بهما إلى لا شئ... ساهمة لا تحس بشئ وكأنها تفكر فى أمر ما ..مما لفت إنتباه كمال وجعله يتوقف عن تناول الطعام ليسألها..

-مالك يامهدا؟

نظرت إليه بحزن ثم قالت

-مافيش

-لاء فى ..فى إيه مالك؟

فنظرت إليه تلك المرة بخوف شديد ثم قالت..

-خايفة عليك

-من إيه؟

-من يوسف ..داا راجل إيده طايلة وإبراهيم كان بيعمله ألف حساب..خايفة لتضيع بسببى

فابتسم كمال ثم قال مازحا

-وإيه يعنى ..فداك ياجميل

فصاحت قائلة..

-لاااااااااااء...داانا أموت فيها وحياتك ماتقول كدة

-بعد الشر عليكى وبعدين ياستى العمر واحد والرب واحد وكلنا فى الآخر هنموت

فرقرقت دمعة وندت من عينيها ثم قالت..

-أرجوك ماتجبش سيرة الموت...أنا مااعرفش من غيرك ممكن يحصلى إيه

نهض كمال عن مقعده ليمسك بيدها ثم يجذبها لتجلس على ركبتيه وقال بلهجة مازحة

-ياترى ممكن يحصلك إيه؟

فانكمشت الإبتسامة الحزينة حتى أصبحت دمعة كبيرة تقع على شفتيها..

وحينما رأى دموعها ..إكشرت إبتسامته وشعر بأن الأمر لم يعد يحتمل هزلا ..ومد يده ليزيل تلك الدمعات التى كانت تتساقط على وجنتيها وقال لها بصوت يخفق بالحب..

-لو ليا عمر ياامهدا. إتطمنى أنا عمرى ماهسيبك

-مش عاوزاك تروح منى...أنا مااصدقت لقيتك

-إتطمنى..ربنا كريم وأكبر من الكل ..وبعدين قوليلى إيه حصل ماانتى كنتى كويسة من شوية

-مااعرفش...قلبى واجعنى أوى ...حاسة إن فى حاجة هتحصل

فهدهد على شعرها برقة بالغة ثم قال..

-إتطمنى ياحبيتى إن شاء الله مافيش حاجة هتحصل

-يااارب ...أتمنى

-يااه للدرجادى بتحبينى يامهدا؟؟

-جداااااا... كلمة بحبك دى قليلة جدا على اللى فقلبى ليك

-طيب وانا بقولك اهه اتطمنى..أنا عمرى ماهسيبك..

وبعد ساعات خلدا إلى النوم ..ولكن مهدا كانت لاتزال ياقظة ..تتنقلب بالفراش يمينا ويسارا ..لم يطمئن قلبها أبدا فى تلك الليلة ..إلى أن أصبح الصباح وقامت مهدا التى لم تنام طوال الليل ولم يغمض لها جفن وأيقظت كمال للذهاب إلى عمله إلى أن إستيقظ وقبلها ومن ثم لم يبارحها ذلك الشعور بالخوف الذى كان يستوطنها ..ومن ثم قامت بتجهيز الفطور وقاما بتناوله ثم فتح كمال الباب للذهاب إلى عمله وباب رزقه وفى حين ذلك ..نادته مهدا والخوف يقبض على قلبها ..فاالتفت إليها قائلا..

-أيوة يامهدا. .عاوزانى أجبلك حاجة وانا جاى؟؟

فجرت إليه وأحزانها ومخاوفها تسبقها ودفعت بجسدها إلى أحضانه وضمته إليها بلهفة وحب ..فاندهش قائلا..

-إيه ياامهدا مالك...إنتى من امبارح مش عجبانى

فرفعت وجهها إليه لتقول..

-خليك معايا النهاردة ..ماتخرجش

-إنتى بتقولى إيه بس ياامهدا.إنتى عارفة إنى بشتغل باليومية ..مش موظف حكومى يعنى علشان أخد أجازة

فقالت والقلق يشتد بقلبها..

-علشان خاطرى ماتخرجش النهاردة.أنا مش مرتاحة

فضم وجهها بين يديه ثم قالت

-إن شاء الله خير ..وبطلى بقى حركات العيال بتاعتك دى علشان أنا ورايا شغل ومش فاضى للدلع بتاعك دة

كانت مهدا تمسك بسترته وتقمض عليها بأظافرها لحاول كمال إبعاد يداها عنه بلطف شديد ..إلى أن استسلمت أمام إصراره وتركتها على مهل ، ولقد كان كل مابداخلها يصرخ إليه بأن لايذهب ولكن دون جدوى ..رضخت لإرادته وإرادة ذلك العمل الذى يستوجب الذهاب إليه ..ثم قال لها قبل أن يذهب..

-لا إله إلا الله

فاابتلعت ريقها ثم قالت بشفاه مرتعشة

-محمد رسول الله

ورحل ثم أخذت الذكريات تمر بمخيلتها كسرعة البرق..وهذا السكون الذى كان يسود الجو بعد أن ذهب..ماكان سوى سكون ماقبل العاصفة...لقد كان هناك شئ يعصم قلبها ..شئ يوحى بأمر سئ على وشك أن يحدث..وهما مفزعا يعتصر قلبها ..لا تدرى كنهه ولا من أين يأتى..

إلى بعد عدة ساعات.. شعرت بوخزة فى قلبها وهى تعد الغذاء..وخزة قوية قد سمع بصداها سائر جسدها ..حتى بدأت لأن ترتجف ويرتعش كل مافيها ثم ذهبت إلى الباب وما كانت تعرف ما يحركها سوى شعور ..شعور خبيث يختنق بداخلها..حتى وقفت أمام الباب وأوقفت حينها جميع حواسها لتنصت..

شش..صه

القنبلة الآن على وشك أن تنفجر..فقط شاهد وتأمل روحك وهى تصعد إلى السماء ...ممنوع عليك أن تتكلم..أن تعترض..أن تحاول أن توقفها..

فقط شاهد وتألم..

ثم بعد قليل حدث ما كانت تنتظره ..ماكانت تترجاه لأن يعود ولا يحدث..

لقد طرق الباب..

فاانتفضت وتسمرت مكانها

إلى أن طرق الباب بقوة من شدتها لم تكن تسمعها وإنما أخذت تتخيل إلى مابعدها ..لتراه تماما مثل الصورة الواضحة ..فتبينت..تبينت حتى قبل أن تعرف

ولكنها شعرت!!

لقد شعرت بتلك الكارثة التى تقف الآن أامام الباب ولكن كان هناك جزءا كبيرا

من عقلها لم يكن يصدقها ..فمدت يدها ووضعتها على المقبض وأدارته ببطء حتى إنفتح الباب لترى كمال وهو يحمله أربعة من الرجال وخلفهم أهل الحارة ..رجالا ونساء وهى شاردة...ضائعة...لاتصدق ماتراه فارغة فاهها ..فدخلو إلى شقتها ليضعوه على الأريكة وهويتناثر من جبينه الدماء وإلى جانبه رجالا يقولون...لا حول ولا قوة إلا بالله ...وهى تشاهد...فقط تشاهد ولا تدرى من ذلك الذى مات!!

إلى أن أتاها أحدهما قائلا..

"البقاء لله"

فذهبت إلى جسمانه ونظرت إليه لترى قميصه الزهرى الذى اختارته له خصيصا من بين جميع الألوان..حيث أنه أكثر لونا كان يلائم لون عيناه وهذا شعره الذى كانت كلما مشطه تبعثر خصلاته هنا وهناك

إنه شخصا يشبه كثيرا شخصا تعرفه ..لالا ليست معرفة عادية..إنه حتما شخصا كانت تراه دائما بالأحلام

إلى أن بدأ عقلها يستيقظ ..ليعى جيدا..أن ذلك الرجل الغارق فى دماؤه هو كمال!!!

ولكن البقاء لله فى من ...هل مات؟؟

فجثت على ركبتيها وأخذت تتحدث إليه وتناديه

لكنه لم يرد..هل فقد وعيه؟ هل هو الآن فى حالة إغماء؟

فهدهد على كتفيها رجلا قائلا والأسف يدنى جبينه..

-الله يرحمه ..

-لالالا هو وعدنى إنه مش هيسبنى هو أكيد مش مات

ثم هزت جسده بقوة وأخذت تحادثه وتناديه ولكن دون جدوى .. لقد أصبح من أعداد الأموات

وحينما تيقنت حقيقة موته وبدأ عقلها أن يتيقظ لهذه الكارثة

صرخت بعلو صوتها وأخذت تهز بجسده وتحادثه..

-كمال..رد عليا ...أرجوك ماتسبنيش أنا ماليش غيرك

فلم تتلقى منه ردا ..فصرخت بأعلى صوتها وكأن قلبها يحتضر ...ويتمزق داخلها أشلاء

حتى أبعدها الجميع عن جسمانه ..قائلا أحدهم

-إكرام الميت دفنه ..يلا ياجماعة علشان نلحق ندفنه قبل المغرب

فازداد صراخها وضمت رأسه إليها واحتضنته بقوة قائلة..

-لاء مااحدش هياخده منى أبداااا..

فتدخل النساء وأخذوها عنوة حتى يقوم الرجال بعمل اللازم وهى تقاوم منعهم..وتصرخ ثم تصرخ وامااكتفت من الصراخ حتى نبح صوتها وسكت تماما لديها الكلام ومابقى سوى دموعها ..تسترسل جروحا على وجنتيها ..وقلبها يسقيها من العذاب ألوان

إلى أن فقدت وعيها وأغشى عليها رحمة من الله

-مهدا..مهدا إصحى

قالت ذلك أحد النساء وهى تحاول إفاقتها إلى أن بدأت بفتح عينيها ..قائلة بصوت مبحوح

-أنا فين..كمال ماتسبنيش

-لا حول ولا قوة إلا بالله

قالت ذلك إمرأة أخرى فقامت بفتح أعينها بشكل كامل ونهضت فجأة لتصيح قائلة

-كماااال هو فين

لم يرد عليها أحد من الموجودين داعيين الشفقة على وجوههم إلى أن ردت إحداهن بعد دقيقتان لتقول

-الله يرحمه ..إدعيله بالرحمة ..لله الدوام

لقد تمنت أن يصبح هذا حلما ،، أو مجرد كابوسا ولكن كانت الحقيقة

قاسية...مريرية ..فودت أن تعود إلى الصراخ ثانيا ولكن لقد جف صوتها تماما ولم تعد تقوى على الصراخ ..فتقوعت على نفسها وأخذت فى الشهيق والبكاء .

تم الدفن وانتهى مراسم العزاء ومن ثم تحدث إليها أحد الرجال قائلا..

-مدام مهدا...مدام مهدا..

فنظرت إليه ..فقال لها..

-كمال ..قبل مايموت إدالى الظرف دة وقالى أديهولك

فأخدته ثم فتحته بعد أن غادر الجميع لتجد بالظرف رسالة مكتوبة بخط يد كمال

وتبدأ بقرائتها..

بسم الله الرحمن الرحيم

حبيبتى وعشقى الأول والأخير مهدا...

الفصل العشرون

"رسالة من الموت"

بسم الله الرحمن الرحيم

حبيبتى وعشقى الأول والأخير مهدا..

فى حال إن توفانى الله أو حدث لى شيئا..أردت فقط أن أخبرك سرا..ربما لم أقوله لكى من قبل ولكن صدقيه ..صدقيه بقوة ، وتأكدين بأنى الآن فى أكثر لحظات صدقى..إنى أعلم بأن ساعتى قد اقتربت ،، ولا أدرى كيف ولكنى أستطيع الشعور بذلك بمنتهى السهولة..

حبيبتى مهدا..لقد كنت أشعر بك ..لقد كنت أشعر بأنفاسك التى كانت تزفر وتتنهد بصعوبة خوفا وقلقا ، وتقلبك يمينا ويسارا على الفراش ونومك الذى لم تبارحيه ليلة أمس ..لقد كنت أحس بنفس الإحساس ونفس الشعور الذى كان يعتريك، ولكن كان يمنعنى أن أؤكده إليك وإلى شعورك ..لقد كنت أخاف ..فعليا كنت أخاف..وما كنت أخاف على نفسى ولا من أى تهديد وترغيب..

لقد كنت أخاف أن أتركك وأتسائل هل فى الدار الباقية سأجد مخلوقة مثلك

ولكنى لم أكن أريد..لم أكن أريد أن أتركك ولكن كان يجب أن أرحل لأن بكل بساطة..هذه إرادة الله.

حبيبتى مهدا..
إنما الدار الآخرة لهى الباقية ، ولقد أردت أن أخبرك بعد رحيلى ..أن مخلوقة مثلك تستحق أكثر من أن يضيع العمر من أجلها..لقد أردت أن أخبرك بأنى..وفيت بالوعد وصدقته حينما أقسمت على حمايتك لأخر يوم فى عمرى ..لقد جاء أخر يوم ياحبيبتى ثم آخر ساعة ثم آخر دقيقة ولم أتوانى ثانية أو أشعر بالندم ..إنه لفخر لى أن أكون شهيد حبك ..شهيد عشقك..شهيد كل شئ قد كنه القلب إليك ..لقد كنت أحس بخاتمتى حتى قبل أن تحسين ولكن ...ماوددت أبدا أن أقلقك أو أثير الحزن فيك..لقد علمت منذ الوهلة الأولى التى عرفتك بها بأنى خلقت فقط لراحتك وما خلقت لأغضبك أو أكون سببا فى إزعاجك ..فأرجوك سامحينى..سامحينى على وعدى بعدم الرحيل..فأنتى تعلمين أن ...إرادة الله فوق كل شئ لذلك لا تحزنى..
أنا الآن ميت حتى تفرحين
أنا الآن ميت لأنى أحبك ولأنى لم أسمح لأحد أن يشاركنى فيك
أنا الآن ميت شهيد هواك الذى غرق فيه قلبى وأقسم أن يموت فيه.
أتذكرين فارس الأحلام؟
الآن مسموح لك أن تجعليه يحملك عوضا عنى ..لا أريد أبدا أن ينقصك أى

شئ ،ولن أقول اذكرينى ..يكفى بأنى استمتت من أجل أن تعلمين
بأنى أحبك ..وبأن عمرى أمام حبك ماهو إلا القليل..

زوجك الميت..
كمال

فاانسحبت دمعة لم تحسها من عينيها لتتفاجئ بكلمة
the end
على شاشة العرض الخاصة بالسينما ..عائدة من ماضيها وذكرياتها إلى زوجها
العاشر الذى كان يجلس بجوارها
وحينما إنتهى العرض نظر إليها فلمح بعض الدمعات فى ظل الضوء الخافت
وهى تتلألأ على خديها
فسألها..

-مالك ياامهدا..إنتى بتعيطى ؟
هنالك أحست بدموعها فمدت يدها تتحسس وجنتيها ..لتجد بالفعل آثار
دموع . ..فمسحتها ثم قالت..
-لا..مافيش..هو الفيلم بس كان مؤثر شوية
-اة فعلا...بس كنت مفكرك هتكونى مبسوطة مش تعيطى
فضحكت بقهر ثم قالت..

-معلش بقى ..إنت عارف إنى حساسة وأى حاجة بتأثر فيا

-اة إنتى هتقوليلى

-يلا بينا نخرج من هنا

وبعد أن خرجا من السينما ..عزم زوجها العاشر على تناول العشاء فى أحد الكازينوهات وبالفعل لقد ذهبا إلى هناك..وجلسا على أحد الطاولات ثم بعد قليل

تم تشغيل أغنية بإيقاع موسيقى هادئ ..فمد يده إليها ليرقصان معا على إيقاعها فنهضت معه إلى حلقة الرقص وقامت بتغليف يدها على عنقه ودست أعينها على كتفه وكأنها تمنع عقلها من الذكريات وأما هو فلقد قام بجذب خصرها إليه بادئين بالرقص..ومن ثم تحول تغليفها لعنقه إلى إحتواءا لكتفيه حتى انتهت الرقصة ..وذهبا إلى غرفتهما وليمدد كلا منهما جسده بإرهاق وتعب ..حتى نام زوجها العاشر أما هى فلقد كانت على موعد آخر من الذكريات.

______

فتح الباب فجأة بقوة وعنفوان جعلها تضطرب ونظرت فإذا بثلاث رجال يقدمون عليها ويرغمونها أن تأتى معهم ولكنها لم تستمع إليهم وأخذت فى المقاومة ..فقامو بكتيفها وكلبجة يديها خلف ظهرها مع شريط لاصق وضعوه

على فمها

وفجأة تظهر تهانى وهى تدخل شقتها ثم تنظر إليها بشماتة ثم تقول..

-إنتى كنتى مفكرة ياحشرة إنتى إن تهانى هاتسيبك؟؟

فهمهمت مهدا من خلف الشريط اللاصق ..مما جعل تهانى تردف قائلة..

-إيه؟ عرفتى دلوقتى إنك إنتى الى تحت جزمتى واقدر أدوس عليكى فأى وقت؟؟

ثم نظرت إلى الثلاث رجال وقالت

-الناس دول دلوقتى هياخدوكى ...خليكى كويسة معاهم واسمعى الكلام أحسن يوسف بيه يزعل منك

وضحكت ضحكة عالية ثم خرجت ..فتبعها الثلاث رجال وهم يحملون مهدا التى كانت تحاول الصراخ ولكن دون جدوى ، ومن ثم خلدت تهانى إلى شقتها ...أما الثلاث رجال فلقد شقو طريقهم إلى عوامة..يوسف بيه.

-الطلب وصل ياايوسف بيه

قال ذلك أحد الرجال الخاطفين بعدما أتو بمهدا إلى العوامة ..فنهض يوسف عن مقعده بشموخ وأخذ يدور حولها وهى مكتفة قائلا..

-غبية ..إظاهر إبراهيم ماامعرفكيش مين هو يوسف ويقدر يعمل إيه

فنظرت إليه بخوف ..حتى أمر بنزع اللاصق من على فمها والدموع تقطر قويا

من أحداقها
وأثناء ذلك رن هاتف يوسف ..ليرد عليه قائلا..

-أيوة ياتهانى..اة وصلت...
-أى خدمة ياايوسف بيه..أنا أول ما الرجالة جم ..ادتلهم النسخة التانية بتاعت الشقة ومهدتلهم الجو وعملو اللازم زى ماانت قولت بالظبط
-أيوة ياتهانى ..تمام..حقك هيوصلك
-متشكرين ياايوسف بيه ..وابقى اتوصى بالغندورة ..سلام

أنهى يوسف مكالمته مع تهانى ثم إتجه إلى مهدا التى كانت ترتعد من الخوف وقال لها..
-قولتهالك مرة قبل كدة يااهدا ..ماتخلقش لسه اللى يعرف يضحك عليا ، واهى دى النتيجة ..خسرتينى وخسرتى الشملول بتاعك اللى كان عاملى فيها سبع الرجال..
ثم صاح بعلو صوته قائلا..

أغبياااااا...كلكم طلعتو أغبيااا..علشان فكرتو إن شوية نمل زيكم ممكن يوقف فى طريق رغبتى أو قصاد حاجة أنا عايزها ..مبسوطة دلوقتى؟؟
أنا كنت عايزك وانتى راضية مش غصب عنك ..بس انتى اللى اضطرتينى لكدة ..وإنتى السبب فى اللى حصل لكمال
بفضل غبائك الى صورلك إنى هسيبك وإن حتة عيل زى دة ممكن يحميكى

منى ..غبية

ثم جذبها من شعرها لتنطلق منها صرخة مدوية قال فى إثرها..

-عارفة إنتى موت حبيب القلب خد من رجالتى وقت قد إيه؟؟

بالظبط دقيقة وكان فى الدقيقة دى..عربية جاية من بعيد وهوب ..طيرته لفوق ..لفوق أوى.

ثم دفعها لتسقط على الأرض داخل هستيريا من البكاء قائلا

-أنا كنت هعيشك فى نعمة وكنت هخليكى هانم ..لكن من النهاردة هتكونى خدامتى...خدامة ليا أنا وبس ...دلوقتى جه الوقت الى تدفعى فيه تمن غدرك معايا وصدقينى مش هرحمك

ثم صاح قائلا..

أقسم بالله ياامهدا مااهرحمك.

____

غطت مهدا فى نوم عميق بعد حديثا طويلا من الخيال والذكريات حتى أصبحت على صوت زقزقة العصافير التى كانت تقف بشرفة الغرفة ..فاستيقظت لتجد زوجها العاشر لايزال نائما ويغط فى ثبات عميق ..فقامت بالذهاب إلى الشرفة وأخذت نفسا عميقا لتحصل على المزيد من الهواء النقى لاستنشاقه ومن ثم شعرت بألم فى معدتها جعلها ترغب فى أن تتقيأ وركضت إلى المرحاض لتفرغ جميع ماباأحشائها ..إلى أن استيقظ زوجها

العاشر وذهب إلى الحمام ...ليجدها على هذه الحالة لأكثر من نصف ساعة ، ويصر لأن يذهب بها إلى الطبيب ...ليقول...

-مبرووووك المدام حامل

كاد لزوجها أن يطير من الفرحة وأما هى فلقد سيطر على فرحتها موجة حادة من الذكريات و أخذت تتذكر ...أين سمعت هذه الجملة قبلا!!

____

لقد كان يرتجف كل مابها وكاد قلبها لأن يخرج من الخوف من بين ضلوعها ،، وحيال ماكان يوسف يقوم بتوبيخها ونهرها ..لقد أغشى عليها وأخذ هو ورجاله فى إفاقتها ..لكن دون جدوى ..فأرسل إلى طبيبا من ضمن معارفه وقام بفحصها ..ليخرج إليه قائلا..

-البنت حامل وشكلها اتعرضت لمجهود كبير ..كان هيجهض الجنين بس الحمد لله ..أنا ادتلها حقنة فوقتها ونامت ..بس محتاجة حقنة تثبيت للجنين ..وماتتحركش كتير لإنه دلوقتى لخطر

فرفع يوسف كلتا حاجبيه ثم قال باااستغراب

-إيه حامل؟؟

الفصل الحادى والعشرون

"بنت العذاب"

فرفع يوسف كلتا حاجبيه ثم قال باستغراب

-إيه ..حامل؟؟

-أيوة وفى الشهر التالت كمان

فأمسك يوسف بياقة قميصه وقال بعنفوان..

-الجنين دة لازم يموت

-يا يوسف بيه البنت ضعيفة ومايتفعش نجهضها ممكن تروح فيها لإن هيجلها نزيف وتبقى مصيبة

فدفعه إلى الباب بكل قوته قائلا..

-إطلع براااا

ثم ذهب إلى مهدا التى كانت تغط فى ثبات عميق وأخذ يخاطر باله قائلا...

-ماشى يامهدا..فلتى المرادى بس حسابك معايا بعدين..

عم الظلام والسكون فى أنحاء النهر إلى أن وصل إلى عمق الليل ..مما سمح لرجال يوسف أن يغطو فى ثبات عميق ..فااستيقظت مهدا التى كانت تحاول فتح أعينها المتورمة بصعوبة بالغة ..إلى أن فتحت عينيها بشكل كامل وحينما بدأ عقلها لأن يستيقظ ..هبت منتفضة وهى تنظر حولها وتبحث عن مخرج إليها ثم ذهبت إلى باب الغرفة وفتحته ببطئ حتى أصبح لديها مجالا ضيقا لأن تنظر من خلاله إلى أؤلئك الوحوش الذين كانو يمكثون خلفه ...لتجد ثلاثة رجال ينامون فى فسحة العوامة ..فرنت بعقلها فكرة الهروب وبدأت قدماها لأن تتحرك بخوف وتنفذ خطتها إلى أن استطاعت أن تفلت من بين أجسادهم الضخمة التى كانت تحتل الأرض وأخيرا خرجت من العوامة نهائيا ..لتنظر إلى البحر باحثة عن قارب أو طوق نجاة لتوصلها إلى الشاطئ وفى حين ذلك نظرت إلى جانبها..لتجد رجلا رابعا يقف بجوارها وينظر إليه بفتور دون أن يحرك ساكنا...فارتعدت وبدأ جسدها لأن يرتجف وحينما لمح خوفها أشارإلي شفتيه بسبابته قائلا..

-شش

وأمسك بيدها ثم إتجه بها إلى الزاوية التى تطل على القارب الصغير وأشار إليها للنزول فيه ،، ولكنها لم تستطع ..فحملها ثم أنزلها برفق على القارب وأخرج سكينا صغيرا من جيبه وقطع الحبل...فنظرت إليه باامتنان وعينان غارقة بالخوف ثم عادت إلى نفسها وحياتها وأخذت تجدف بالقارب حتى

وصلت إلى الشاطئ ونزلت عنه ثم أخذت بالركض بعيدا عنه وعن كل شئ قد يصل إليها يوسف عن طريقه ..وركضت ثم ركضت ..حتى وصلت إلى الشارع العمومى وواصلت الركض لتتوقف فجأة حينما شعرت بشيئ يسيل على رجليها ثم بكل شئ وهو يدور حولها ثم أغشى عليها.

كان يمر من نفس الطريق فى ذلك الوقت المتأخر سائق أجرة يدعى يس وحينما رأها توقف بسيارته ثم هرع إليها وحملها ليوصلها إلى أقرب مشفى صحية خاصة حينما رأى الدماء وهى تسيل على رجليها وتغرق ملابسها.إلى أن وصل إلى المشفى وصعد بها إلى الدور الأول بإشادة أحد الممرضات ثم وضعها على الفراش منتظرا أحد الأطباء لأن يقوم بفحصها وأثناء ذلك دخل الطبيب ليفحص الحالة ثم يصيح قائلا لأحد الممرضات..

-جهزى غرفة العمليات بسرعة دى حالة إجهاض

-مهدا مهدا...إنتى رحتى فين

قال ذلك زوجها العاشر ..فعادت من ذكرياتها إليه لتقول..

-أبدا مافيش

-أمال مالك سرحتى فإيه ..مش فرحانة؟

فاابتسمت إبتسامة مغتصبة ثم قالت..

-لا إزاى فرحانة طبعا...

فتفوه الطبيب قائلا..

-مبروك ياامدام مهدا ..هو فى الحقيقة المفروض النتيجة مش هتكون واضحة إلا بعد أسبوع بس أعراض الحمل جاتلك مبكرة وكل شئ بيدل على إنك حامل لسه فى الأسبوع الأول ...إنما طبيا لسه مااتأكدناش ...فعدى عليا كمان أسبوع علشان نعمل التحليل اللازم ونتأكد من الحمل

-حاضر.. إن شاء الله

فتدخل زوجها العاشر قائلا...

-طيب نستأذن إحنا ياادكتور متشكرين أوى

وصالحه ثم عادا إلى السيارة متخذين وجهتهم إلى الفندق وأثناء ذلك تفوه زوجها العاشر قائلا..

-إيه يامهدا ..مالك..حاسك مسهمة كدة مش حاسك فرحانة

-لا فرحانة طبعا ..بس مستغربة إنه حصل بالسرعة دى

-هههه لازم يحصل طبعا ..هو أنا أى حد ولا إيه

فوكزته فى ذراعه وهى تضحك قائلة..

-على كدة شهر العسل باظ

-لالالا باظ إيه لسه فاضل فيه تلت أسابيع

-مااهو التلت أسابيع دول هيكونو كلهم قرف وترجيع

-لالا ياحبيتى إحنا لسه فى الاسبوع الأول ..يعنى تقدرى تعملى كل اللى

انتى عاوزاه مش هتحسى بالحجات دى أوى لإن الجنين لسه ماتكونش

-هيييه..أتمنى ..مين عالم ممكن يطلع حمل كاذب لسه مااتأكدناش

-لالالاماافتكرش..أنا واثق إنك حامل

-ياسلاااام وعرفت إزاى؟

-قلبى قالى وهتكون بنوتة كمان

-يااااارريت...أنا نفسى فى بنوتة أوى

-إن شاء الله ربنا هيحقق مرادك

-آمييين

وعادا إلى الفندق ثم إلى غرفتها وأول ماذهبت مهدا كانت إلى المرآة ..فنظرت إليها باابتسامة مغرورة ثم وضعت يدها على بطنها وأخذت تتحسسها بحنان بالغ وأثناء ذلك أتى إليها زوجها العاشر ليحتضن ظهرها ثم يضع يده أعلى يدها وينظر إليها بالمرآة قائلا..

-مبسوطة؟

-جدا

-نفسك فى إيه؟

فنظرت إلى وجهه الذى كان فى تجويف عنقها وقالت

-إنت حققتلى كل حاجة أنا نفسى فيها

-بجد؟

فالتفت بجسدها إليه وهى تغلف عنقه بيديها لتقول

-بجد

-طيب إتمنى أى حاجة...نفسك فى إيه..أنا نفسى أعوضك عن كل حاجة شوفتيها لحياتك

فضمته إليها ..باحثة عن الأمان بين يديه ثم قالت..

-حقيقى ماابتمناش أكتر من وجودك جنبى

-يعنى مانفسكيش فى حاجة ياامهدا ؟

فابتعدت عن أحضانه ثم قالت..

-اة نفسى

-نفسك فى إيه ؟

-نفسى أكل سمك

-إيه دة هو الوحم ظهر من دلوقتى ولا إيه لا لسه بدرى

-بطل غلاسة بقى ..بجد عايزة أكل النهاردة سمك

-بس كدة...حاضر عيونى واهو بالمرة نتقى شر الوحم ..احسن الطفل يطلعله ديل سمكة ولا حاجة

-ماشى يالمض ...هناكل فين

-تحبى نطلب أكل تبع الفندق ولا نروح نتغدى برا

-لالا نتغدى برا أحسن

-ماشى زى ماتحبى

وذهب بها إلى أحد المطاعم الفاخرة ثم قام بإخطار النادل بطلبه ... ليحضره على الفور ويتناولونه وهم يستمعون إلى معزوفة موسيقية كانت تعزف على البيانو من قبل رجل ما ..إلى أن أتى رجلا من العاملين بالمطعم ليخبر زوجها أن يعدل عن ركنة سيارته ..حيث كانت تعطل مرور السيارات الأخرى ..فاستجاب له وقام لأن يركنها فى مكان آخر أكثر أمانا ..مما أتاح فرصة كبيرة إلى أن تغرق مهدا فى معزوفة البيانو التى كانت تعزف وإيقاعها الذى كان يتماشى مع دقات أحداث قصتها ومن ثم وضعت يدها على بطنها ضاغطة عليها بقوة مع إيقاع تأثيرى حزين وعادت مرة أخرى لتتذكر....

-حمدلله عالسلامة

قال ذلك سائق الأجرة يس فور أن أفاقت مهدا بعد أن خرجت من غرفة العمليات ..فأجابته بصوت خافت جدا قائلة..

-الله يسلمك..أنا فين

-إنتى فى المستشفى ..وقعتى على الطريق امبارح وانا جبتك هنا

فوضعت يدها على بطنها وقالت..

-أنا لسه حامل صح؟؟

نظر يس إلى أسفل بأسف ثم قال

-للأسف لاء ...الجنين نزل

فأغمضت عينيها بمرارة وعادت لتسترجع دموعها ولتبكى بقهر شديد على ذلك الطفل الذى تمنت كثيرا لأن يحيي ويكون عوضا عن حبها الذى ضحى بنفسه ووهب عمره إليها ...لقد كان هو الذكرى الوحيدة والباقية من زوجها المحب كمال ، لقد شعرت بالحسرة ومقتت تلك الظروف الغبية التى أوصلتها إلى تلك الحالة وحيال ذلك هدهد ذلك الرجل يس على ذراعها قائلا..

-معلش يابنتى..المهم إنتى وكل شئ يتعوض

وأثناء ذلك دخلت إليهم سماسم زوجة يس لتقول..

-خير يا يس إيه حصل

-أبدا ياسماسم ..دى بنت لقتها وقعت فى طريقى وأغمى عليها جبتها المستشفى

وفى تلك اللحظة ..دخل إليهم شابا يناهز الخامسة والعشرون ..نحيفا نوعا ما ..تظهر عليه بعض السذاجة ..ليقول

-فى إيه يابابا ..إيه اللى حصل

****

الفصل الثانى والعشرون

"مثال للرحمة"

وفى تلك اللحظة ..دخل إليهم شابا يناهز الخامسة والعشرون ..نحيفا نوعا ما ..تظهر عليه بعض السذاجة ..ليقول

-فى إيه يابابا ..إيه اللى حصل؟

فاالتفت إليه يس قائلا.

-أبدا ياابنى ..دا بنت غلبانة لقتها مغمى عليها فى الطريق...بس الحمد لله جات سليمة

-طيب الحمد لله ..أمال فين أهلك

فردت مهدا وهى ساهمة تنظر إلى لاشئ لتقول..

-أنا ماليش أهل

-إزااااى

-أهلى ماتو...وجوزى مات واترميت فى الشارع من بعده ودلوقتى ماليش حد غير ربنا

فرقرق قلب سماسم وقالت بإشفاق..

-ياعينى يابنتى ..معلش ربنا يصبرك

وفى تلك اللحظة أشارت سماسم إلى يس لتتحدث إليه بالخارج لتقول له..

-إيه رأيك يايس

-رأيي فى إيه؟

-ناخدها تعيش معانا ونكسب فيها ثواب

-بتقولى إيه ياولية ..إنتى ناسية إن عندنا شاب ؟؟

-يااخويا بلا نيلة ..خلينى ساكتة أحسن..ال شاب ال..إنت هتصدق هتكدب الكدبة وتصدقها

-لمى نفسك ياسماسم..عيب اللى بتقوليه دة ...دا مهما كان إبننا

-أيوة ماهو أنا بقولك كدة علشان مصلحته

-مصلحته فإيه؟؟

-ها ...قولتى إيه يابنتى..موافقة تيجى تعيشى معانا ؟

قال ذلك يس فلم ترد مما جعله يردف قائلا..

-إحنا بردو هندفع رسوم المستشفى واكننا أهلك علشان ماتدخليش فى سين وجيم وتخرجى معانا

فردت مهدا مستسلمة..

-اللى تشوفوه

-صحيح ياابنتى إنتى إسمك إيه؟

-إسمى مهدا..

خرجت مهدا بعد يومان من المشفى مع عائلة يس آخذة وجهتها إلى منزله...لتجده فى الدور الأول لأحد العمارات القديمة وبمجرد أن وطأت قدميها بالمنزل قالت لها سماسم..

-أهلا أهلا...نورتى بيتك ياحبيبتى

فردت مهدا بسهود..

-الله يخليكى

-اتفضلى ياحبيبتى...إتفضلى استريحى

قالت ذلك سماسم وهى تجر مقعدا لتجلس عليه مهدا..وبعد أن جلست..

-طيب أنا هنام فين؟

فأشارت سماسم إلى أحد الغرف قائلة..

-دى هتبقى أوضتك أنا وضبتهالك مخصوص قبل ماتيجى

-متشكرة جدا

-لا شكر على واجب ياحبيبتى...أنا عاوزاكى تعتبرينى زى امك بالظبط

-مش عارفة أقولك إيه ...ربنا يجازيكى عنى خير

-يلا قومى..استريحى شوية فأوضتك

ونهضت عن مقعدها لتستقل الفراش وأثناء ذلك ..ظهر ذلك الساذج ثانيا

ليقول بعفوية..

-ماما ..لما هى هتنام فى أوضتى ..أنا هنام فين

فوكزته سماسم فى ذراعه لتقول له موبخة

-بس يواااد انت ..إبقى نام فى أوضة المسافرين ..البونية جاية تعبانة ولازم تستريح

فتدخلت مهدا قائلة..

-أنا مش جاية علشان أزعجكم..أنا أسفة

-لالا ياحبيتى ولا إزعاج ولا حاجة ..عيب والله الكلام دة ..داانتى زى بنتى وبالمناسبة أعرفك على إبنى بهجت

فنظرت إليه مهدا بسرعة خاطفة ثم قالت..

-أهلا وسهلا

فرد قائلا...

-أهلا بيكى .. على فكرة ماما طيبة أوى وهترتاحى معانا

فنظرت إليها مهدا ثم قالت..

-واضح جدا عليها..أنا مش عارفة أقولكم إيه ..أنا متشكرة جدا

-يالا ياامهدا ..يالا أدخلى أوضتك علشان ترتاحى

مر أسبوعين ومهدا تعيش بين يدى السائق وزوجته وما ذاقت فيهما أكثر من المعاملة الطيبة والكرم المبالغ فيه ولقد ظنت بأن الحياة بدأت لأن تهديها بعض الأمان لأن تعيش فى ظله ..معززة مكرمة، ولكن هيهات ..هيهات لذلك لأن يحدث ولو لمجرد صدفة...هيهات لأن يكون هناك تضحية بدون مقابل ..فنادرا فى زمننا هذا أن نصادف أشخاصا نلقى فى قلوبهم بعض الرحمة...حتى الرحمة لابد لأن يكون لها أكثر من مليون سبب

عفوا..ماذا تقول؟؟

نحن لا نفتحها سبيل!!

لقد انعدمت الإنسانية..أو قد نقول أنها قلت حتى لا نظلم بعض الناس وأولئك الذين يتحدثون كثيرا عن العزة والكرامة ..حسنا لنأخذ بحسبانهم ولنقول بأن فى زمننا هذا ..أصبحت الإنسانية مجرد سلعة ..التاجر فيها مكسبه مضمون ..فإذا أردت إتخاذ منصبا له مكانته ..لابد أن تتحدث عن القيم والأخلاق وتدعى الشرف والأمانة وتنتقد كل من جاء فى طريقك بإسم الله والدين ..حتى تظهر ثقل شرفك وبأنك رجل عاقل...ناضج ورزين..

إعلتوه فى المناصب ...هكذا صاح رئيسه فى العمل

..هذا رجل يحب الله ويحب عمله ..رجل خلوق..ظاهره الإحترام ..له شأن عظيم..

هكذا أصبحت إنسانيتنا..مجرد سلعة نتحاكى بها ونستعرض فيها كل مايحوم

حولها ..حتى يصبح بداخلنا فقط مجرد فراغ لا يسكنه سوى التزييف والغش والخداع ، ولقد كثر فى مجتمعنا هذا النوع من البشر..يدعون الطيبة والإحسان ويتظاهرون بالبر والتقوى وفى باطنهم شيئا آخر يدعو إلى الحقد والغل ورسم المكائد والحسد وهم من ذكرهم الله تعالى فى كتابه العزيز..بسم الله الرحمن الرحيم

(ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله علي مافي قلبه وهو الدم الخصام) صدق الله العظيم.

مر شهرا على هذا الحال ولقد كانت مهدا تساهم بمساعدة خفيفة لسماسم بشأن أمور المنزل ..من تنظيف وطهى..

حتى أتى يوما..تداعت فيه سماسم بالمرض لتقوم مهدا بكل ما يستلزمه المنزل بمفردها ..واستمر الأمر على هذا المنوال ..تتداعى سماسم ثم تقوم مهدا بكل ماينقصه المنزل ..من تنظيف وطهى ومسح وكنس ..إلى أن ملت سماسم من تظاهرها بالمرض وبدأت لأن تأمرها ..إفعلى هذا ، ولا تفعلى هذا ..وانقلى هذا وقومى بطهى هذا ، وكل هذا ومهدا لا تقوى على الرفض أو حتى الإعتراض ..لقد استسلمت ورضخت بكل كيانها ، ،برغم تعبها الذى شاق فيها ألا أنها لا تقدر أبدا أن ترفض أو تحاول حتى تأجيل طلبا طلبته تلك الشمطاء ...بل كان كل ماعليها هو الرضى والموافقة بنفس منكسرة وذليلة ..حيث كان كل تفكيرها هو إلى أين ستذهب..

إلى أين ستذهب وقد أصبحت وحيدة لا حول لها ولا قوة ..وحيدة حتى

من ذلك الآمان الذى كانت تستنجد فيه..إنها الآن ضعيفة..ضعيفة حتى عن أن تقول لا أو تحاول التلميح إليها ..إنها الآن يجب عليها أن ترضى ..تتعب وترضى..تعش بين أيديهم كخادمة وترضى ..إلى أن مضت خمسة شهور كاملة ...لتبدأ سماسم بتنفيذ خطتها...

-مهدا ياحببتى

قالت ذلك سماسم ومهدا تقوم بتهذيب المنزل فاالتفتت إليها بااستغراب .مندهشة من ذلك الحنان المفاجئ الذى اختلط بنبرة صوتها ..فردت قائلة

-نعم يااحاجة

-تعالى هنا اقعدى جنبى عاوزاكى

-حاضر

تركت مهدا مافى يدها ثم جلست إلى جوراها على الأريكة وقالت..

-نعم..معاكى اهه

إبتسمت سماسم إبتسامة يلحقها المكر والخبث ثم قالت..

-هو جوزك ميت دلوقتى بقاله خمس شهور صح؟؟

-أيوة..الله يرحمه

-طيب إيه رأيك لو جبتلك عريس

نهضت مهدا بسرعة البرق وكأنها لدغت بحية ثم قالت..

-إيه عريس؟؟

-أيوة..إيه مالك؟؟

-أبدا..بس انا مابفكرش فى الجواز دلوقتى

-أمال ناوية تفضلى كدة من غير جواز؟؟

فصمتت ولم ترد حتى أردفت سماسم قائلة..

-أقعدى بس

ثم جذبتها إلى مقعدها وقالت

-ياهبلة أنا عايزة مصلحتك..وبعدين قعدتك كدة وسطينا من غير جواز ممكن تجبلنا الكلام

-إزااى..كلام إيه

-إنتى نسيتى إننا معانا ابنى اسم الله عليه بهجت شاب وبردو مايصحش طلعته ودخلته كدة كل شوية عليكى

-أيوة بس بهجت محترم جدا..دااحتى لما بيكلمنى مابيبصليش

-أكيد طبعا مش تربيتى ...بس بردو إحنا ناس مالناش إلا سمعتنا

-يعنى إيه؟؟

-تتجوزيه

____

أتى زوجها العاشر ...بعد أن قام بتعديل مكان استقلال سيارته ومن ثم خرجت مهدا عن ذكرياتها فور أن رأته قائلة..

-إتأخرت أوى

-ماتأخرتش ولا حاجة ..أنا بس اللى بقيت بوحشك بشكل مش طبيعى

فضحكت ضحكة رقيقة ثم قالت

-تصدق عندك حق..إنت بقيت بتوحشنى حتى وانا معاك

-إيه دة إيه دة.. الكلام الحلو دا ليا انا ؟؟

-أيوة طبعا ..هيكون لمين غيرك

-طاب عينى فعينك كدة فاقتربت إلى عينيه وقالت..

-اهه

-فى الحقيقة مش عارف

-مش عارف إيه ؟؟

-مش عارف اشوف كويس الكلام اللى بتقوله عنيكى...وكإنه مكتوب بلغة غامضة..صعب تتفهم

فعادت مهدا بظهرها إلى الخلف وقالت.

-أمال شايف إيه

-شايف علامات إستفهام كتير وخيوط ملعبكة وداخلة فبعضها

-إنت عارف كويس إيه اللى انا واجهته ...كويس جدا إنى لسه عايشة وبعقلى لحد دلوقت

-الحمد لله...أنا عاوزك بقى تساعدينى فى إنك تنسى كل اللى حصل..انا عارف انه مش سهل..بس اوعدينى

فابتسمت ثم قالت..

-أوعدك

****

الفصل الثالث والعشرون

"الخذلان"

مر أسبوعان من شهر العسل ...فقرر كلا من مهدا وزوجها العاشر الذهاب إلى الطبيب لإعادة الفحص وعمل التحاليل والاختبارات اللازمة للتأكد من الحمل

وبالفعل ذهبا إلى هناك وأجرو التحاليل اللازمة ليتضح بها أن...

-للأسف طلع الحمل كاذب

قال ذلك الطبيب فور أن رأى نتيجة التحاليل ..فسكت زوجها العاشر من أثر الصدمة ثم انطلق من صدر مهدا ضحكة خافتة وهى تقول فى خاطرها بسخرية

"إيه يعنى حمل كاذب ماانا حياتى كلها عبارة كدبة كبيرة وياعالم هفضل عايشة فى الكدبة دى لحد إمتى"

-إزاى دة ياادكتور بس حضرتك قولتلى إن كل الأعراض بتأكد إنها حامل

قال ذلك زوجها العاشر فرد الطبيب قائلا..

-فعلا ..هى كانت كل الأعراض بتقول كدة ..لكن إحنا فى مجال الطب

المفروض مابنكتفيش بالأعراض وبس لإن أوقات كتير الأعراض بتكون كاذبة وممكن تكون أعراض لحاجة تانية بتشبه أعراض الحمل ...علشان كدة قولتلك تعالى بعد أسبوع علشان نعمل تحاليل ونتأكد
-طيب وحضرتك ماعملتش التحاليل من يوميها ليه؟
-ماينفعش ياافندم ..لإن ماكنش هيظهر النتيجة فى التحليل كويس ..لإن هرمون الحمل اللى بيظهر فى الدم بيفرز عالأقل بعد ستة أيام بدأ من يوم الزواج وحضرتك قولت إن وقتها ماكنش فات غير أربع أيام أو ثلاث أيام من زواجكم ..علشان كدة قولتلك تعالى بعد أسبوع علشان نتأكد من التحاليل.. إنها حامل فعلا ولا لاء
-طيب ياا دكتور متشكر جدا..

حاول زوجها أن يخفف عنها وليخبرها بأن العمر أمامهم طويلا وأن هذه أمورا طبيعية خاصة وهما لم يتجاوزا بعد شهر زواجهما الأول ..فاابتسمت إليه وأوحته بأنها لم تصدم ولم تفاجئ بذلك الأمر وإنما العمر لايزال أمامهم طويلا كما يقول..

خرجا من عيادة الطبيب ليتجها صوب الفندق ولقد كان فى خيال كلا منهما كلام مبهم ..لا يعلمون يقينا لما كان كل هذا الحزن والصمت ..وإنما أستطيع أن أقول بأنه صعب جدا أن تهدى أحدهما شيئا وتقول له بأنك ستمتلكها مثلا بعد تسعة أشهر ويبدأ لأن يتخيل شكلها ثم يتخيل ماذا سيفعل بها

ولونها وحجمها وبعد كل هذا تأتى لتخبره بكل هذه البساطة حظا سعيدا المرة القادمة.

أمرا مخزى جدا ذلك الأمل الذى يخذل أحلامنا وأمانينا..إن الشئ المحزن حقيقة هو ليس ذلك الشئ الذى ضاع وإنما المحزن فى الأمر هو ضياع ذلك الأمل الذى تعلقت به قلوبنا وأرواحنا وتلك الأحلام التى رسمت بمخيلتنا ، ولقد كان التمنى بأن تكمل تلك اللوحة الجميلة التى كان يرسمها الخيال ولكن بمنتهى السهولة لقد أكبت الخذلان كل ذلك...لمجرد أن الأمل فيه قد تبخر وضاع.

كان زوجها العاشر يقود السيارة ..ولكن عقله كان سارحا فى شئ ربما أشبه بالخيال ..أما مهدا فلقد كانت ساهمة تطل بعينيها من نافذة السيارة إلى تلك المبانى التى كانت تمر من أمامها وأثناء ذلك عادت مرة أخرى لتتذكر...

____

-إيه أتجوزه؟؟

-أيوة تتجوزيه..إيه مش عاجبك بهجت ولا إيه؟

-لالالا أبدا ياحاجة بس أنا مابفكرش فى الجواز ولا عايزة أتجوز بعد كمال جوزى الله يرحمه

-بصى يامهدا إنتى بقيتى زى بنتى واكتر ..بس دلوقتى بهجت إبنى دخوله

وخروجه عليكى كدا حاجة مش سهلة والشيطان شاطر وأنا مش هستنى لحد مانوصل للمرحلة دى ..دا غير إنى عاوزة أرتاح واتطمن عليكى إنتى وبهجت واهو بالمرة تاخدى راحتك بدال ماآكل ماايدخل تقعدى كدة تلمى فنفسك وفى هدومك

واهو ضل راجل يابنتى ولا ضل حيطة.

-أيوة بس

-مافيش بس ..إتكلى على الله وبالمناسبة نسيت أقولك

بهجت كان متجوز واحدة قبل منك وطلقها.

-إيه؟؟ ليه؟

-بنت مفترية ..كانت بتفترى عليا وعلى إبنى بكلام ماحصلش منها

لله..حسبى الله ونعم الوكيل فيها

-معلش..اهو ربنا بيخلص وبيرد المظالم

-ونعم بالله ..ها نتوكل على الله ونعمل الفرح الأسبوع الجاى؟

لقد كانت سماسم مقنعة إلى حد ما ..فهدا لم يعد لديها أى مأوى ولم يعد لديها أى شئ لتبكى عليه ..فلقد أجهض جنينها وقتل زوجها وطردت من شقتها ما الذى تبقى الآن لكى تفكر فيه؟؟

لقد أصبحت تحتاج هذه العائلة بكل قوتها..إنها الآن مآواها الوحيد والأخير ، ولابد أن تحافظ عليها.

لقد تم الزواج بعد صخب مبالغ فيه من الأغانى والزغاريد والأنوار الملونة التى كانت تغلف العمارة من أولها إلى أخرها مما جعل مهدا تسترسل فى الإستغراب خاصة حينما أصرت سماسم أن يتم العرس بفستان زفاف قد إستأجرته خصيصا لذلك اليوم بالإتفاق مع أحد مراكز التجميل لتجهيز العروس بمنزلها دون أن تتكبد عناء الذهاب إليها وبالفعل ..لقد تم كل شئ بتلك الدقة التى تريدها سماسم ..حتى آن الآوان ليختلا العريسان ببعضهما فى تلك الغرفة التى كانت معدة خصيصا لمهدا وفى حين ذلك..إتجهت سماسم ويس إلى غرفتهما وتطرقا إلى بعض الأحاديث التى تنص على..

-تفتكر هيحصل اللى حصل قبل كدة ياابو بهجت والبت دى هتفضحنا؟؟

-لالا ماظنش ..البنت شكلها طيبة وغلبانة

-على رأيك ..هتروح فين يعنى دى مالهاش حد ..إدعى بس إن إبنك يرفع راسنا ولو مرة واحدة

-يااااه لسه عندك أمل؟؟

-ومايكنش عندى أمل ليه مش راجل؟

فنظر إليها يس بعتاب ثم قال

-نامى ياسماسم..نااامى

ثم استلقى على الفراش واندثر تحت الغطاء..فلحقته سماسم ومالت برأسها على الفراش وولته ظهرها ثم أخذت تتذكر..

(flash back)

-إنتى عمالة تشخطى وتزعقى كدة على إيه؟؟
قالت ذلك زوجة بهجت السابقة شرين ..فردت سماسم لتقول بنبرة غاضبة
-أزعق واشخط براحتى إنتى بت أهلك مااعرفوش يربوكى ..علشان تعلى صوتك عليا يااحرباية ..أنا هعرفك أصلك
صفقت شرين بكلتا يديها ثم قالت بتهكم..
-روحى عرفى إبنك إجرى ..نانوس عين أمه
-ماله إبنى يابت ..إنتى تحمدى ربنا إنك لقيتى حد عبرك أصلا ..إنتى كنتى لاقية
-كانت لاقية الندامة والخيابة ..إنتى محسسانى إنى متجوزة راجل
فصفعتها سماسم صفعة قويها على وجهها ثم قالت
-إخرصى قطع لسانك..إبنى أرجل من أهلك كلهم

-إنتى بتضربينى؟؟ طب والله لافضحك إنتى وابنك
ثم خرجت من المنزل وصاحت بعلو صوتها..
-إلحقووونى ياناااس ..إلحقووونى يااخلق ..أم الشملول اللى متجوزاه اللى لحد دلوقتى مادخلش عليا بتضربنى...
ثم قامت بالصراخ والولولة والبكاء..فهرع إليها سكان العمارة ليحتفو حولها

متسائلين عن الأسباب ..فذهبت سماسم إلى غرفة نومها والتقطت جميع ملابسها وعادت إليها لترميها بوجهها وهى تقول..

-إمشى يلا روحى على بيت أبوكى إحنا مابقيناش عايزينك ..إبنى مستغنى عنك وهيبعتلك ورقة الطلاق

فضحكت شرين مرة أخرى بسخرية ثم قالت..

-ورقة الطلاق؟؟ مش لما يبقى فى جواز من أصله؟

ونظرت إلى جميع من حولها وتابعت..

-والله لاافضحكو.. إشهدو يااناااس ..الست دى إبنها اللى هو الشملول جوزى ..مريض نفسى ومن ساعت ماإتجوزنا وهو كل يومين عند دكتور نفسى ..أصل بسلامته مااعرفش يدبح القطة ليلة الدخلة وكله بسبب البومة دى والإسم متجوزة وتيجى الأخر تقولى إبنى مستغنى عنك ..على رأى المثل رضينا بالهم والهم مش راضى بينا

صدمت سماسم من ردها وشعرت بالكثير من الحرج ..خاصة حينما أخبرت شرين جميع من بالعمارة ذلك الأمر الذى دائما ماكانت تحاول تخفيه ..فتماسكت ثم قالت بثقة مصطنعة..

-كداااابة...مااحدش يصدقها ..أنا إبنى زى الفل ..وبكرا تشوفى هجوزه ستك ستك وحسبى الله ونعم الوكيل فى كل كلمة باطل قولتيها على

إبنى..ويلا غورى فى داهية وورقة الطلاق هاتوصلك وانتى فى بيت ابوكى يافاشلة ياضايعة..

عادت سماسم من ذكرياتها لتجلس على الفراش ثم تقول فى خاطرها بعد أن تذكرت كل ماحدث مع شرين زوجة إبنها السابقة..
"ياترى دى كمان هتفضحنا ولا إيه ...ربنا يستر"

وفى الغرفة الأخرى سنجد مشهدا آخر لمهدا وهى لاتزال بفستان الزفاف ويجلس إلى جوارها بهجت على الفراش ثم يحاول التحدث إليها قائلا..
-على فكرة الفستان دا حلو عليكى أوى
فنظرت إليه من طرف عينيها ثم قالت بفتور..
-متشكرة
-أنا هقوم أغير هدومى
قال ذلك بهجت ثم تناول أحد المنامات لارتدائها والتى كانت عبارة عن بيجامة يتداخل بها بعض الخطوط الفيروزية ،، وحينما انتهى ..قال لها..
-مش هتغيرى هدومك إنتى كمان؟
فنهضت مهدا عن الفراش ثم قالت..
-لا هغير ..بس ودى وشك الناحية التانية
فقال بهجت دون تردد حاضر ويدير ظهره إليها..حتى قامت بالفعل بتبديل

ملابسها بأحد المنامات طويلة الأكمام والفضفاضة ..ثم قالت..

-خلاص خلصت

نظر بهجت إليها ليجدها على الفراش تستند بظهرها على الوسائدة ..فاانضم إليها ليجاورها ثم..

****

الفصل الرابع والعشرون

"إحساس"

-وصلنا ياامهدا

قال ذلك زوجها العاشر فور وصولهما إلى الفندق ..فعادت إليه من ذكرياتها ومن ثم نزلا عن السيارة واتجها إلى الفندق ثم إلى غرفتهما دون أن يحادث أحدهما الآخر مثقال كلمة..حتى تفوهت مهدا قائلة..

-مش هتتعشى ؟

ليجيبها بفتور شديد

-لاء مش جعان

كان الوقت فى ذلك الحين يصل إلى العاشرة مساءا ولقد لمحت مهدا تغيره الواضح عليه منذ أن علم بأمر حملها الكاذب ..إلى أن اعتذر منها لأن يتمشى قليلا بالخارج مما ينم على غضبه وحزنه الشديد على ذلك الأمر وكأنها هى السبب فى ذلك ...فتركته لأن يذهب دون جدال فتملكها بعدها شعور مخيفا...شعورا عاهدته كثيرا بالمرات السابقة وتخشى كثيرا أن تعهده مرة أخرى..فمالت على الفراش وحملقت بثقف الغرفة ..لتسترجع ذكرياتها...

-على فكرة أنا كنت معجب بيكى أوى من أول ماشوفتك

قال ذلك بهجت بعد أن انضم لمجالستها على الفراش

فردت قائلة..

-متشكرة جدا

-طيب وانتى؟؟

فارتبكت قليلا ثم قالت

-إنت إنسان محترم وماشوفتش منك حاجة وحشة

-يعنى عمرك مافكرتى فيا كزوج أبدا؟

فنظرت إليه نظرة غافرة ثم قالت

-بصراحة لاء

-طيب ..إنتى إحساسك إيه من ناحيتى دلوقت؟

لم تجد كلمات مناسبة لتعبر بها عن إحساس اللاشئ الذى كانت تحسه تجاهه ..حتى أتاها قولا..

-أنا ماكنتش بتعامل معاك كتير وبالتالى مااعرفكش كويس..بالعشرة والمعاملة هنعرف بعض إن شاء الله

-تمام..

لم يكن هناك كلاما كثيرا لأن يقال ...لذلك كانت تتوقع مهدا لأن يحدث فعلا ...إلى أن قال بهجت بدون مقدمات..

-بصى إنتى لو تعبانة النهاردة ممكن نأجل الموضوع دة بعدين

فنظرت إليه نظرة بسهم ..حتى أردف قائلا..

-يعنى لحد مااتاخدى عليا وتعرفينى ..أنا كل همى راحتك

فأومأت بالموافقة ..وكأنها تم الإفراج عنها من عقوبة لاذنب لها فيها..وبدأت لأن تتنهد الصعداء ويعود كل شئ لسابق عهده ..مما شجعها على أن تتصنع التثائب والتعب والإنهاك ..فاقترح بهجت أن تذهب إلى النوم والصباح رباااح.

إستلقت مهدا على الفراش واستدارت إلى الجانب الآخر ثم أخرجت سلسلة القلب التى كانت تقطن بين نهديها وأخذت تتذكر كل مايتعلق بذلك الكمال ،، وكيف كان حنونا..طيب القلب ..فتبتسم تارة حينما كانت تتذكره وهو يطاردها بشقاوته وتحزن وتشعر بالقهر تارة حينما كانت تتذكره وهو جثة هامدة بين يديها..

عادت مهدا من ذكرياتها وهى تعدل عن رقدتها لتستلقى على أحد جانبيها وتتقوقع على نفسها مثل الجنين حتى ذهبت فى نوم عميق ،و بعد ساعتين أتى زوجها العاشر ..ليجدها ..نائمة ..تحضتن ساعديها ومستلقية على أحد جانبيها..فشعر بالحنين إليها وراح لينضم إلى إستلقائها مجاورا رقدتها..حتى أصبح ظهرها يطل عليه ..مما أغراه تلك الفتحة الطويلة من منامتها التى كانت

تظهر جزءا لا يستهان به من ظهرها ..فمرر بظهر أصابعه على ذلك الجزء المكشوف له من ظهرها فسرى نبض دافئ بداخلها ليحرك شعورا جميلا لديها.. شعورا أيقظ حسيسها وجعلها تستيقظ ..فشعرت به وهو يقترب إليها ويضمها إليه بذراعيه وليسكن ذلك الجزء الذى يجاور عنقها وهى صامتة لا تتكلم ..بل لم تكن تتحرك أيضا وحينما مل زوجها من الصمت ..إقترب هامسا إلى أذنيها ليقول..

-على فكرة أنا ماازعلتش علشان الحمل طلع كاذب

وانتظر هنيهة ثم قال..

-أنا زعلان علشان حاجة تانية خالص..

لم تحرك مهدا ساكنا وكأنها قررت أن تعاقبه بتجاهلها له ولكنه لم يستسلم..فلقد تابع قوله ليذكر لها السبب قائلا

-أنا كنت حاسس إنك مش فرحانة أول ما الدكتور قال إنك حامل أول مرة...فكدبت إحساسى وقولت جايز إحساسى يكون غلط..لكن فى المرة التانية لما الدكتور قال إن الحمل كاذب..حسيت إنه مش فرق معاكى ..أو بشكل أوضح..حسيت إن مافرقش معاكى اوى إنك تخلفى منى ...هو إنتى ممكن تكونى مابتحبنيش؟؟

هنالك تحركت مهدا لتستدير إليه ولتمد يدها بين جانبيه لتغلف خصره ..دافنة وجهها فى صدره ..فرفع وجهها إليها لينظر إلى عينيها ثم يقول..

-إنتى ممكن تكونى مش بتحبينى ياامهدا؟

-إنت حاسس بإيه؟

-الإحساس وحده مش كفاية..أوقات كتير الإحساس بيخدعنا

-تفتكر إحساسى ليك مش حب؟

-مش عارف ياامهدا..بحتار فيكى جدا..أوقات أحس إنك بتحبينى أوى وأوقات أحس إنى مجرد شخص عادى فى حياتك

-إنت عمرك ماكنت شخص عادى فى حياتى..أنا قلبى رجع دق تانى وحب أول ماعرفتك

وعلى ذكر المعرفة إبتسم قائلا..

-فاكرة أول مرة إتكلمنا فيها؟

فاابتسمت لتسترجع معه ذكرياتها ثم تقول..

-كنت أكتر إنسان بكرهه فى العالم

-يااه للدرجادى؟

-واكتر من كدة..لحد ماابتديت أحس ناحيتك باانجذاب ليك ولشخصيتك ..ابتديت تعجبنى أوى

-يعنى مش ندمانة؟؟

-أندم على إيه؟؟

-إنك اتجوزتينى

-ههههه مين أولى بالندم برأيك؟

-أنا عن نفسى مش ندمان

-وأنا عن نفسى مش هسيبك

-يعنى إحساسى كان غلط لما حسيت إنك مش فارق معاكى تخلفى منى؟

-اة..جدا

-عرفتى بقى إن أوقات الإحساس بيكدب علينا؟

-أيوة بس إحساسك بحبى المفروض يكون حاجة تانية

-معلش اعذرينى...ماهو أصلى دايما بلاحظ إنك بتكونى سرحانة كدة ومش معايا خالص

-لالالا إتطمن أنا معاك بكل كيانى..بس انت عارف إنى بحب الطبيعة والهدوء

-اممم..أقنعتينى

-طيب وبعد مااقنعتك..مااستاهلش حاجة حلوة؟

قالت ذلك مهدا وهى تنظر إليه بشقاوة نسائية ..فابتسم فور أن فهم تلميحها مما جعله يقبل جبينها ويضمها إليها بحجم محبته واشتياقه إليها ثم صعد إلى أذنيها ليقول بنبرة حانية مختلطة بأنفاس متهدجة..

-بحبك

لينفض جسدها وليواصل النبض الدافئ طريقه إلى أعماق شعورها وليجعلها ترد قائلة..

-بحبك أكتر من عمرى

وعاشت بين شفتيه إلى أن غاصت بين ذراعيه وراح الحب ليجمع بين أشواقهما تحت جو هادئ من العشق والرومانسية وتنطفئ الأنوار دائمًا ليبحر الفارس بأميرته عبر زهور الورد وعطر الياسمين.

أتى الصباح لتنهض مهدا باكرا ..فأغراها مشهد الشروق فاارتدت ملابسها ثم خرجت إلى الشرفة ،، وأخذت تراقب الشمس وهى تشرق دقيقة بعد أخرى و تتأمل فيها ..إلى أن عادت إلى دائرة ذكرياتها ..لتتذكر..

-إصحى يااهانم بقينا الضهر..إنتى فكرتى نفسك عروسة بجد ولا إيه؟

****

الفصل الخامس والعشرون

"عاجز نفسيا"

-إصحى ياهانم بقينا الضهر..إنتى فكرتى نفسك عروسة بجد ولا إيه؟

قالت ذلك سماسم بعلو حسها ..فااستيفظت مهدا على أثر إنتفاضة أفزعتها..ولتميز ذلك الصوت بأنه صوت سماسم ، ومن ثم نهضت فى إحباط ثم خرجت إليها وقالت..

-صباح الخير يااحاجة..فى حاجة؟

رفعت سماسم بطرف شفتيها ونظرت إليها من عاليها لأسفلها وإلى تلك المنامة الفضفاضة التى كانت ترتديها ثم قالت بتملق..

-فى حاجة؟؟ نموسيتك كحلى ياهانم ..إنتى مش عارفة إن فى بيت عاوز يتنضف وأكل عاوز يتعمل ولاا إيه؟

-أيوة..بس هو مش المفروض النهاردة صباحيتى؟

مصمصت سماسم بشفتاها ثم قالت بسخرية

-صباحية؟ صابحية إيه ياام صباحية..

ثم وضعت يدها على فمها وتابعت

-إسكت ياالسانى

-هو فى إيه ياحاجة ..مالك بتعاملينى كدة ليه؟؟ إنتى زعلانة منى لحاجة؟

-مااتقدريش تزعلينى أصلا..بس كل الحكاية إن الدلع الى شوفتيه قبل كدة كووم واللى جاى دة كوم تانى..إنتى دلوقتى بقيتى مرات إبنى ..فاهمة يعنى إيه مرات إبنى؟ يعنى شغل البيت كله مطلوب منك دلوقتى

-وإيه الجديد ..ماانا على طول بعمل شغل البيت لوحدى

-الجديد ياحببتى إن بعد كدة إن شاء الله هتصحى بمعاد وتاكلى بمعاد وتنامى بمعاد ..وشغل الدلع واننا كنا سايبينك براحتك دة زمان إنسيه

لم تجادل مهدا كثيرا ..وانساقت إلى رغبتها ثم قالت..

-حاضر..

هنالك استيقظ بهجت ثم خرج إليهما ليسأل سماسم..

-فى إيه ياماما..مالك

-مافيش ..روح إنت يابهجت إلبس هدومك علشان تروح شغلك

-أيوة ياماما بس أنا خدت أجازة من الشغل لمدة أسبوعين

عقدت سماسم كلتا حاجبيها و احتقن الدماء بوجهها ثم قالت بغضب..

-إيه ..أجازة؟؟ أجازة ليه؟؟

فاارتبك قليلا ثم قال..

-إيه ياماما مش جواز؟

-ومين سمحلك أصلا تاخد أجازة..أنا قولتلك خد أجازة؟؟ بتتصرف من

دماغك؟؟

فااحمر وجهه ثم قال بخوف شديد..

-ياماما ..الشغل هو الى مديلى الأجازة دى

-يبقى تقطعها...يلا اتفضل روح غير هدومك علشان تروح المدرسة

..بلاش كلام فارغ

إنقاد بهجت إلى ماتريده سماسم وخلد إلى غرفته لتبديل ملابسه مضطرا ..للذهاب إلى المدرسة التى يعمل بها..حيث يعمل بهجت مدرسا للغة العربية ، ولقد كانت مهدا فى شئ مايشبه الصدمة ..إن طاعته والرضوخ إليها بهذا الشكل وكأنه لايزال طفل بالخامسة من عمره يعد غريب ..لقد كان كل مايدور فى ذلك الوقت يثير دهشتها وما زال إستغرابها حتى خرج بهجت إلى العمل وبدأت لأن تقوم بأعمالها اليومية والتى شعرت بعدها بأن سماسم هى الرأس القوية فى هذا المنزل وأنه ضد مصلحتها أن تحاول حتى إثارة غضبها أو الإحتماء بزوجها المبجل الذى ينساق إليها كلما قالت مثل الخراف دون جدال أو نقاش..لقد ظنت مهدا أن زواجها ببهجت سيعطيها عكيزة قوية إلى أن تنجذر أكثر بداخل تلك العائلة ويصبح لها حقا مثلها تماما فى أن تعيش معها ولكن ماحدث قد أبان عكس ذلك..لقد اتضحت رؤية هذا المنزل ومايحتويه من أفراد من ذلك اليوم الأول لزواجها وبأن الكلمة فيه هى كلمة سماسم ولا يستطيع أحد أن يخالفها مهما حدث أو يحاول صدها عما

تريد...ففوضت أمرها إلى الله ورسخت من داخلها إلى شئ يتحدث عن الأمل ..إلى أن أتى بهجت من عمله ومن ثم استرقته سماسم قبل أن تراه مهدا وسحبته إلى غرفتها .. .لتقول له بصوت خافت..

-إيه ياموكوس عملت إيه إمبارح؟

أطرق بهجت برأسه إلى الأرض أسفا ثم قال بجرح

-لسه ياماما ..إحنا لسه مااخدناش على بعض

-يختاااى..أنا دايما كدة موكوسة فيك..دانا لو كنت خلفت بنت كنت اتنصفت فيها عنك

ثم شلشلت بشالها وهى تقول

-ياميلة بختى فيك ..ياافضحتى وسط العمارة

شعر بهجت بالإختناق وتملكه شعورا مريرا بالعجز فى حق كيانه ورجولته ..إلى أن تصبب عرقا ثم تركها قائلا

-أنا تعبان وداخل أنام

حتى قالت وهو خارجا من باب الغرفة..

-أهو دة الى انت فالح فيه ...أنا طول عمرى بقول إنى خلفت بنت مش راجل

ثم قصف باب الغرفة واتجه مسرعا إلى غرفته ليلحق دموعه التى كان يخشى أن تسبقه قبل أن يصل إليها وفى ذلك الوقت كانت مهدا تشاهده وهو

يخرج بتلك السرعة متجها إلى غرفتهما..فتركت مابيدها لتلحق به بنفس السرعة ولتسأله بفضول..

-بهجت مالك فى إيه؟؟

كان بهجت يخبئ وجهه بين يديه الذى كان غارقا بالدموع فلم يستطع يرفع وجهه إليها خشية من أن ترى تلك الدموع التى كانت تنهمر على وجهه وفى حين ذلك..جلست إلى جواره وحاولت نزع يديه التى كانت تحجب وجهه بأكمله ..حتى استطاعت بصعوبة نزعها ، ثم وحاول بهجت أن يجفف دموعه حتى لا تراها مهدا ولكنه فشل..لقد رأته بمنتهى السهولة حيث كان مسح دمعة لحقت بها أختها..فرق قلبها واقشعر حنينه ..إلى أن سألته بعطف وهى تهدهد على كتفيه..

-مالك يابهجت؟؟

نظر إليها والحمرة لاتفارق عيناه ثم قال..

-مافيش..الحمد لله على كل حال

-أمال بتبكى ليه؟؟

فمسح بقايا أدمعه ثم قال..

-لا مابكيش..أنا كويس

-لاء مش كويس وهتقولى فى إيه

كان يريد أن يخبرها..كان يود لو يخرج ذلك الإختناق المحتشد بصدره ولكن

كان يمعنه شئ رثينا يعز على أى يرجل قوله.. بل يعد ضعفا واضحا لرجولة رجل تشعره بالخزية والعار من نفسه...فسهد فى أعينها باحثا عن ذلك الأمان الذى يحثه على أن يخرج لها جميع مافى جوفه ..دون خوف أو تردد وليتأكد بأنها لن تقوم بفضحه كما فعلت من قبلها..ولكنه لم يقدر..لم يقدر على البوح لها بسره..حتى شعرت بما يريده وما تخفيه أعينه..فربتت على كتفيه وقالت بعد أن امتلئت الإبتسامة وجهها..

-قول يابهجت..صدقنى أى كلمة هاتقولها مش هتخرج برا

وكأنه وصل أخيرا إلى مايريدها أن تقول ..فاانفتح قلبه إليها ثم قال..

-ياامهدا..فى حاجة مهمة عاوز أقولهالك ..بس مش عارف أقولهالك إزاى

-قول يابهجت مالك..

-هقول...بس عايزك توعدينى

-أوعدك بإيه؟

-توعدينى إنك مش هتكونى زيهم وتعايرينى

-زيهم مين واوعدك بإيه؟؟ ماتقول فى إيه يابهجت

فاابتلع ريقه بصعوبة ثم بلل شفتاه لينطق..

-أنا..أنا عاجز وتعبان نفسيا..

إرتفعا حاجبى مهدا ..لتقول بااستغراب

-إيه؟؟

-زى ماسمعتى يامهدا

-يعنى إيه؟؟

-يعنى أنا عندى عقدة نفسية مخليانى مش قادر أقوم بحقوقى الزوجية زى أى زوج

سكتت مهدا قليلا لتستوعب مايقول ثم قالت..

-طيب وماحاولتش تعالج نفسك ليه؟؟

-للأسف..رحنا لكذا دكتور ومافيش فايدة

-مافيش فايدة إزاى؟

-كنت بروح أنا ومراتى الى قبل منك وأمى وهما كانو بيستنونى برا لحد ماالخلص

-ها وبعدين

-ولا قبلين ..مافيش فايدة

-طيب الدكتور ماحاولش يفك العقدة الى عندك؟

-هو حاول وكان بيسأل أسالة كدة.. كنت بتحرج أرد عليها وللأسف كنت بكدب فيها

-طيب ماهو كدة عقدتك مش هتتحل

-أعمل إيه بس يامهدا غلبو فيا ومافيش فايدة..

ففكرت مهدا قليلا ثم قالت..

-طيب أنا عندى فكرة

-إيه هى ؟

-نروح أنا وانت لدكتور من الى انت روحتلهم بس اختار واحد منهم بترحتله اكتر

-أيوة ..بس ..ماما..

-مالها ماما

-ماما من أخر مرة كنا عند دكتور فيهم حلفت مانروح لدكاترة تانيين

-إنت جربت قبل كدة تروح لدكتور تناسلية ؟

-أيوة وقالى إنت مشكلتك مشكلة نفسية مش جسدية

-تمام..خلاص هنروح أنا وانت لدكتور نفسى

-أيوة بس ماما..ممكن ماتوافقش ..إنتى شيفاها شديدة

-ومين قالك إننا هنعرفها

-أمال هنروح إزاى ؟

-مافيش ..إنت هتروح شغلك عادى جدا وانا بعدك بشوية هنزل وكإنى راحة السوق ونتقابل عند نهاية الشارع

-أيوة بس لو ماما عرفت...

-يوووه ياادى ماما..أنا ماشوفتش حد بيخاف من أمه كدة زيك ..إنت المفروض راجل

فأطرق رأسه إلى أسفل ثم رفع بصره إليها وقال

-معاكى حق..خلاص ماشى

-طيب وانا هروح أكمل شغل البيت أحسن أمك تبهدلنى

وقامت لتخرج من الباب فااستوقفها بهجت قائلا

-مهدا..إنتى عاوزانى اتعالج بجد؟؟

-أيوة أكيد

-ليه؟

سهدت مهدا بعض ثوان لتبحث عن جوابا مقنعا فى عقلها ..ثم قالت بنبرة حزينة

-علشان ماتبقاش وحيد فى الدنيا زيي

ثم أغلقت الباب وعادت إلى حيث كانت.

أتى صباح اليوم التالى وقد قرر كلا منهما تنفيذ خطته ..وبالفعل لقد ذهب كلاهما إلى أحد الأطباء النفسيين الذى كان يتردد بهجت إليهما ومن ثم قام الطبيب بااستقبالهما وبدأ الحديث ليجرى بينهما..

-إذيك ياابهجت

-الحمد لله ياادكتور

-عامل إيه أخبارك..مابشوفكش من فترة

-معلش بقى ظروف ..ثم أشار إلى مهدا وقال..

-دى تبقى مهدا مراتى

-ااة ..دى غير الأولى صح؟؟

-أيوة

-أهلا وسهلا ..طيب من فضلك خليها تستنى برا ...لحد مانخلص الجلسة..

نهضت مهدا لتخرج ..لكن إستوقفها بهجت قائلا..

-لالالا يادكتور سيبها ..ثم نظر إليها وقال

-خليكى ياامهدا

فرد الطبيب قائلا..

-ماينفعش ياابهجت..إنت أصلا بتتلخبط ومابتعرفش تتكلم لما تكون لوحدك ..أمال لما حد يكون موجود معانا هتعمل إيه؟؟

-لالالا أوعدك إنى هتكلم وهجاوبك بصراحة ..بس خليها موجودة معانا

-ماشى ياسيدى الى يريحك ..يلا مدد عالشزلونج

قام بهجت بتمديد جسده على الشازلونج ثم إعتلت مهدا أحد المقاعد لتنصت إليه وإلى كل مايجرى بينه وبين الطبيب الذى كان يجلس إلى جواره ومعه قلم و دفتر صغير ليدون به ملحوظاته الخاصة

وفى حين ذلك..سأله الطبيب

-أنا هسألك السؤال الى كنت قبل كدة كتير بسألهولك وكل مرة كنت بتجاوب إجابة واحدة..أنا لحد دلوقتى مش مقتنع بيها

-أنهى سؤال؟

-إنت عارفه كويس

-طيب قوله تانى

-ماشى..السؤال هو..مش فاكر أى حادثة أو موقف حصلك وانت صغير وحاسس إنه أثر فيك لحد دلوقت؟؟

تنهد بهجت الصعداء ثم زفر بعمق وقال..

-أيوة فاكر

فتحمس الطبيب قائلا..

-طيب قول..

لما كان عندى ١٤سنة ..كان عندنا جيران عندهم بنت أصغر منى بسنتين..البنت دى مااعرفش ..كنت كل مااشوفها بحس إحساس غريب جدا ..كنت أحس بقلبى وهو بيدق بطريقة غريبة كل اما اشوفها ..حتى لما كنت بشوفها ماكنتش بعرف اتكلم من كتر المشاعر الجميلة اللى كنت حاسسها ..كان حب برئ خام..مافيهمش أى أغراض أو مصالح..

وبقيت كل يوم وانا رايح المدرسة اقعد اماطل فى الوقت لحد ما مااسمع صوت الباب الى قدامنا وهو بيتفتح ..فاعرف على طول إنها خارجة واجرى افتح الباب علشان أشوفها وانا نازل ..ونفس الإحساس الى بحسه كل مااشوفها ونفس الدقات الى كانت بتدب فى قلبى..كل دة ماكنش بيتغير..والى كان بيزيد حبى ليها هو إنها كانت دايما أول ماتشوفنى تبصلى وتبتسملى..أنا لسه فاكر إبتسامتها لحد دلوقت والفيونكات الحمرا اللى كانت بتربطها فى ضفايرها ..وماكنتش أعرف الى بحسه دة كان إيه ولا كنت عارف أصنفه

غير إنه كان شعور ممتع وجميل ..بيخلى جسمك دافى دايما ومش حاسس بأى سقعة..لحد مافيوم لما كنت فى المدرسة وكنت جوا الفصل والحصة شغالة.. حسيت إنها وحشانى جدا ونفسى أشوفها تانى واتكلم معاها..بالرغم من إنى كنت لسه شايفها الصبح ..وقعدت افكر فى إنى أروحلها بكل بساطة المدرسة واتردد ..لحد ما الفكرة طلعت فى دماغى وكبرت فى دماغى إنى أروحلها..بس إزااااى

قررت إنى أنط من عالسور وازوغ من المدرسة ..ولأول مرة لحياتى أزوغ فيها ..بمساعدة ببعض الصحاب الفشلة الى على طول بينطو من عالسور..نطيت معاهم ..لحد مابقيت برا وجريت على مدرستها الى كانت بعد مدرستى بمسافة بسيطة ..لحد ماوصلت هناك ..كان معاد الفسحة وقتها..فقعدت استنى برا ..لحد ماجه ميعاد المرواح وقعدت أدور فى وشوش كل البنات الى كانت خارجة ..لحد ما عيونى لقتها وفى الوقت دة كانت عيونها هى كمان لقتنى ولقتها لجأة بتبصلى وتضحكلى ..كانت واقفة وعلى وشها فرحة كبيرة وكسوف خلى خدودها تبقى وردى..ولقيتنى لجأة بروحلها علشان أكلمها وقبل ماآكلمها..إتكلمت هى وقالتلى...

الفصل السادس والعشرون

"رأس الداء"

كانت واقفة وعلى وشها فرحة كبيرة وكسوف خلى خدودها تبقى وردى..ولقيتنى لجأة بروحلها علشان أكلمها وقبل ماأكلمها..إتكلمت هى وقالتلى...

-إذيك يابهجت

كان كل حتة فيها بتحكى عن الكسوف..وانا قلبى أول ماسمع إسمى بدأ يدق جامد ..كان إحساس غريب جدا من حلاوته إتلخبطت وماعرفتش ارد غير ..

-الحمد لله

بعدها سكتنا خالص بس الكسوف كان مش سايبلنا فرصة للكلام وكنا عارفين إن لازم واحد فينا يتكلم لحد ما أخيرا قدرت اتكلم واقولها

-يلا مش هتروحى ؟

-أيوة..بس ماما ..ممكن..

وماكملتش ففهمت قصدها وقولتلها

-ماتخافيش ..أول مانوصل الشارع ..كل واحد هيمشى لوحده

كنا حاسين وقتها إننا مش صغيرين وإننا ناس كبيرة..تقدر تحب وكمان تتجوز ..لحد ماجينا نعدى الطريق ..لقتنى فجأة بمسك إيديها بكل قوتى علشان أعديها معايا وكإنى أبوها أو حد مسؤل عنها بس فى الوقت دة حسيت إن فإيدى كنز أو حاجة قيمة جدا المفروض أحافظ عليها وقعدنا نتكلم عن حجات كتير بعيدة خالص عن مشاعرنا ...حجات كانت عادية ..بس كان جواها مشاعر بيعبر عنها إبتسامة وكلام بتقوله العين ...لحد ماوصلنا الشارع وافترقنا بس اتقابلنا تانى على سلم العمارة ووقفنا نبص لبعض ...وكل مانودع بعض نرجع نتكلم تانى حبيت أقولها وحشتينى بس بطريقتى .. قربت أبوسها فجأة سمعنا زعيق وصراخ .. أمها شافتنى ...ومن وقتها بدأت حكاية...بدأت حكاية عقدتنى من كل ست كنت اشوفها...

-إفتحى ياأسماسم شوفى إبنك ...أنا مش هسكت على قلة الادب دى أبدا

فتحت أمى الباب لما أمها قعدت تخبط وبعدين بصت لقتنى واقف خايف ومتوتر فسألتها فى إيه؟

-إبنك قليل الادب ومش متربى وانا نازلة ابص الاقيه بيبوس البنت ..أنا مش هسكت عالمهزلة دى

أمى قعدت تهديها بعدين بصلتى بصة لحد دلوقتى مش ناسيها ..بعدين جرتنى لجوا وقفلت الباب وجابت سكينة وحطتها عالنار وهى مسكانى من ايدى وفجأة لقتها بتشيل السكينة من عالنار وبتحطها على إيدى فقعدت اصرخ

لحد ما أغمى عليا وفتحت عنيا عليها وأول مافقت قالتلى..

-عارف لو عملت كدة تانى مع اى واحدة تانية ...هكويك فى إيديك ورجليك لحد ماتعيش حياتك كلها مشوه

ومن ساعتها بدأت احس انى لو قربت من اى واحدة أو حصل أى احتكاك جسدى بينى وبينها ممكن اتعاقب واتكوى بالنار ..وبدأت الفكرة تزيد جوايا لحد ماكبرت واتولد معايا الخوف من فكرة إنى ألمس بنت أو احاول أقربلها ومش بس كدة...أما اتجوزت شرين مراتى الاولى ..كانت كل ماتحاول تلمسنى او احاول اقربلها .. كان بييجى فبالى دايما منظر السكينة وهى على النار ..وابدأ أتخيل الألم اللى كنت حاسه لما امى حرقتنى بالسكينة وابدا أحس ان فى سكاكين بتقطع فى جسمى وابدأ ابعد وكل ما ابعد كان بيخف الألم اللى كنت بحسه ...لحد ماحسيت إن راحتى فى البعد...البعد من إنى أقرب من أى ست ..لإنى ماكنتش بحس من القرب دة غير بعذاب وألم.

كانت تنصت جيدا إلى كل ما يقوله بهجت.. فهبطت دمعة من عينيها إشفاقا على ذلك المسكين ومن ثم توجه الطبيب إليه قائلا..

-طيب يابهجت هسألك سؤال تانى بس تجاوبنى بصراحة

-إتفضل..

-إنت جيتلى كتير قبل كدة..إشمعنة حكتلى المرادى وجاوبتنى عالسؤال ...وليه أصريت إن مهدا تفضل معانا

فتنهد بعمق ثم قال..

-مش عارف ..يمكن حسيت إنها لازم تسمع الكلام اللى بقولهولك ويحق ليها تعرفه

-طيب والست الوالدة ؟

-مالها

-مايحقلهاش تعرفه؟

-صدقنى ماعرفش

-طيب ياسيدى أنا هعرفك..مبدئيا كدة العقدة اللى انت فيها دى تتعلق بشكل قوى بالست الوالدة ..إنت عندك عقدة إسمها عقدة الخوف من العقاب والعقاب دة مرتبط بالست الوالدة بشكل كبير فى أى حاجة بتقولهالك...بمعنى إنك دايما بتسمع كلامها حتى لو غصب عنك ..بسبب عقدة الخوف اللى اتولدت فيك من صغرك وهو إنك تخاف دايما لتعصى كلامها وماتسمعوش فتعاقبك بموضوع الكوى دة وتعمل المستحيل علشان ترضيها بسبب خوفك من إنها تعاقبك وكذلك فى حياتك او شغلك بردو...هتلاقى نفسك دايما بتتلاشى أى حاجة ممكن تعرضك للعقاب ويوصلك لحاجة شبه الجبن وإنك ممكن تتنازل عن حقك عادى لمجرد إنك خايف ...متلازمة الخوف من العقاب شئ خطير ..وممكن يدمر حياتك لو ماقدرتش تتحكم فيها وتقاومها...وبالمناسبة أنا احب اجاوبك على أخر سؤال سألتهولك ..إنت حكيتلى النهاردة بالذات ومهدا معاك ...لإن والدتك اللى

هى مصدر عقدتك ماكانتش موجودة معاك زى كل مرة لما كانت بتستناك برا..عقدة الخوف اللى عندك كانت بتخليك مش قادر تتكلم علشان بتحس إنهاممكن تدخل عليك فى أى لحظة وتسمعك فتزعل منك وتعاقبك ...وخليت مهدا تقعد معانا وتسمعك ...فاقدر أقول إن دى بداية ثقة منك ليها ودا لحد ذاته شئ كويس علشانك وعلشان حالتك ...لإن الحالات اللى زيك صعب جدا يثقو لحد ..علشان كدة أنا هديلك علاج تمشى عليه وبعد فترة أرجح إنك تنتقل فى سكن بعيد عن الوالدة ...علشان تقدر تمارس حياتك زى أى زوج..لإنك طول ماانت عايش معاها كدة فبيت واحد إحساس الخوف الى جواك دة هيسيطر عليك وعلى العلاقة بينك وبين زوجتك وهتفضل كل ماتقربلها تحس بالخوف من إن والدتك تعاقبك وهتقعد تتخيل إنها وقفالك برا بالسكينة ا ...تفكير الطفل اللى كان عنده ١٤ سنة وخوفه من مسألة العقاب دى لسه ملزماك لحد دلوقت ومش هتتخلص منها إلا لما تبعد شوية.

خرج بهجت ومهدا من العيادة بعد أن أوصاهما الطبيب ببعض النصائح التى يستوجب فعلها ...إضافة إلى بعض الادوية العلاجية التى وصفها له..ثم عادا إلى المنزل متفرقان وبالطبع لم تسلم مهدا من كلمات سماسم ووقاحتها ..حتى أتى الليل ليرقد بهجت إلى جانبها وكلا منهما يولى ظهره إلى الآخر ...إلى أن لعبت الأفكار بعقل مهدا حيال هذا المسكين الذى اكتشفت بأنه وقع ضحية

مثلها تماما ولابد أن تساعده وتقف إلى جانبه وبالفعل لقد بدأت أن تتحرك لتستدير إليه بالإتجاه الأخر ثم تقترب إليه وتنفخ برقة أنفاسها إلى عنقه ...ففتح عينيه بفزع ليقشعر بدنه ولتذداد مخاوفه...لكنها لم تستسلم ومررت أصابعها بنعومة بين شعيرات رأسه مرارا وتكرارا ..إلى أن نهض عن الفراش قائلا..

-مافيش فايدة يامهدا..إبعدى لو سمحتى

-طيب...زى ماتحب ...إتفضل نام عطلتك

ثم عادت إلى حيث كانت...فشعر بالندم مما قاله ..واستدار إليها قائلا..

-مهدا أنا أسف ..إنتى عارفة حالتى

-اة عارفة وكنت عايزة أساعدك ..بس انت مش عايز ..براحتك

-مش حتة مش عايز..حتة إنى مش قادر

فااستدارت إليه ثم عادت بتمرير أصابعها بين شعيرات رأسه بحنان بالغ ثم قالت. .

-ساعدنى يابهجت علشان أقدر أساعدك

فسكن بعض الوهيلات ثم مال برأسه بتردد على صدرها حتى استكان فيه وبدأ لأن يقاوم مخاوفه حتى أحس وكأنه طفل عاد إلى صدر أمه ثم عادت هى الأخرى لتمرر أصابعها على رأسه من جديد ..وأخذت تفكر متعمقة بذلك القدر الذى جمع بينهما..ثم قررت أن تساعده ..تساعده حتى لو على حساب

نفسها ..حتى لا يصبح ضحية مثلها فى هذا المجتمع الظالم ..إنها تحس الآن بشئ من الأمومة يعكس حنانها وعاطفتها إليه ولتشعره بذلك الآمان الذى حرم منه منذ طفولته ...مثلها تماما ..فلا يشعر بمعاناتك إلا من عاشها بكل تفاصيلها تحت طائلة القدر والنصيب..

____

-صاحية بدرى كدة ليه

قال ذلك زوجها العاشر وهو يحتضنها من الخلف..مما أخرجها عن ذكرياتها لتعود إليه ثم تقول..

-أبدا ...كنت بتفرج على منظر الشروق

فقبل عنقها تائها بين خصلات شعرها ثم قال...

-اممم...تصورى عندك حق...منظره يجنن

فضحكت قائلة..

-يجنن إيه بس ..ماهو الشمس طلعت خلاص

فاقمض على خصرها بين ذراعيه ثم قال مداعبا

-شوفتى بقى إنى مش مركز إلا معاكى ؟

-اااة شوفت...هروح أنا بقى أطلب الفطار ...أحسن انت ماتعشتش إمبارح

قالت ذلك مهدا وهى تحاول التملص من بين ذراعيه ..فجذبها إليه ثم حملها بين

يديه ليعود إلى الفراش قائلا

-لا مااحنا هنفطر دلوقتى..

****

الفصل السابع والعشرون

"هدوء ما قبل العاصفة"

كان كل شئ هادئا ويسكن من حولها..عدا تلك الأمواج التى كانت تركض إلى الشاطئ وترتطم به ، ثم تعود مرة أخرى لتأتى بموجة جديدة وتعيد صدامها..لقد كانت تجلس على الشاطئ.. تشاهد تلك الأمواج التى ذكرتها بتاريخ حياتها التى كانت عبارة عن حشد هائل من المصائب والكوارث ،، ومن ثم غاصت بعقلها بين الأمواج وبين ثناياها..لتتذكر باقية ما مضى ومااافااااات...

\-\-\-\-\-\-\-

-إحنا لازم ناخد شقة لوحدنا يابهجت زى ما الدكتور قال ولا انت حابب حالتك تفضل كدة؟؟

قالت ذلك مهدا وهى ترقد بجانبه على الفراش..فرد بهجت قائلا..

-أيوة يامهدا ..بس إنتى عارفة أمى

فنهضت عن الفراش ثم قالت بغضب..

-لحد إمتى هاتفضل تخاف من أمك...أمك دى هى اللى هتقضى على حياتك..هى مش هاتفضل عيشالك طول العمر

-وانتى تفتكرى إنها هاتوافق؟؟

-لاء طبعا وبعدين مش كفاية إنها السبب فى اللى انت فيه؟؟؟ كمان لازم توافق؟؟ يابهجت خد قرار من نفسك ولو لمرة واحدة ماينفعش كدة ..ولا عايز تفضل كدة زى ماانت ..لو عايز تفضل كدة براحتك

فكر بهجت كثير بالأمر ثم أخذ يتخيل رد فعل سماسم وماذا ستفعل إن فاتحها بالأمر وأخذ يعد حساباته ويرتب كلامه وهو فى حالة كبيرة من التردد ..حتى أخيرا إستطاع الذهاب إليها وتنشجع قائلا..

-ماما

-أيوة يابهجت فى حاجة؟؟

فبدأ وجهه لأن ينبثق منه العرق ثم قال..

-عاوز أفاتحك فى موضوع كدة

-ما تقول ياابنى فى إيه؟

فأغمض عينيه وهو يعتصر يديه ثم قال لها دفعة واحدة..

-أنا عايز أتأجر شقة لينا أنا ومهداض

-إيه؟؟ إنت بتقول إيه ؟

فابتلع ريقه ثم قال بصعوبة.

-عا..عايز أتأجر شقة بعيدة عن هنا أقعد فيها أنا ومهدا

-ليه إن شاء الله؟

-من حقى يكون ليا بيت مستقل بيا ياماما أنا وعيلتى

فمصمصت شفتيها ثم قالت بسخرية..

-عيلتك؟؟ إسم الله عليك إنت وعيلتك ..جرا إيه ياابهجت هى مقصوفة الرقبة اللى اسمها مهدا دى لفت بعقلك ولا إيه؟

خرجت مهدا من المطبخ على ذكر إسمها الذى رددته تهانى ثم قالت..

-فى إيه ياحاجة مالها مهدا

فردت سماسم بتهكم..

-مش عارفة مالها مهدا؟؟ تصدقى هو دا جزات الخير اللى عملناه فيكى ..أصل فى صنف نمرود كدة زيك مايستاهلش الخير اللى بيتعمل فيه

رفعت مهدا كلتا حاجبيها بااستغراب ثم قالت..

-فى إيه يااحاجة ماتفهمينى

فنهرتها قائلة..

-بقى بتعصى إبنى عليا وعايزاه يسبنى..ياابومة يااحرباية ..يااللى ماكنتيش لاقية حتة تأويكى ولمناكى من الشارع بعد مااكنتى مرمية زى كلاب السكك

فرقرقت أعين مهدا بالدموع ثم قالت بانكسار..

-كفاية بقى يااحاجة..كفاية إهانات لحد كدة ..أنا مش واحدة من الشارع

فضمت سماسم كلتا ساعديها ثم قالت بتجبر..

-والله؟؟ أمال البرنسيسة كنا جايبنها منين..إنتى نسيتى نفسك ولا إيه؟

إتجه بهجت إلى سماسم التى كانت تحجب زواية الرؤية لديه عن مهدا ثم قال

لها..

-لو سمحتى ياااماما..محدا مالهاش ذنب..كلمينى أنا

-أكلمك إنت؟؟ بتدافع عنها يااخايب الرجى

ولأول مرة يفعلها بهجت ويرفع صوته على سماسم ثم يخرج عن خوفه الذى كان يستوطنه..بعد أن قالت جملتها الأخيرة التى كانت بها تلميحا واضحا عن عجزه وفارت الدماء فى عروقه ليبين لها بأن رجولته لاتزال تحيا وتسرى فى دماؤه ولم تمت بعد ، وكأنه بركانا قد أوشك على الإنفجار ثم عد ثوانيه الأخيرة ..لينفجر قائلا..

-أنا مش خايب الرجى..إنتى السبب فى كل اللى بيحصلى دلوقتى ..إنتى اللى عقدينى من إنى أقرب لأى واحدة ست لما حرقتينى بالسكينة..فاكرة؟؟

ثم كشف عن جرحه القديم فى يده قائلا.

-شوفى كدة ..فاكرة الجرح دة؟؟

ارتبكت سماسم من شجاعته الغير معهودة واهتزت للحظات ثم قالت بمسكنة

-أنا يابهجت السبب؟؟

فتابع انفجاره قائلا..

-أيوة إنتى.. وخلتينى شخص جبان ..مش قادر يقول لاء على أى حاجة إنتى عاوزاها حتى لو على حساب نفسى وحياتى ..وماكنتيش بتعرفى إنى بتقطع من جوايا أو تعملى حتى أى حساب واعتبار لمشاعرى

ثم ابتغى الصمت ثوان قليلة وأردف قائلا..

-حتى لما بقيت فى ثانوى والمفروض أحس بمشاعر زى أى واحد مراهق فى سنى تجاه أى بنت ..كنت بكتم كل حاجة جوايا وببعد ..ببعد حتى عن فكرة إنى أكلم بنت أو أحاول أعبرلها عن مشاعرى بسببك..بسبب الخوف اللى زرعتيه جوايا واعتقادى إنى فكل مرة هحاول أقرب من بنت هتحرق بالسكينة واتعاقب ويتحول الإحساس الجميل اللى كنت بحسه لعذااب وألم.. وكمان ياريته عاجب...دا بعد كل دة بقيتى كل شوية تعايرينى وتقوليلى خايب...مااهو من إيه؟؟ ماهو بسببك!!
اللى مااتعرفهوش إن كل دة بسببك وعمرك ماحسيتى للأسف لإن كل هامك كان هو نفسك ..قضيتى على طفولتى وكمان عايزة تقضى على شبابى...لاا حرااام ..كداا كتير ..كدة كتير أوى وفوق طاقتى

حاولت سماسم أن تتمسكن وتحاول إستعطافه فقالت..

-بتقول كدة لأمك ياابهجت؟؟ عايزنى أغضب عليك؟؟

فنظر بلا مبالاة ثم قال..

-لاا..ربنا مااقالش كدة أبدا..ربنا مااقالش أتعذب ويجيلى عقدة نفسية وحياتى تدمر بسببك ..إنتى أم أنانية ومابتفكريش ألا فنفسك..كفاية كدة..كفاية عذاب لحد كدة ...سبيلى الباقى من حياتى بقى كفاية اللى دمرتيه

..

ثم أردف بنبرة مكسورة..

-سبينى ألحق نفسى قبل ماضيع ومالاقيش عيل يسندنى فحياتى لما اكبر أو يدفنى لما اموت

ثم توجه إلى مهدا قائلا بعد أن مسح دموعه..

-يلا يامهدا لمى حاجتنا علشان نمشى من هنا..

وخرج من المنزل ..متجها إلى أحد زملاؤه الذى كان يعرض شقته المفروشة للإيجار ..ثم اتجهت مهدا إلى غرفتها طائعة لتقوم بحزم أمتعتها وعادت سماسم إلى نفسها لتفكر فى كل ماقاله بهجت وما ذاقت أبدا طعم تأنيب الضمير وبأنها السبب فى مصيبته وإنما كل ماذاقته هو غضبها الشديد نحو بهجت الذى تجرأ على إعتراضها والوقوف ضد إرادتها ..حتى أصبحت تلقى اللوم على مهدا التى تعلم جيدا بأنها السر وراء هذا التغيير و بأنها السبب فى أن جعلته عكس إرادتها ورغباتها الأنانية.

______

-يااااه كل دة سرحان

قال ذلك زوجها العاشر فور وصوله إليها مقاطعا حديث الأمواج مع الذكريات التى كانت تنصت إليه ثم قالت وهى تلتفت إليه...

-إنت عارف إنى بحب البحر

فقال وهو يجلس على الشاطئ

-أيوة بقى يابخته..

نزلت عن مقعدها المطاطى التى اصطحبته معها فور خروجها من الفندق وجلست إلى جواره على الشاطئ لتقول..

-إحم...يعنى مش لدرجة أكتر منك

-بجد؟؟

-أيوة بجد

-أتغر يعنى وانا ضميرى مرتاح؟؟

فضحكت ضحكة رقيقة ثم قالت..

-أيوة ..إتغر إنت ومالكش دعوة

فنظر إليها وتأمل إبتسامتها التى كانت تنسجم مع نسمات الهواء ثم قال..

-أوعدك إنى هحافظ على إنى أخليكى مبسوطة كدة دايما وفرحانة مهما حصل

****

الفصل الثامن والعشرون

"إنتقام"

إتجه كلا منهما إلى شقتهما الجديدة التى استأجرها بهجت من أحد زملاؤه
وأخذت مهدا بصف الملابس فى الخزانة .. حتى سألها بهجت قائلا..

-تفتكرى اللى انا عملته دة غلط؟؟

فوضعت مهدا أخر قطعة من الملابس فى الخزانة ثم قالت..

-لا صح وصح جدا كمان

-أنا طول عمرى مابحبش ازعلها..أنا اة كنت بخاف منها وبعمل كل دة بزعل..بس فى الآخر هى أمى وكنت بحبها لأخر لحظة

فربتت على كتفيه ثم قال بإشفاق..

-معلش..بكرا كل شئ يتصلح

كانت مهدا تشعر بالفرح لإستقلالها بمنزل آخر أحست فيه بأنها سيدته ولكن برغم ذلك..لم تتغافل أبدا عن تذكر كمال وحبه المستوطن بقلبها..وذكراه العابثة فى مخليتها ..ولقد كان حبها لبهجت حبا من نوعا آخر ..لقد أعطته ذلك الحنان الذى حرم منه منذ طفولته بعاطفة أم ،وذلك الأمان الذى كان

يحتاجه.. حتى أحست بأنه طفلها الكبير الذى يحتاج إلى عطفها وحنانها،ولقد كانت مهدا بالنسبة إليه .. هى تلك الأم والزوجة التى وجد بها جميع معانى الحنان والعطف التى كان يحتاج إليها ..ومن ثم إبتدت الصورة إلى أن تقترب أكثر وأصبح كل ليلة يهرع إلى أحضانها لينام على صدرها مثل الطفل هكذا كان يجد أمانه وراحته ، وتجرى الحياة بينهما بين ود وعطاء وإحسان مع استمرار كلا منهما بالتردد إلى الطبيب يوما بعد آخر..حتى بدأت حالته فى التحسن وفى ذات الأيام..

كانت مهدا تقف أمام المقود فى المطبخ تعد الطعام ..فدخل إليها بهجت والفرح والسرور ينبثق من عينيه ليحكى لها كيف بدأ يومه فى العمل كعادته وكيف انتهى .. كيف أصبح إجتماعيا وكيف توطدت علاقاته لدى زملائه فى العمل ..لقد كان سعيدا جدا ..سعيدا إلى ذلك الحد الذى جعله يقترب إليها ثم يقبلها برقة من خدها .. مما طبع فى نفس مهدا دهشة واستغرابا فتركت ما كانت تنهمك فيه ثم نظرت إليه ..لتتحدث عينيه نائبة عنه ولترى فيهما رغبة مختلفة عن تلك التى اعتادت عليها .. لكن الصمت لم يطل حتى أخذها بين أحضانه ثم أكثر الضم ليهمس لها بأنفاس متقطعة " بحبك"
..إن الحب الذى فى قلبها إليه يختلف تماما عن ذلك الحب الذى يقصده....لذلك لم تستطع الرد وقامت بالصمت..فحملها إلى الفراش ليجهز

على ما بدأ فيه...ولتنتهى تجربته بنجاح
وليصفق الجمهور على هذا الحدث الجميل.

شق الصباح طريقه إليهما..فااستيقظ بهجت وقد شق هو الآخر إبتسامة متتائبة على وجهه ونظر إلى جانبه ليجد مهدا وهى تغط فى نوم عميق ...فقام نشيطا ونظر إلى المرآة ليجد الفخر والبهاء فى عينيه ..ثم ذهب إلى عمله ..فرحا...فخورا بما قام به ليلة أمس.

-يااه كل دة وحضرتك لسه ماجهزتيش؟؟
قال ذلك زوجها العاشر وهى تجلس أمام المرآة تجهز نفسها لحضور حفل زفاف أحد أصدقاوه ..فردت قائلة..
-خلاص خلصت اهه
ونهضت لترى فى المرآة فستانها المغلف بلون الكشمير وحجابها الذى تألق فيه والذى لفته بكل إنسيابيه ودقة بارعة ثم تأبطت ذراع زوجها العاشر وثم استخذا سبيلها إلى قاعة حفل الزفاف..

-ألف مبروك يااعريس
قال ذلك زوجها العاشر بعد أن صافح العريس فرد قائلا..
-الله يبارك فيك..
ثم اتجه إلى مهدا قائلا..

-أنتم السابقون ونحن اللاحقون ياامدام مهدا

فاابتسمت قائلة..

-ألف مبروك ..ربنا يسعدكم ياربّ

ثم عادا إلى ساحة الحضور وجلسا على أحد الطاولات لمشاهدة برنامج الحفل..لكن مهدا لم يروق إليها هذا البرنامج فقررت مشاهدة برنامج آخر كان يدور فى عقلها ومخيلتها..

-أنا فرحان أوى ياامهدا..ماأكنتش أتصور إنك هتغيرى حياتى بالشكل دة

قال ذلك بهجت فور أن عاد من عمله ..فاابتسمت على مضض ثم قالت..

-المهم تكون مبسوط وسعيد يابهجت

-جدا جدا...فوووق ماتتصورى ..إنتى ماتتصوريش إحساسى عامل إزاى دلوقت حتى مابقتش بمشى وبقول ياحيطة دارينى زى الأول ولا بقيت بخاف أعترض على أى حاجة فشغلى زى الأول ..كنت بحس إنى لو اعترضت على حاجة أو قولت لاء على حاجة مش حابها..الناس هتعايرنى بعيبى ..فكنت بسكت

-وإنت كنت معرف حد بالموضوع دة؟

-لاء..بس كنت بحس إنهم لو بصو فعينى هيعرفو..وكل واحد كان بيبصلى أو يقولى عاوزك فى موضوع .. كنت بحط إيدى على قلبى لااكتشف إنه

عرف الموضوع ..كنت بخاف جدا حتى أبص فى عيون الناس

-يااه للدرجادى؟؟

-واكتر من كدة ..أنا كنت عامل زى اللى على راسه بطحة وكل شوية يحسس عليها..كنت بتعذب ليل ونهار

أشفقت مهدا على حال هذا المسكين مما جعلها تقترب إليه لتهدهد على كتفيه وتضم رأسه إلى صدرها ليستكين فيه ثم تقول..

-معلش..أكيد اللى جاى أحلى

فرفع بهجت رأسه لينظر إليها ثم يقول..

-أكيد أحلى معاكى يامهدا..أنا مااعرفتش طعم الراحة إلا اما دخلتى حياتى..أرجوكى ماتبعديش عنى

فقالت بحنان..

-إنت حد طيب أوى يابهجت وماشوفتش منك حاجة وحشة علشان كدة أوعدك إنى هفضل دايما جنبك ومش هبعد عنك.

وإستمرت الأيام بينهما بين فرح وسعادة وهناء..أما مهدا فلقد كانت زوجة كلما أحب ..وأما حينما يحتاج ..وفى كلتا الحالتين كانت تنظر إليه بذلك الزوج الذى يحتاج إليها بكل ذرة فيه ولا يستطيع الإستغناء عنها..مما خلق لديها شعورا رائعا بأنها إمرأة أصبحت مسؤلة عن شخص أصبحت هى كل حياته ولا ينبغى أبدا أن تتخلى عنه..خاصة حينما يكون هو آخر أمالها وملجئها

الوحيد من كل شئ تهرب منه ...شعور بالإحتياج متبادل كان يسود حياتهما..فهى تحتاجه كرفيقا يؤلها ويأويها من هذا العالم وهو يحتاج إلى حنانها وعطفها الذى تعطيه له بكل سخاء ودون حسبان ..إلى أن أتى يوما سمعت به جرس الباب ..فهرولت إليه وفتحه لتجد رجلا عريض المنكبين ممتلئ قليلا ..ذو شارب غليظ يخفى جزءا من شفتيه..فسألته بفضول..

-مين حضرتك؟

-مع حضرتك على السباك..الاستاذ بهجت باعتنى أبص على سباكة الحمام ..بيقول فيها مشكلة..

فقالت بإاستغراب

-مشكلة إيه؟؟ ماعندناش فى الحمام أى مشاكل

-والله حضرتك مش عارف هو قالى كدة

فتركت له مجالا للدخول ثم قال..

-طيب ماشى..إتفضل

فدخل إلى الشقة ثم توجه إلى الحمام بعد أن أشارت إليه وعلى حين غرة أمسك برأسها واضعا يدا على فمها وباليد الأخرى منديلا يوضع به مخدر نصفى سريع المفعول ثم أفلت يده ووضع المنديل على أنفها ..لتستنشقه ثم تقع بين يديه هامدة أثر ذلك المخدر بينما لا يزال عقلها مستيقظا بنصف وعى ، وحملها ثم وضعها على الفراش وقام بتجريدها من ملابسها ..لتصبح عارية تماما

كما ولدتها أمها وجسدها فى حالة من الخمول .. ثم يقوم هو الآخر بخلع ثيابه ويرقد إلى جانبها محاولا إحتضانها وهى تبكى بقلة حيلة وتحاول بطشه بيديها الخاملة خائرة القوى لكن دون جدوى ...ليعود بهجت بعد دقائق من عمله ويرى ذلك المشهد الذى أصابه بحالة من الصدمة جعلته يخرج مسرعا من المنزل ويركض مبتعدا والدموع تنهمر من عينيه حتى قطعت أنفاسه وتوقف ليتلقط بعضها ثم يواصل تذكره لمشهد خيانته حتى كاد أن يجن عقله.

لقد تأكد تماما بأن هذا هو الثمن ..هذا هو الثمن لمشاعر وأحاسيس مزيفة أطرحتها إليه مهدا حتى يختلى لها الجو مع عشيقها وحبيب قلبها وليس من أجل سعادته ..إنه الآن يستعيد ذكريات حياتها معه ثم يحاول خلق أسباب هلامية من أجل تبرير خيانتها..وأخذ يخاطر نفسه قائلا.. بأنها أرادت أن يستقلا بمنزلا خاصا بهما من أجل الإختلاء بعشيقها أثناء وجوده فى العمل ، ولقد ساعدته من أجل هذا السبل .. فهو لم يعرفها ..كيف له لأن يثق بها بمنتهى السهولة ..كيف له لأن يصدقها ويصدق كلماتها ..لقد خدع..نعم لقد خدع..لقد خدعه حنانها المزيف وكلماتها الأفاقة ..إنه ماكان ينبغى عليه أن يصدقها ..ما كان ينبغي أن يحبها ..وأخذ يعاتب نفسه ويراضى تساؤلاته.إلى أن وصل إلى المنزل ولقد كانت الساعة حينها تقارب الثانية صباحا.. حتى لم ينتبه إلى هاتفه الذى ما توانى عن الطنين و الدق ..نعم إنها مهدا ...لقد زهق أخيرا تأثير المخدر بعد أن تركها الرجل الغريب غارقة فى دموعها وأخذت

تطلبه على الهاتف لكنه لم يرد ..حتى سمعت صوت المفتاح وهو يدور بالباب فركضت إليه ..لينتفح الباب ولترى بهجت والشرر يتطاير من عينيه ثم يتجه إليها ..فحاولت أن تتحدث إليه أو أن يسمعها وهو يعدو بخطواته إليها..قائلة بتوسل.

-بهجت إسمعنى بس..والله أنا مظلومة

ولكن دون تردد سحبها من ذراعها ليمسك بشعرها ثم يخرجها من منزله بقسوة لتسقط على الأرض ثم يعود إلى غرفتها ويجمع ملابسها وجميع أشيائها ويرميها إليها على الدرج واحدة تلو أخرى ثم يقول..

-إنتى مكانك فى الشارع..واحدة زيك ماتستاهلش تعيش فى بيوت محترمة زى الناس ..إنتى طالق..طالق ..طالق

****

الفصل التاسع والعشرون

"الزوج الخامس"

أحكمت سماسم خطتها ثم وضعتها بإتقان ..ليقوم بتنفيذها رجل مستأجر من قبلها حتى حدث ما خططت له.

لملمت مهدا أشيائها الوقيعة على الدرج ثم اتخذت سبيلها إلى الخارج والدموع تنهمر على خديها .. كانت تسبح فى حالة من الإنهيار والبكاء ..متذكرة جميعماافعلته لهذا البهجت الذى ساندته وأطعمته بجميع أنواع العطف والرحمة وما كان هدفها سوى إسعاده وإصلاح شأنه...
أكانت هذه الجريمة؟؟ أأصبح شعورنا بالآخرين مجرد جريمة؟؟
أم لم نعد نصدق بأن يكون فى زمننا هذا شخص يعطى بلا مقابل ويضحى بلا عائد!!

لقد شعرت بالإرهاق وهى تسير وحيدة فى طريق طويل نهايته بعيدة فى هذه الساعة المتأخرة من الليل ولقد كان يمر بجانبها سيارة كل نصف ساعة ..إلى أن خارت قواها تماما فقررت الجلوس على أحد المقاعد الخشبية المصطفة على الرصيف .. ومن ثم توقفت أحد السيارات أمامها .. ثم فتح

زجاج نافذة السيارة ..لترى رجلا يظهر بأنه فى العقد الرابع من عمره..فتأملته قليلا إلى أن أشار إليها بسبباته لأن تأتى وتركب معه .. فنظرت إلى نهاية الطريق لتجده ينتهى عند ظلاما دامسا لا يتضح له نهاية إلى أن شعرت ببرودة الطقس ..فنهضت لتعدو بخطواتها إليه ثم أسرعت فى خطاها وركبت إلى جانبه بسرعة خاطفة ..محاولة لأن تتخلص من ترددها وضميرها التى اكتشفت بأنه لن يساعدها سوى بالوصول إلى الموت من البرد والجوع والتسول...

ومن هنا انطلق صاحبنا إلى فيلاه المفتخرة ليقضى بها ليلة حمراء كما اعتاد كل ليلة مع إحدى فتايات الهوى..

فحينما تغيب الزوجة عن المنزل يصبح هذا وقتا مناسبا لاصطياد إحدى فتايات الهوى إلى منزله لممارسة الرزيلة.

كانت مهدا جامدة ..متحجرة لاتحس بأى شئ حولها ..إحساس يثلج جميع أطرافها ويجعلها غير مبالة لكل مايحدث حولها كان يعتريها ..إلى أن وصلا إلى فيلاه الواسعة وطلب منها أن تنزل عن السيارة ومن ثم خلدا إلى داخل الفيلا وصعدا إلى الطابق العلوى التى توصلهما إلى غرفة النوم ..وكل ذلك كان يتم فى هدوء تام يتفاهمان فيه عن طريق الإشارات والنظارات ..ثم نظرت مهدا إلى الفراش وتأملته فور أن رأته فتمنت لو أن تستلقى عليه وتلقى بجسدها المتعب بين أحضانه ولكن كان ذلك الذى يقف بجانبها يهدد

راحتها ..فرمقته بنظرة فاترة ورأت فى أعينه بريقا يرتسم فيه الشهوة والسفالة ..لكنها لم تبالى أيضا..لقد تملكها اليأس وأحبط كل مافيها ..قائلة فى خاطرها..أن بماذا نفع إخلاصها وطيبة قلبها ..ومانفع الآن أن تحافظ على شرفها وهى بلا أهل وبلا مأوى وقد أصبحت مؤخرا أمام زوجها زوجة خائنة وبلا شرف ..لقد أعطت باقصى ما لديها ..بكل مشاعرها..بكل كيانها وما لاقت منه سوى القسوة والظلم..لقد حان الآن لأن ترتمى بين أحضان الخطايا وتضحى بروحها لتولد من رحم المعصية روحا آخرى لا تشبهها..لتأتى بروح أخرى ليس لها قلب ولا عقل ولا ضمير ليلائم تلك الحياة القاسية والتى ما ذاقت بها سوى الذل ..ومن ثم إقترب إليها ذلك الرجل ..ليزيل وشاحها الذى كانت تتوسده ويهرع إليها كالمحروم ليقبلها بنهم ..ثم تغمض عينيها بألم وتتذكر كيف أهانت وكيف ظلمت حتى قام بخلع ملابسه وهى كالدمية بين يديه لا حياة فيها إلى أن مال بها على الفراش ومن ثم إقتحم المكان ثلاث عساكر من الشرطة آخرهم الضابط قائلا..

-إثبت مكانك إنت وهى

-بقى دى أخرتها ياإصلاح ..تخونى وفبيتى؟؟

قالت ذلك زوجته المصاحبة لهذا الهجوم ..فااحتقن وجهه بالدماء مرتبكا ثم نظر إلى مهدا التى حتى لم يعرف إسمها حتى الآن ليجدها غير مبالية بكل ما يحدث ثم قال..

-أنا..أنا..

-أنا إيه بس..أنا حذرتك قبل كدة ..وانت عارف بابا بيقى إيه بالظبط ..وقولتلك انا حطاك فى دماغى ..وادى النتيجة ..إشرب بقى

ثم خرجت من الغرفة وأخذ الضابط كلا منهما متلبسا على حالته ثم استقلا سيارة الشرطة واتجهوا بهما إلى القسم..

-ها ..قولت إيه يااصلاح بيه ..فى التهمة المنسوبة إليك

-أنا مش هتكلم إلا قصاد المحامى بتاعى ولو سمحت انا محتاج هدوم ألبسها ...ماينفعش شكلى وانا ملفوف بالملاية كدة ..أنا شخصية مشهورة ومايصحش كدة

فرد الضابط بسخرية..

-وهو اللى عملته دة هو اللى ينفع؟

فأطرق رأسه خجلا ثم قال..

-لا..طبعا ماينفعش

ثم بعد قليل أتى محامى المدعو صلاح ومعه بعض الثياب ليرتديها موكله ثم نظر إلى مهدا التى كانت لا تزال تحتفظ بفستانها ولم يتم تجريدها منه والتى كانت صامتة طوال الوقت ثم قال..

-لو سمحت يااحضرت الظابط .. عايز أتكلم مع صلاح بيه على انفراد

فنهض الضابط قائلا..

-طيب أنا هسيبكم لوحدكم عشر دقايق وجاى تانى

فجلس المحامى ليتحدث إلى صلاح بعد أن خرج الضابط قائلا..

-إيه ياصلاح بيه إيه اللى حصل؟؟

-فتحية قفشتنى ياخيرى وبلغت البوليس

-إيه؟؟ فتحية هانم تعمل كدة؟؟

-أيوة طلعت مرقبانى من أول ماخرجت من البيت وأول ماشافتنى داخل بلغت البوليس..أرجوك إتصرف

ففكر قليلا ثم قال..

-خلاص أنا عندى الحل

-إيه هو؟؟

-تكتب على البت اللى كانت معاك دى

-إيه ..إنت إتجننت دى واحدة جايبها من الشارع

-ياصلاح بيه افهمنى..لما تتجوزها ..كدة بتسقط التهمة عنك وبنطلعك انت وهى بكفالة وكدة بتكون القضية بح

-إيه ..بتتكلم جد؟؟

-أيوة

-طيب ماشى أنا موافق

-على خيرة الله

تمت الزيجة بقسم الشرطة وتم دفع الكفالة وأخلى سبيلها وأقفلت القضية فى تاريخه ..وخرج كلاهما من القسم وبعد أن ابتعدا عن قسم الشرطة..أوقفها صلاح قائلا..

-أنا طبعا أسف عاللى حصلك..وطبعا مش هقدر أخدك معايا البيت ولا هقدر أسيبك على ذمتى ..أنا راجل أعمال مشهور وليا سمعتى..علشان كدة..إنتى طالق بالتلاتة

فأغمضت مهدا عينيها بألم.. حينما ذكرها تلك الطلقات الثلاث بحادثة حديثة تعود إلى زوجها الرابع بهجت ومن ثم عاد الألم فيها ليجعلها تعود إلى شعورها من جديد بعد أن كانت فى حالة شديدة من الصدمة وتيقظ عقلها ليدرى أخيرا ويستوعب كل مايدور حولها وأثناء ذلك حدث صلاح محاميه قائلا..

-خيرى..معاك فلوس كام

فأخرج مابحوزته من نقود ثم قام بعدهم وقال..

-2000 جنيه ياصلاح بيه

فتناولهم من يده ثم وضعهم بيد مهدا قائلا

-خدى دول يامهدا خليهم معاكى..ثم أشار إلى المحامى إلى أن يحضر حقيبتها التى تركتها بالسيارة قبل أن تذهب معه إلى المنزل ثم قال..

-أسف للمرة التانية..

فنظرت مهدا إلى مامعها من نقود ووضعتها بداخل حقيبتها ثم انطلقت ضحكة ساخرة من صدرها ثم تابعت المضى بالطريق.

____

-إيه دة ياامهدا..إنتى بتدمعى؟؟

قال ذلك زوجها العاشر فعادت إليه من الذكريات وهى تمسح دموعها قائلة..

-أبدا...بس أصل اليوم دة فكرنى بيوم فرحنا فدمعت

-يااااه للدرجادى

-أيوة..كان أحلى يوم فى حياتى..

وأثناء ذلك جلس على الطاولة التى

بجانبها رجلا عجوزا يعرفه زوجها العاشر جيدا ..فنهض متجها إليه لمصالحته والإطمئنان عن أحواله ..وأثناء ذلك أدارت مهدا عنقها بفضول إلى الطاولة التى بجانبها

باحثة عن وجه ذلك الرجل الذى نهض زوجها العاشر خصيصا إليه ولكن فور أن اتضح وجهه إليها ..أصيبت بالصدمة وتلاحقت أنفاسها لتنهض عن مجلسها قائلة بفزع..

-يوسف!!

الفصل الثلاثون

"بين الماضى والحاضر"

هنالك تنبه يوسف إلى مهدا التى كانت تنظر إليه بتركيز شديد لكنه لم يعرفها فى البداية إلى أن قام بفتح عينيه إلى آخرها حينما تأكد بأنها مهدا.. لم يكن يصدق مايراه ..إنها مهدا!!
بعد كل هذه السنين؟؟
لاحظت مهدا بأنه عرفها عبر نظراته ..فتوجست منه خيفة ورجف قلبها حينما أعادها إلى الماضى بكل آلالامه وأوجاعه حينما تذكرت مشاهد هتكه لعرضها ومقتل زوجها الحبيب كمال ..الذى ذاقت بعده الويل والقهر والحسرة ،وحاولت أن تهرب..حاولت أن تهرب من ذكرياتها وتخيلاتها ولكن دون جدوى...إن الحل الوحيد للهروب من هذه الذكريات هو الهروب من أمامه..وعادت إلى الوراء ثم نظرت تجاه باب الخروج وركضت إليه ..هاربة من كل شئ ..ذكرياتها..أنينها..عذابها ولتسقط دمعات حسرة على ذلك الماضى ..الذى أخذ حظا كبيرا من شبابها، وأثناء ذلك إلتفت إليها زوجها العاشر ليجد مكانها فارغا ويجول بعينيه على ساحة الحضور..فيلمح خروجها من باب القاعة ويركض إليها ..ليجدها لاتزال تمضى بعيدا عن الحفل دون أن

تنظر خلفها..فاستوقفها من بداية الطريق وهو يصيح قائلا.

-مهدا..مهدا..مهدا

هنالك إلتفتت إليه وانتظرت قدومه إلى أن وصل إليها وهو يلهث قائلا..

-فى إيه ياامهدا ..مالك؟

إعتصرت عيناها بالدموع والتقطت أنفاسها بصعوبة ثم قالت..

-طلقنى

-إيه؟؟ بتقولى إيه؟؟

-زى ماسمعت بقولك طلقنى

فوضع يده على كتفيها ثم قال برفق..

-مالك بس ياحبيتى...قوليلى فى إيه؟

فنزعت يده عن كتفيها ثم صاحت قائلة..

-بقولك طلقنى

لم يكن يصدق ماتقوله..فلقد نزلت عليه كلماتها كالصاعقة فحاول هدهدتها لإكتشاف السر وراء هذا التصرف الغريب

فااحتوى وجهها بين يديه ثم قال ناظرا إلى عينيها..

-فى إيه ياامهدا..مالك

فنظرت إليه والدموع تنهمر على خديها كالشلال...لم تستطع أن تتحدث..لم تستطع أن تشرح شعورها الذى يتألم ..إن مايبكيها الآن ليس مجرد ذكرى

وإنما مايبكيها هو ألم يرفض دائمًا أن ينتهى وجرحا يرفض دائمًا أن يضمد..إن مايبكيها الآن هو ذكرى مؤلمة ترفض أن تموت ..أن تنجلى ..حتى أحست وكأن العالم كله يتآمر ضدها..لقد شعرت بأنه لا يستحق أبدا أن يتزوج إمرأة مثلها...إمرأة لها ماضى وذكريات تلاحقها دائمًا أينما ذهبت..إمرأة ضائعة ..تائهة ..سئمت كل شئ ..إنه رجل طيب..لا يستحق أبدا ولا ذنب له فى أن يتحمل معاناتها وروحها المذبوحة من الماضى ..إنها تشعر بالسعادة معه ولكن ..ماذا إن لم تستطع أن تهبه تلك السعادة التى يتمناها؟

ماذا إن غلبها ماضيها ولم تستطع الهروب من أسره؟؟

إنها ضائعة لا محالة ..إن ذلك الماضى سيأتى يوما ويعود إليها من جديد..هذا ما أكده يوسف..لقد قررت أن تواجه حياتها وحدها ..دون أن تشعر بالذنب تجاه أحد ، ودون أن يتعلق بماضيها شخص طيب مثل زوجها العاشر وهو لا ذنب له فيه..

إن حياتها..ماضيها بجميع مافيه..عقدها النفسية..

هى من ستدفع ثمنها وحدها ..لا ذنب لأى مخلوق فيها.

-بقولك طلقنى..دا قرار ومش هرجع فيه

قالت ذلك مهدا بنبرة باردة يتداخل فيها أصوات العذاب والألم ..فرد قائلا

-طيب.. حاضر..بس أفهم السبب

فابتلعت ريقها ثم قالت بتماسك..

-السبب إنى مش عاوزاك..بكرهك

فسكت قليلا من هول الصدمة ثم قال..

-يااه..فجأة كدة؟؟

-أيوة..

ثم تركته وهى تقول..

-إبقى ابعتلى ورقة الطلاق على الشقة اللى كنت فيها

فجذبها من ذراعها لتتلاقى عيناها بعينيه ثم هبط بكفه على صدغها بصفعة قوية زلزلت كل مابها ثم قال والشرر يتطاير من عينيه..

-أنا شكلى كنت لعبة فإيد الهانم وانا مااعرفش

فوضعت يدها على صدغها ثم قالت بإصرار..

-اة كنت لعبة..طلقنى

فقال ثائرا على رجولته..

-إنتى طالق

لحظات صمت سادت بينهما وبين نظرات من الصدمة والألم إلى أن تركته ومضت فى طريقها ..عائدة إلى العذاب والحزن والضياع وماضيها الذى كان يلاحقها..إقتصرت عليه الطريق الآن..لتذهب إليه ..خاضعة ..مستسلمة ..لكل أوجاعه وعذابه ...أما زوجها العاشر فلقد اكتفى بمشاهدة جسدها وهو يرحل بعيدا عنه وقلبه يعتصر من الألم والوحدة التى شعر بها فور أن

غادرته، ومضت فى طريقها حتى أصبحت بعيدة جدا عن ناظريه إلى أن أحست بتعب قدميها من ذلك الحذاء الذى كانت ترتديه وشعرت بسخونة ترعى بجسدها وتشتعل ..فودت لو تلامس قدميها الأرض لتشعر ببعض البرودة ..فلبت نداء رغبتها وخلعت حذائها..لتصبح حافية القدمين..وبعد لحظات من المضى

شعرت ببرودة ترحل من قدميها إلى ساقيها ..مما أخمد قليلا تلك النار التى كانت تشتعل فيها إلى أن شعرت ببعض الراحة وهى تسرى فى جسدها ومرورا بهذا الموقف..تذكرت ذلك الطريق قديما التى كانت تمر فيه ..فور أن طلقها زوجها الخامس..

-لو سمحت ..هو الليلة عندكم بكام

قالت ذلك مهدا بعد أن تنبهت إلى يافطة عريضة مكتوبا عليها..*فندق السعادة*

فاانطلقت ضحكة ساخرة من صدرها ثم دخلت إلى الفندق.

ولقد كان فندقا من ذوى المبانى القديمة ..قديمة الأثاث والحجرات..لذلك توقعت بأن إقامة الليلة فيه ستكون مناسبة لظروفها السيئة ومن ثم أجابها مالك الفندق قائلا..

-على حسب حضرتك محتاجة غرفة عادة ولا ممتاز

-عادة يعنى إيه وممتاز يعنى إيه

-عادة يعنى غرفة بسرير وحمام وممتاز يعنى غرفة بسريرين ومطبخ وحمام

-لا انا عايزة غرفة عادية

-تمام..الليلة ب ٤٠ جنيه

كما توقعت تماما...ثمن متواضع يلائم غرف هذا الفندق القديم ..فأخرجت له أربعون جنيها ثم قادها إلى غرفتها التى لم تنفتح بسهولة ..إلا بعد معاناة .. حتى أخيرا إنفتح الباب ..لترى أساسا قديم جدا لكنها لم تبالى به..إن هدفها الآن هو الفراش الذى يحن إليه جسدها المتعب ..وانتظرت حتى ذهب المالك لتنفرد بالفراش وتستلقى عليه ثم تأخذ قسطا كبيرا من الراحة التى لم توانيها منذ يومان إلى أن غطت فى نوم عميق..

-يا نرجس قولتلك مليون مرة خدى بالك من العيال ومذاكرتهم ...ينفع كدة ..إستدعاء ولى الأمر مرتين فى شهر واحد؟؟

هكذا صاح عبد الله الذى يسكن فى الدور العلوى لغرفة مهدا مما تسبب فى إيقاظها صوت زوجته شيماء وهى تقول..

-وهو كل حاجة أنا السبب فيها...حرام عليك ..أنا هلاحق على إيه ولا إيه

-إنتى ست مهملة

-البركة فيك ..مش مخلينى عارفة اتلفت حواليا ...من كتر جريك ورا

الستات

-إعقلى ياأشيماء ولايميها أحسنلك ..علشان ماترجعيش تندمى

-ياخويا بلا خيبة..ماانا ندمت من زمان واللى كان كان

-طيب ..انا رايح الشغل كمان شوية..وإياكى ارجع ألاقيكى هنا

-يعنى معيشنى لجنة..حوش حوش ..اللى يسمعك كدة مايقولش إننا عايشين فى حوق ومتأجرينه كمان

-كدة؟؟ طب روحى وانتى طاااالق

فشهقت شيماء من أثر الصدمة ثم قالت..

-إنت بتطلقنى ياعبد الله ..والله لاخرب بيتك ..بينى وبينك المحاكم

-أعلى مافخيلك إركبيه

وإلى هنا انتهى الحوار الذى كان يدور بينهما والتى كانت تستمع إليه مهدا من وهى على الفراش

فضحكت بسخرية ثم قالت..

أهى بوادر السعادة ظهرت أهيه

إغتسلت مهدا ثم بدلت ملابسها وفتحت الباب متخذة طريقها للخارج بحثا عن عمل يؤلها ويؤل معيشتها وأثناء خروجها إلتقت بعبد الله على الدرج والذى فور أن رآها إبتسم بشدة ثم قال..

-ياصباح القشطة

إبتسمت إبتسامة مغتصبة ثم قالت..

-صباح الخير

-هو حضرتك ساكنة جديدة معانا هنا؟؟

-أيوة

-إن شاء الله تكون معرفة خير علينا إحنا الكل..اعرفك بنفسى ..محسوبك عبد الله ...الساكن الى فوقيكى لو عوزتى أى حاجة...أى حاااجة ..أوعى تترددى تطلبيها منى

-متشكرة جدا..عن إذنك

لقد أخذت فى البحث عن عمل..إلى أن وجدت عملا فى أحد محلات البقالة التى كان صاحبها المسن فى حاجة إلى من يعونه فيه ،ومن ثم تولت مهدا العمل وتحولت إقامتها بالفندق إلى إقامة دائمة ..بإيجار شهرى

الفصل الحادى والثلاثون

"بداية ونهاية"

لقد كان هناك شيئا غريبا يحدث كلما صعد إلى غرفته ..لقد كان كلما صعد إلى غرفته دق إليها الباب متحججا كل مرة بحجة تختلف عن الأخرى..حتى ضجرت من حججه وأعذاره الفارغة..لكنها لم تستطع ردعه أو بث شكوتها إلى مالك الفندق خشية من إفتعال المشاكل التى هى فى غنى عنها ..خاصة لأنها أصبحت الآن إمرأة وحيدة وبحاجة ملحة إلى تلك الغرفة التى تأويها.

لقد توفى ذلك الرجل المسن الذى كانت تعمل لديه مهدا بمحل (السوبر ماركت) ولقد آلت كل ممتلكاته إلى أبناؤه من الورثة والذين إنتهى بهم توزيع الإرث إلى غلق المحل وعرضه إلى البيع .. فعادت مهدا مرة أخرى ...بلا عمل ، ولكنها لم تستسلم...لقد أخذت بالبحث عن عمل من جديد ..لكنها كانت كلما بحثت عن عملا وجدته غير مناسبا ..فمنهم من يريد فتاة ذو مظهر ممتاز..كل ماترتديه يعبر عن رقيها المادى والحضارى ..الأمر الذى يلزمه الكثير من النقود لكى تظهر بهذا الشكل ، ومنهم من يريد فتاة متعلمة..حاصلة على مؤهل دراسى مرتفع من أجل أعمال دفترية وحسابيه وحاسوبية، ومنهم من

يريد فتاة لديها خبرات مهنية..لاتليق أبدا بخبراتها الطفيفة فى مجال العمل الذى كانت فيه...وظلت هكذا..إلى أن إستنفذت كل ما معها من نقود حتى تداينت لمالك الفندق وأصبحت تهرب منه كلما خرجت باحثة عن عمل ولقد كانت تحرص جيدا على أن لايراها كلما دخلت إلى الغرفة ..إلى أن فرغ به صبره وتربص لها يوما كانت هى تتسلل فيه للخروج فناداها من خلف مناصته الطويلة قائلا..

-لو سمحتى ياامداااامماينفعش كدة

فتحجرت مكانها ثم استدارت إليه بجسدها ببطء وذهبت إليه والحرج يقطر من جبينها ثم قالت..

-أنا عارفة إنى إتأخرت فى الإيجار..معلش إصبر عليا شوية

-يامدام ..دا أكل عيشى وانا صبرت واستحملتك كتير..وبصراحة أنا مش فاتحها سبيل

لم تجد كلاما جديدا لتقوله فشعرت بالإحباط ..إلى أن سمعها جارها الفضولى عبد الله ..فتدخل قائلا..

-هى متأخرة فى الإيجار قد إيه

-تلت شهور

-طيب ثوانى هطلع فوق أجبلك الفلوس وجاى

وصعد عبد الله إلى غرفته ثم عاد إليهما وأعطاه المبلغ المتأخر دفعه فى الإيجار ومن ثم نظرت إليه مهدا بحرج وامتنان لحاولت إفضائه ببعض كلمات الشكر لكنه منعها قائلا..

-ماتقوليش حاجة..إحنا جيران والنبى وصى على سابع جار

-عليه أفضل الصلاة والسلام

-ولو عوزتى حاجة تانى ..أنا سداد

-متشكرة جدا..وأوعدك إنى هسددلك المبلغ اللى دفعته فأقرب وقت

-لالالا ..على أقل من مهلك ..مش مستعجل ولا حاجة الحمد لله مستورة

إنها الآن أصبحت بلا عمل وبالقريب جدا ستصبح بلا نقود.. لذلك كان لها ان تتحمل جارها الثقيل عبد الله حينما كان يحاول التودد إليها كلما صعد إلى غرفته أو خرج منها...

-ياصباح الفل..

قال ذلك عبد الله فور أن فتحت له مهدا الباب ..فأجابته

-صباح النور

-أنا كنت معدى فقولت أصبح عالقمر ..وحشتينى أوى أوى أوى

فاابتسمت إبتسامة صفراء ثم ردت قائلة...

-متشكرة جدا على إهتمام حضرتك

-حضرتك؟؟ إيه حضرتك دى..مش اتفقنا هتقوليلى ياعبده؟

-إممم ..معلش أصلى مااتعودتش على كدة

-وماله ياجميل ...بكرا تتعودى..أستأذن أنا بقى علشان عندى شغل فى الورشة ..تحبى أجبلك معايا حاجة وانا جاى

-متشكرة جدا ..كتر خيرك

عبد الله..

رجل فى الأربعين من عمر ..جسده ممتلئ ..ذو شارب غليظ..يعمل ميكانيكى بأحد الورش الخاصة بالسيارات ..لديه من الأطفال إثنان..بنتا وولدا ..كان يعيش مع زوجته وأطفاله بأحد الغرف الممتازة كما يدعوها مالك الفندق..حيث تحتوى الغرفة على سريرين ..إحداهما له ولزوجته والثانى لطفليه يفصل بينهما ستارة طويلة تصل إلى منتصف الغرفة ..ولقد كان ذلك قبل أن تغادره زوجته تاركة له المنزل هى وأطفالها بعد أن قام بتطليقها ..مما أتاح له فرصة كبيرة لأن يختلى إليه الجو.

لم يعد لدى مهدا ولو جنيها واحدا يعينها على مصاريف الحياة ..فلجأت بعد تفكير إلى جارها الحنون..العطوف ..لإقتراض منه مبلغ من المال إلى أن ينفرج حالها ، ولقد رحب عبد الله بذلك كثيرا.. لذلك كان له لأن يستغل حاجتها ويطلب منها أن

كان الباب يطرق بقوة مما أخرجها من حقل الذكريات .. لتنهض ثم تقوم بفتح الباب..لتجده زوجها العاشر فتصمت برهة ثم تترك له مجالا للدخول ثم تقول..

-إتفضل..

فقام بالدخول ثم جلس على أحد المقاعد قائلا..

-عاملة إيه ياامها

-الحمد لله..وانت

-أكيد مش كويس من غيرك ..ماانتى عارفة!!

لقد اشتاقت إليه كثيرا .. لكن كان لها ألا تظهر ذلك فقالت..

-معلش..يومين وهتبقى كويس

فتناول يدها ليفتح كفها ثم يطبع قبلة فى منتصفها ..لقد اشتاقت كثيرا إلى هذه الرقة ..لقد اشتاقت إلى صوته وهو يغازلها وهو يفضى إليها بكلمات الحب والغرام.

-تفتكرى؟؟ تفتكرى يومين وهبقى كويس؟

فردت بشفاة مرتعشة.

-أكيد

-على فكرة يوسف قالى على كل حاجة

فبرقت إليه بعينيها ثم تسائلت بفضول..

-قالك إيه؟؟

flash back

بعد أن عاد زوجها العاشر إلى الحفل مهموما ..حزينا..جلس على أحد الطاولات فى ركنا بعيدا..ينظر بأسى إلى المدعوون وهم يهللون ويرقصون حول العروسان .. فلاحظ يوسف حزنه مما جعله يأتى إليه ليقول..

-مالك؟؟ راجع من برا وشك مقلوب ليه؟؟

فقال بأسى دون أن ينظر إليه..

-طلقتها

-هى مين؟

-مهدا مراتى

-ليه؟

فنظر إليه ثم قال..

-مااعرفش..فجأة كدة لقبتها بتقولى ..أنا بكرهك ومش عايزاك ..صعبت عليا نفسى أوى وعلى كل الحب اللى حبتهولها فطلقتها

-غلط

-ليه؟

-لإنك ماتعرفش ..إنها بتحاول تحميك وتحافظ عليك

-من مين؟؟

-منى!!

فقص له يوسف جميع ماحدث حتى قال.

-وفكرت إنى هساومها تانى بيك وهحاول أتخلص منك زى ماعملت مع كمال

فقال زوجها العاشر والشرر يتطاير من عيناه..

-إنت إنسان حقير...قذر

ثم مد يده ليمسك بياقة قميصه قائلا وهو يكظ على أسنانه..

-إنت إزاى تعمل كدة...قلبك دا إيه؟؟ حجر؟؟

فرد بصوت منكسر...

-إتطمن أهو ربنا إنتقاملها منى..

أزال زوجها العاشر يديه عن ياقته ثم قال بفضول..

-قصدك إيه؟

-قصدى إن بعد ماهدا هربت من العوامة بخمس شهور بالظبط ..جالى المرض الوحش وهدنى ومن ساعتها لحد دلوقتى وأنا بعانى وبدور عليها علشان تسامحنى بس للأسف مالحقتهاش ..وبكرا ميعاد الطيارة بتاعتى لفرنسا ...هعمل العملية بكرا...

-عملية إيه؟؟

-عملية إستئصال ورم فى المخ ..أنا عارف إنى صعب أعيش بعدها..لإن العمليات دى نسبة نجاحها ضعيفة جدا ..بس أنا عايز أقابل رب كريم وأنا مخلص كل ذنوبى

-وطالما عارف انها نسبة نجاحها ضعيفة هاتعملها ليه
-علشان أخلص من الألم والعذاب اللى بحس بيه ليل ونهار ..أنا لا عارف أنام ولا عارف آكل ولا اشرب ولاى حاجة..عايش على المحاليل والفيتامينات ..قولت نجحت نجحت..مانجحتش يبقى خلصت من العذاب والمعاناة اللى يوميا بشوفها وبعيش فيها..
فضحك بسخرية ثم قال بتملق...
-وهو واحد مريض..مرض خطير زى دة ..فيه صحة ييجى فرح ويقعد وسط المعازيم عادى كدة؟؟ حلوة دى والله
-أنا صدقنى لو قولتلك إنى جوايا عذاب وألم مالوش حد ..بس حبيت أخر ليلة ليا فمصر أقضيها وسط فرح وناس بترقص وتنبسط ..حبيت أحس بوجود ناس حواليا مابيعيطوش ولا يصوتو زى الحالات اللى بسمعها جنب الجناح بتاعى اللى فى المستشفى ..حبيت أتونس بيهم وأحس وسطيهم بالأمان ...خصوصا إنى إنسان وحيد لا ليا عيل ولا تيل ..أنا عارف إن دة إنتقام ربنا منى ..بس صدقنى أنا مرتاح جدا برغم العذاب اللى حاسه..مرتاح علشان ربنا بيخلص منى ذنوبى قبل ماأروحله ..وبترجاك ..أبوس إيدك...تخلى مهدا تسامحنى ..وقولها ماتخافيش...ربنا إنتقاملك من يوسف أشد إنتقام..
ثم جر عكازه ونهض متكئا عليه بانكسار ثم قام بمغادرة الحفل .. وعاد الزوج العاشر ليفكر بمهدا وبكل ما حدث لها ثم يقرر أن يعود إليها بالشوق الذى أصبح أكبر من الذى كان

الفصل الثانى والثلاثون

"حب وفكر"

-بس وهو دة كل اللى حصل..تفتكرى دا سبب تطلبى الطلاق علشانه؟؟

فنظرت إليه بحنين ثم قالت..

-علشان بحبك..وعاوزة أحافظ عليك حتى من نفسى

-بس إنتى باللى عملتيه دة مش حافظتى عليا..بالعكس إنتى كنتى هتضيعينى وتكسرى قلبى

-أكسر قلبك أحسن ماحياتك كلها تضيع

-وهو تفتكرى لو قلبى إتكسر...هعرف أعيش؟

إيه نفع الحياة من غير قلب يحس بيها

-اللى بيحب مابيحسبهاش كدة..اللى بيحب بيحسبها بمعايير مختلفة

...صدقنى أنا عمرى ماحبيت حد قدك ولا هحب

-وطاوعك قلبك تطلبى الطلاق؟

-ربنا وحده عالم..قد إيه كنت بتعذب

-على كدة أول مايحصل أى خلاف أو اى حاجة ..هتطلبى الطلاق

-عمرررى ..أنا أستحمل أى حاجة إلا إنى أشوف حياتك قدامى بتضيع واقعد اتفرج..ماكانش ينفع أسيبك تروح مع اللى راح

-بس إنتى كل حياتى ..تفتكرى لو خرجتى منها إيه هيبقالى؟

-وإنت كنت كل أملى ومازلت ..لكن أعذرنى ..حبى ليك خلانى أتصرف كدة

فتناول يدها ثم أسكنها على خده قائلا..

-وحشتينى جدا

فانفرجت شفتيها لتظهر جمال إبتسامتها ثم قالت..

-وانت كمان

-كنت زى الطفل اللى تايه من أمه اليومين اللى فاتو دول..ماكنتش أعرف إنى بحبك أوى كدة

-يااه ..للدرجادى؟

-أكتر من كدة

-وماجتش على طول ليه؟

-قولت اسيبها يومين تريح أعصابها..أحسن عارفك ..كان ممكن أجيلك وتقوليلى للخلف در وكإنك ياابو ذيد ماا غازيت

فضحكت برقة ثم قالت.

-مش للدرجادى..مهما كان إحنا ولاد بلد ونعرف الأصول بردو

-الإحتياط واجب يااستو مهدا ..وأنا أصلا إبتديت أخاف منك

-ليه بس؟

-بقيت بخاف أزعلك أحسن تسبيني وتمشي..زى ماعملتى مع إنى مازعلتكيش

-لالالا ..المرادى صدقنى كان غصب عنى..زعلنى إنت كدة ومالكش دعوة

-أجمد قلبى يعنى؟

-أُكيد طبعا ..ثم انتفضت قائلة

-صحيح قولى إنت فطرت ولا لسه؟

-ومين كان يجيله نفس بس..

-الساعة ١٢ الضهر ولسه حضرتك لحد دلوقتىماافطرتش؟؟

-مااهو أنتى لو كنتى جنبى ماكانش حصل كدة

-طيب ..اقعد إتفرج عالتلفزيون شوية ..لحد مااحضرلك الغدا يا بيه..

ثم نهضت عن مقعدها وانحنت إليه لتضع سبابتها على شفتيه قائلة..

-مااتروحش لحتة...هخلص وأجيلك

لقد سمعت وهى فى المطبخ صوت التلفاز وهو مشغل على فيلم قديم ..يحاكى أبطاله فيه .. قصة فتاة صغيرة ..يرغمونها على الزواج من رجل لا تريده من أجل ماله وثراه ...ثم تستمع إلى الحوار الذى يدور بينهما

..فتغرق فى صوتهما ثم يتردد على مسامعها شيئا يمس ما مرت به يوما ..ثم عادت مرة أخرى لتتذكر...

-أيوة بس أنا مامعييش قسيمة الطلاق بتاعتى...إزاى هاتجوز

قالت ذلك مهدا بعد عرض إليها عبد الله أمر الزواج فأخبرته بأنها ليس لديها قسيمة الطلاق معرقلة مسألة زواجها منه والتى لابد من تواجدها أثناء كتب الكتاب ..فاقترح بأن تذهب إلى المحكمة لاستخراجها أو أن تذهب إلى المأذون أو العنوان الذى قيد به قسيمة الزواج..حيث يوضع دائما بقسيمة الزواج عنوان الزوجة الأصلى والذى بعد تسجيل المأذون لقسيمة الطلاق فى المحكمة..يقوم المأذون بإرسالها على يد محضر إلى عنوان الزوجة ...وبما أن مهدا لم يكن لديها عنوان ..فبالتأكيد تم إرسالها إلى عنوان الزوج ..لذلك لكى تحصل على القسيمة..كان أمامها حلان ..إما أن تستخرجها من المحكمة أو أن تعود إلى منزل زوجها السابق بهجت لأخذها منه ...وبالطبع ستفضل الذهاب إلى بهجت والإبتعاد عن المحاكم خشية أن يفضح أمر زيجاتها الغريبة ..جانبا إلى أمر هروبها من حفل زفافها الأول .. لقد كان من المستحيل أن تفكر باستخراج قسيمة الطلاق من المحكمة وما كان ذلك إلا خوفا وقلقا من مصير مبهم الملامح ومجهول.

-خلاص طالما مش عايزة تروحى المحكمة روحى لطليقك وهاتى منه قسيمة الطلاق

-إيه؟؟ أرجع هناك تااانى؟ لالالالالا

-وفيها إيه بس ..إنتى هتطلبى منهم حسنة

-أيوة..بس..

-مافيش بس..أنا يابنت الحلال..عايزك فى الحلال..يعنى ماطلبتش منك حاجة وحشة

كانت مهدا لا تريد أن تتزوجه ..لكن لم يكن أمامها حلا آخرا....لقد نفذ جميع مامعها من نقود ولم تستطع أن تجد حتى الآن أى عمل ليعينها على أمور المعيشة..إن الحلان الذى أمامها الآن هو العيش فى الشارع أو القبول بتلك الزيجة.

-طيب..هحاول أروح وأمرى لله..

إستسلمت مهدا لقرار الزواج منه فذهبت إلى منزل زوجها الرابع بهجت ولقد كان الخوف يعتصر قلبها ..خاصة بعد أن اتهمها بهجت بالخيانة وبأنها زوجة ساقطة ..لا تصلح أبدا لأن تعيش بداخل تلك البيوت المحترمة التى يتحدث عنها.

____

-إيه يامهدا...كل دة؟؟

هكذا صاح زوجها العاشر لتخرج عن ذكرياتها ثم تلتفت إليه لتقول..

-خلاص..خلصت اهه

إنتهت مهدا من تجهيز الطعام ثم قامت برصه فوق صينية التقديم لتحملها ثم تذهب بها لتضعها أمام زوجها العاشر الذى كان يجلس أعلى أريكة الصالة ثم جلست بجواره قائلة..

-إتفضل ياسيدى..الغدا جاهز

-طيب إيه وانا هاكل لوحدى؟

-امم...لسه فاطرة من ساعتين ومش جعانة

-خلاص مش هاكل

فاقتضمت قطعة من الدجاج المحمر بيديها ثم وضعتها بين شفتيه ليقتضمها من بين أناملها ثم يغمض عينيه مستمتعا ويقول...

-اممم...لذيذة جدا

فابتسمت بشقاوة يعرفها جيدا ثم أخذت تطعمه قطع الدجاج المحمر حتى انتهت جميعها ..فقال..

-بس أنا لسه جعان

فنهضت عن مقعدها بخفة ثم قالت..

-ياحبيبى...طيب إصبر هعملك غيرهم

فجذبها من ذراعها ليعيدها إليه قائلا..

-إنتى واضح إنك نسيتى أنا بشبع إزاى

فضحكت بصخب ثم احتوت عنقه بشقاوة نسائية ثم قالت..

-لا طبعا مانستش

****

الفصل الثالث والثلاثون

" الثمن"

ذهبت مهدا إلى منزل زوجها الرابع بهجت والخوف يعتصر قلبها خاصة بعد أن ألصق إليها تهمة الخيانة وطردها من منزله شرد طردة ..فلقد كانت كلما اقتربت إلى المنزل إشتد قلبها خوفا وقلقا ..حتى وصلت أخيرا أمام باب المنزل ..فترددت قليلا قبل ان تطرق الباب إلى أن تشجعت وأطرقت برفق..لترد سماسم قائلة...

-مين؟؟

لم تستطع أن ترد ..فماذا تقول..هل تقول أنا؟؟
أنا تلك الزوجة التى ألحقتم العار بها وطردتموها شر طردة بعد أنصاف الليل ؟

أنا تلك الزوجة المظلومة التى مرمطتم رأسها بالوحل وجعلتوها خائنة ..دون حتى دون أن تدافع عن نفسها؟

فبماذا كانت تجيب..كان هذا سؤالا يتفاقم برأسها أثناء ماكانت سماسم تسأل عن ماهية الطارق ..حتى إنتهت دون إجابة فقامت سماسم بفتح الباب

..لتقول بعد ثوان من التفكير..

-مين ..مهدا؟؟

كانت مهدا تفرك بيديها فى توتر وتمنت لو تشق الأرض وتبلعها قبل أن تبدأ سماسم بقصيدة نهرها وتوبيخها وقبل ان تطلق قيد كلماتها السامة ولكنها لم تفعل ..مما شجعها لتقول..

-أيوة..أنا مهدا

فشق ثغر سماسم إبتسامة حزينة وهى تنظر إلى مهدا حتى تحولت هذه الإبتسامة إلى دمعة كبيرة تجرى على خديها ثم قالت بوهن..

-يااااه ... ياماما انت كريم يارب

فسألتها مهدا باستغراب..

-فى إيه ياحاجة مالك؟

فقالت بصوت منكسر..

-كنت بدور عليكى كتيييير ..وبدعى ربنا كل أذان وكل فرض إنى ألاقيكى ... إتفضلى تعالى ادخلى

لا تزال مهدا تشعر بالإستغراب ..فهذه ليست سماسم التى كانت تعرفها .. هذه إمرأة أخرى تقنعت بشكل سماسم وهيئتها ... فلم يكن ذلك ماكانت تتوقعه مهدا ..إن ماكانت تتوقعه شيئا آخر يخالف تماما ماتراه وتسمعه نصب أعينها.

جلست مهدا على أحد المقاعد بعد أن قامت بالدخول ثم أتبعتها سماسم قائلة..

-للدرجادى يامهدا كنتى شايلة منى؟؟

فازداد إستغراب مهدا مما أثار فضولها لمعرفة السبب وراء ذلك الحزن الذى يختلط بنبرات صوتها وتلك الدموع التى تراها فى عينيها..فسألتها قائلة..

-شايلة منك فى إيه؟

-فى اللى عملته فيكى..معقولة كل دة كنتى بتدعى عليا؟

-هو فى إيه ياحاجة مالك؟؟ حد حصله حاجة؟

فقالت بصوت متألم..

-حد حصله حاجة؟؟ قولى مين ماالحصلوش حاجة

-قلقتينى ياحاجة فى إيه؟؟

-لالالالالا ..أنا مش هقول...أنا هوريكى

ثم أمسكت بيدها وسحبتها إلى الخارج وذهبت بها إلى مستشفى العباسية ثم دخلت إلى حديقة المستشفى وأشارت إليها ..إلى ذلك الذى يجلس وحيدا أعلى مقعد خشبى طويل..يتأمل سور المستشفى ..يبتسم ويضحك تارة ..ثم تغمض إبتسامته وتكشر ملامحه تارة

فاتجهت مهدا إليه لتكذب حدسها حتى وجدته بالفعل كما دلها إليه شعورها

..إنه بهجت!!

-هو إيه اللى حصله؟

سؤال ألقته مهدا إلى تهانى فأجابتها قائلة...

-إنتى السبب

-إيه؟؟ أنا؟

-أيوة..بعد ماطلقك إتدهورت حالته وبقى بيغمى عليه كل شوية..بقى لحالة صدمة عقله مش قادر يقبلها ..حتى الوقت اللى كان بيفوق فيه..كان بيقعد يكلم نفسه و يس جاله سكتة قلبية من حسرته على إبنه الوحيد اللى مااستحملش يشوفه وهو كدة..

ثم بكت قائلة..

-ماكانش قدامنا حل غير إننا نوديه مستشفى الأمراض العقلية فى العباسية ومن ساعتها وهو على هذا الحال..

لم يرق قلبها إليه أبدا..ولم تشفق على حاله هذه المرة..إن مافعله سابقا كان كافيا لأن تتعلم ألا تفعل ...حتى حينما رأت سماسم وهى فى هذه الحالة من الضعف و الإنكسار لم تشفق أيضا على حالها ..لقد تعودت على مسكنة هذه الحرباءة التى تتلون بمائة وجه..فربما يكون دموعها وأحزانها ومسكنتها هى مجرد وجها من وجوهها المائة..لم يكن يعنيها الأمر كثيرا..لذلك قررت الدخول عقب صلب الموضوع الذى عادت إليهما من أجله.

-على فكرة نسيت أقولك..أنا جاية هنا علشان محتاجة ورقة الطلاق بتاعتى..علشان هااتجوووز

فبرقت إليها بعينيها ثم قالت..

-إيه تتجوزى؟

-أيوة..إيه مش من حقى أتجوز؟

-لا طبعا من حقك ..بس أنا طمعانة فكرمك فى موضوع كدة

-إتفضلى

-عايزاكى تسامحينى

فزفرت بنفاذ صبر ثم قالت..

-خلاص سامحتك

-مش تعرفى على إيه؟؟

فقالت بعصبية..

-مش عاوزة أفتكر

-لا..إنتى أكيد تقصدى حاجة تانية غير اللى اقصدها

-مش قصدك على معاملتك الجميلة اللى كنتى بتعامليهالى زمان وكلامك اللى كنتى بتسمينى بيه فى الطالعة والنازلة؟

فأطرقت سماسم وجهها إلى الأرض بأسف ثم رفعت بصرها إليها لتقول..

-لاء

-أمال إيه؟

-أنا اللى أجرت واحد يخدرك وقولتله يعمل اللى عمله معاكى علشان بهجت ييجى ويشوفكم على سرير واحد ويحصل اللى انتى عارفاه

فبرقت إليها بعينيها ثم قالت بصدمة..

-إيه؟

فقالت بندم..

-سامحينى ياامهدا ..حقك عليا..صدقينى أنا دفعت التمن ومن ساعتها وأنا عايشة فى حزن وبكى..أرجوكى سامحينى

بماذا ينفع الكلام أو الإعتذار والمواساة .. هل تبحث الآن عن شئ مات؟ عن شئ إنكسر ومرمغت كرامته تحت الأقدام؟ بماذا ينفع الكلام؟

لم تبدى مهدا أى رد فعل تجاه سماسم لذلك قامت بالنظر إلى بهجت الذى كان لايزال محدقا بسور المستشفى ثم عادت لتنظر إلى تهانى ثم تقول بفتور ..

-عايزة ورقة طلاقى علشان أمشى

فأمسكت تهانى بيديها قائلة بترجى..

-أرجوكى ساعدينى..ماحدش هايعرف يطلع بهجت من الحالة دى غيرك

فتذكرت مهدا حينما كانت تساعد بهجت فى الخروج من محنته ثم تذكرت جميع مافعلته من أجله مرورا بما فعله هو ونتج عنه ....حتى تذكرت جسدها وهو

يرتجف فى تلك الليلة المشؤمة فى هذه الساعة المتأخرة من الليل وذلك الرجل صلاح الذى التقت به وصعدت معه إلى فيلاه لولا ستر الله.. ثم أخذت تتسائل لماذا هى من عليها أن تشفق وتعطف!
لماذا هى من عليها أن تضحى وتعفو وتصفح!
أم يصبح الصفح والعفو دائمًا من شيم البؤساء التعساء؟!

-طيب..ماشى .هساعده..بس بشرط..تجيبلى ورقة الطلاق..
-حاضر..بس أنا خايفة أول ماتاخديها تمشى
-لالالا ماتقلقيش..إنتى عارفة مهدا..لما تقول حاجة بتوفى..

-إموووة.. صاحية بدرى بتعملى إيه؟
قبلة فجائية تلقتها مهدا على خدها من قبل زوجها العاشر الذى إستيقظ توا ..فعادت مهدا من ذكرياتها إليه ..لتقول..
-مابعملش..سرحانة شوية
-وسرحانة فإيه بقى؟
فمررت أنفها بمداعبة لطيفة على أنفه ثم قالت..
-سرحانة فيك أكيد ياحبيبى
-والله..طب مااصحتينيش ليه أسرح معاكى
-ماحبتش أقلقك..

وفى تلك اللحظة رن جرس الباب ..فنهضت مهدا عن الفراش ثم غلفت نفسها بثيابا محتشمة ثم قامت بفتح الباب ..لتجد عامل البريد يخطرها باستلام بريد لها ..فقامت بالتوقيع لاستلامه ثم قامت بتفح الظرف لتجد بداخله ورقة مكتوبا بها..

من السيد فايز نصر الله المحامى الموكل عن

إبراهيم عبد الحفيظ هاشم

إلى السيدة مهدا عاطف السيد

أما بعد

الفصل الرابع والثلاثون

"الماضى يعد"

أما بعد..

برجاء زيارتى على العنوان أدناه لأمر هام جدا جدا..بخصوص السيد إبراهيم عبد الحفيظ هاشم..وشكرا..

فبرقت مهدا بعينيها حينما قرأت الرسالة ثم التفتت إلى زوجها العاشر لتقول..

-دا..داا..داا محامى إبراهيم

فاقترب إليها ثم قال..

-إبراهيم مين؟

-جوزى التانى

-اللى مات؟

-اة

-والمحامى بتاعه عايز منك إيه؟

-مااعرفش ..ماقالش فى الجواب

-وناوية على إيه؟

-مش عارفة..

ثم صمتت قليلا وقالت بخوف..

-أنا مش رايحة

-ليه بس؟

-مش عارفة..خايفة

-خايفة من إيه؟؟

-مش عارفة..أنا خدت صدمات بما فيه الكفاية وتعبت

فربت على كتفيها ثم قال بحنان..

-زى ماتحبى..بس عايزة نصيحتى..روحى وشوفى مش هاتخسرى حاجة ...واتطمنى أنا معاكى

فاابتسمت إبتسامة حزينة ثم قالت..

-طيب.. هفكر..هطلع أشم شوية هوا فى البلكونة شوية

إتجهت إلى الشرفة ثم نظرت إلى الشارع وهى تفكر بماضيها الذى يلاحقها إينما كانت وفى ذلك الوقت وقع بصرها على رجلا عجوزا مهتل الثياب ..مطلق اللحية ..يتمتم بكلمات غير مفهومة وكأنه يتحدث إلى نفسه ..مما ذكرها بزوجها الرابع بهجت ثم عادت لتتذكر...

-إتفضلى...ورقة الطلاق بتاعتك اهيه ..أنا عارفاكى بنت أصول وجدعة وهتحافظى على وعدك معايا

قالت ذلك سماسم ملتزمة بالعهد فنظرت مهدا إلى قسيمة الطلاق باانتصار ثم وضعتها بحقيبة يدها وجلست إلى جوار بهجت الذى كان عقله غائبا فى عالم آخر ثم قالت..

-لو سمحتى يااحاجة ...سبينى معاه شوية

-حاضر..أنا هدخل جوة أكلم الدكتور واعرف وصل معاه لحد فين..

ذهبت سماسم ثم بدأت مهدا لأن تتحدث إلى بهجت الهائم بالحائط ..فنهضت عن مقعدها لتقف أمامه حتى يستطيع رؤيتها ثم تقول..

-بهجت إنت مش فاكرنى؟

فأدار بصره إليها ..لكنه لم يرد فتابعت مهدا حديثها بنبرة قاسية..

-عارف يا بهجت ..أنا كنت مستعدة أفضل معاك وجنبك ..بس إنت اللى كنت غبى أوى ، وأول ماحيلك اشتد وبقى ليك صوت ..قسيت واتجبرت على الإنسانة الوحيدة اللى ماكانش همها كله إلا سعادتك وإنها تشوفك مبسوط... دلوقتى إنت محتاجلى تانى يابهجت ..شوفت الدنيا دوارة إزاى؟..بص أنا عارفة إنك مش مستوعب كلامى ولا دا الوقت المناسب ليه ..بس أنا حبيت أقولهولك علشان تعرف السبب فى إنى مارضتش أساعدك للمرة التانية..أيوة..مش هساعدك..

ثم أشارت إلى باب الخروج قائل...
شايف الباب اللى هناك دة؟..أنا هخرج منه كمان شوية ومش هرجع تانى..
ثم ضحكت بسخرية لتقول...
المشكلة إن أمك لسه فكرانى مهدا بتاعت زمان..البنت الجدعة اللى لما توعد لازم توفى ..لالالا صدقنى الوفاء مع ناس زيكم ..غلط وغلط جدا ..وأنا مش لازم أتكسر واتقهر مرتين علشان أتعلم ..كفاية مرة واحدة ..أصلا أنا مابقتش مهتمة خالص تتعالج ولالاء ..زى بالظبط ماكنت مش مهتم تسمعنى ..لما طردتنى من بيتك ..ثم غادرته واتجهت إلى باب الخروج..منتقمة لجميع آلالامها وأحزانها ..آخذة وجهتها تجاه الزوج السادس عبد الله..الذى تزوجته فور أن أحضرت قسيمة الطلاق وانتقلت للعيش معه بغرفته الممتازة التى تقع فى الدور العلوى لغرفتها.

-بقولك إيه يا أمورة
قال ذلك عبد الله فردت مهدا قائلة..

-نعم
-ماتقومى كدة ..تحضريلى الشيشة والولعة
-إيه؟
-زى ماسمعتى..إنتى اتدلعتى بما فيه الكفاية..مراتى لازم تكفينى من مجاميعه

-أيوة..بس مابعرفش

-لا لازم تتعلمى من هنا ورايح

لقد تغير تماما ليتحول فجأة من رجل لطيف وكريم وشهم إلى رجل ذو عادات سيئة ..ومزاج عقيم .. .. لقد أصبح جافا..غليظا..رجلا بعادات همجية ومقززة ..فقد يمسح بغطاء الطاولة فور أن ينتهى من طعامه وقد يأكل الطعام بكلتا يديه وكأنه بداخل سباق لأكثر رجل مقرف فى العالم ،وقد يشرب الماء بصوت عال كما تشرب البعير ...حتى حينما كان يستدعيها إلى الفراش ..كانت تحتقر أنفاسه كلما اقترب إليها وتتقزز منه نفسها ،ولكنها تحملت ...تحملت كل شئ فضلا من أن تسكن أرض الشارع ..إلى أن أتى يوما رن به جرس الباب ..فقامت مهدا بفتح الباب..لتجده محضرا من المحكمة يخطرها برفع دعوة نفقة من السيدة علياء السيد طليقة المدعو عبد الله حسانين..فااستلمت الدعوى ثم أعطتها إلى عبد الله فور أن عاد إلى المنزل.

-يااه..كل دة ومازهقتيش ؟؟

قال ذلك زوجها العاشر مقتحما الشرفة ..فعادت إليه لتقول..

-كنت محتاجة أشم هوا

-ماانا قولت أسيبك لوحدك شوية...ها شميتى ولا لسه؟

فاابتسمت قائلة..

-اة خلاص شميت

-طيب مش هندخل بقى؟

-ماشى

جلسا يشاهدان التلفاز ومن ثم تحدث زوجها العاشر قائلا وهو يضع يده على كتفيها..

-ينفع كدة..قطعتى شهر العسل بتاعنا؟

فمالت برأسها على صدره ثم قالت..

-لسه الأيام جاية كتير

-مبسوطة يامهدا؟

فرفعت بصرها إليه ثم قالت..

-جدا جدا ..بس..

-بس إيه

عادت مرة أخرى لتميل برأسها على صدره ثم قالت..

-خايفة لتروح منى

-هاروح منك فين بس

-مااعرفش..أنا أصلى دايما الحجات الى بحبها مكتوبلى تبعد عنى ..مابلحقش اتهنى

-ودلوقتى؟

-دلوقتى..أنا فأسعد أيام حياتى علشان كدة خايفة

فرفع وجهها إليه ثم قال..

-إتطمنى ياامهدا ..أنا مش هسيبك..وهاجى معاكى يستى للمحامى اللى بتقولى عليه دة ..علشان تتأكدى بس إنى دايما معاكى

فضمته إليها بحب ثم قالت..

-ربنا يخليك ليا

****

الفصل الخامس والثلاثون

"نهاية غير مؤلمة"

أشرق الصباح ثم اتجه كلا من مهدا وزوجها العاشر إلى العنوان الذى أشاد إليه المحامى بالورقة ومن ثم قام المحامى باستقبلاهما بمكتبه ليكون الحوار كالآتى..

-أعرفك بنفسى ياا مدام مهدا..أنا فايز نصر الله محامى السيد إبراهيم الله يرحمه ...فى الحقيقة هو كان المرحوم قبل وفاته بشهور قليلة ..كان جالى فى يوم وسابلى وصية إلى زوجته السيدة مهدا عاطف السيد وطبعا لحد ماوصلى خبر الوفاة وجيت علشان أعزى واعرفك بالوصية علشان نبدأ نتخذ الإجرائات اللازمة فى الموضوع..قالتلى الست تهانى جارتكم إنك سبتى البيت وعزلتى...فاستغربت إنك عزلتى بالسرعة دى ومع ذلك ميأستش وقعدت أدور عليكى لكن للأسف ماقدرتش أعثر ليكى على عنوان محدد..كل ما الاقى عنوان وابعتلك عليه يقولو عزلت..والعنوان الأخير الحمد لله لقيتك فيه..

-طيب وحضرتك كنت بتجيب عنوانى منين

-أكيد من قسايم الجوازات اللى حضرتك إتجوزتيها قبل كدة

فظهر الإرتباك على وجهها ثم نظرت إلى زوجها العاشر الذى أصابه أيضا بعض التوتر والقلق ..ثم قالت.

-مش فاهمة بردو حضرتك جبتهم إزاى

-ليا صديق ..شغال بالمحكمة فى قسم خاص بتوثيق الزواج وكنت مديله الإسم علشان كل مايعرف جديد يقولى..فكل مرة كان بيظهر إسمك عنده كان بيبلغنى وبيعرفنى العنوان وطبعا ماكانش بيظهر عنده بسهولة نظرا لتشابه الأسماء وتعدد وثائق الزواج المسجلة أمامه بيكون بعدها مثلا بكام شهر ..وكل ماوصل للعنوان وابعت عليه ..كان بيجيلى خبر إنك عزلتى لأسباب طلاق تقريبا .. لحد ماوصلت لعنوانك الأخير والحمد لله قدرت لقيتك

-طيب وإيه المطلوب منى أعمله دلوقتى؟

-لا هو مش مطلوب من حضرتك أى حاجة..أنا بعتلك بس علشان أسلمك وصية المرحوم

-وصية إيه؟

فتح فايز أحد الأظرف الكبيرة ثم أخرج ورقة مطوى بداخل الظرف ليقيم طيها ثم يعطيها إلى مهدا ومن ثم بدأت مهدا إلى أن تقرأ..

أقر أنا الموقع أدناه

إبراهيم عبد الحفيظ هاشم ..رقم البطاقة القومى..كذا..كذا.. وأنا بكامل قوايا العقلية ..أوصى بالتنازل عن جميع ممتلكاتى إلى زوجتى السيدة مهدا عاطف السيد فى حال وفاتى ،وعلى أن يتم تسجيل الوصية بالشهر العقارى طرف الاستاذ المحامى فايز نصر الله وتسليم الوصية لزوجتى مهدا عاطف السيد عقب الوفاة.

إنتهت مهدا من قراءة الوصية فرفعت بصرها إلى فايز ثم نظرت إليه باإستغراب مما جعله يقول..

-الوصية طبعا ماينفعش حد يتطلع عليها سوى الشخص الموصى والموصى له ..بس المرحوم إبراهيم أصر يخلينى أفتحها ويطلعنى عليها وفقا لرغباته وثقته فيا..وبالتالى موقف حضرتك قوى جدا فى الوصية فى إنه يتم تطبيقها بطريقة شرعية..لإن المرحوم إبراهيم وحدانى ومالوش حد قريب منه ..لذلك وصانى أرسالهالك فى حال الوفاة ..وفعلا مافاتش كام شهر إلا ووصلنى خبر الوفاة ..زى مايكون كان حاسس وفى حال حضرتك مش موافقة تستلمى الوصية...ليكى حرية التنازل عنها زى ماتحبى.

لا تعلم لما تشعر بالندم الآن إنه لم يكن يستحق..لم يكن يستحق أن ينعم فى هذه الحياة ولو يوم واحد ..إنه مجرم ..عديم الشرف والإنسانية ...لكن..لكنها لا تعلم أيضا لما تشعر بالندم الآن...هل لأنها شعرت بحبه الذى يسميه وفقا

لمفاهيمه وقوانينه الخاصة..أم أنها اشتركت فى جريمة وإنما ما كان ينبغى لها أبدا أن تشارك فيها ثم عادت لتقول..

إن من العدل للقاتل أن يقتل وهو لم يقتلها فقط..بل ذبحها وذبح شرفها وكرامتها ... فعل لها أشيائا جعلها تتعذب حتى الآن وتسببت لها بالكثير من الأضرار النفسية التى جعلتها تعيش فى الحياة بعقل شارد مسجون بداخل ماض ملعون .. لكن لما تندم الآن لقد انتقم له القدر حينما حرمها من كمال .. حبيب قلبها ...الذى ليس له أى ذنب فيما حدث ..لابد لها الآن أن تتحرر من العذاب ..من الألم.. إن حقها الآن أن تعيش..أن تستمتع ، وأن تحب ..فقط تحب وتعيش حياتها من جديد.

-هو ممتلكاته كلها فى حوالى قد إيه؟

فنظر فايز إلى أحد الأوراق ثم قال..

-هو إجمالية ممتلكاته ..عمارة كاملة متشطبة تتكون من ١٢ دور ومبلغ فى البنك بما يعادل ٢ مليون وحتة أرض فى كوم الشقافة تتكون من ٥ فدادين كردون مبانى

-طيب ممكن أسألك سؤال؟

-إتفضلى

-هو حضرتك تعرف إبراهيم كان بيشتغل إيه؟

فظهر الإرتباك على ملامحه ثم قال..

-أأأأ... أكيد طبعا..بس المرحوم إبراهيم ماكانش مدينى تفاصيل أوى

-كان قايلك إنه شغال فين؟؟

-كان قايلى.. فى ..فى..شركة مقاولات

-اة..يعنى هو كان شغال فى الشركة

-أيوة تقريبا

-طيب وحضرتك يعنى تفتكر إن أجره فى الشركة ممكن يجبله الفلوس دى كلها؟

ففهم فايز ماتحاول مهدا الوصول إليه فنهض عن معقعده بغضب ثم قال بحدة..

-والله يامدام مهدا أنا مش شغلى خالص أحقق مع الزباين وأسألهم يتجيبو فلوسكم منين ..أنا شغلى المكلف بيه بعمله تحت طائلة القانون..
جايز المرحوم إبراهيم كان له مصدر رزق تانى وماقاليش عليه هو دايما كان غامض وماحدش يعرف عنه حاجة..حياة الزباين اللى بيجولى دى أسرار ومش لازم خالص يعرفونى بيها كلها ولا من حقى أسأل إلا فى حدود شغلى وبس

هنالك شكت مهدا .. بأنه من كان يتولى حماية أعمال إبراهيم المحرمة والغير قانونية حيث يعد إبراهيم من هذا النوع الغامض الصعب من أن يحوز أحدهم على ثقته ..وإن وثق بشخص مثل فايز فحتما لأن هناك بينهما رابطا قويا تتعلق بالأعمال المحرمة والغير مشروعة

أخرجها زوجها العاشر عن شرودها قائلا..

-هاتعملى إيه ياامهدا؟

..فنظرت إليه ثم قالت بفتور..

-هااستلم الوصية..

ثم التفتت إلى فايز لتقول..

-كمل إجرائاتك ياأستاذ فايز..

-أنا لحد دلوقتى مش فاهم..ناوية على إيه يامهدا؟

قال ذلك زوجها العاشر وهو يقود السيارة متجها إلى المنزل..فردت بشرود..

-لسه بفكر..

ثم نظرت إلى الخارج عبر نافذة السيارة وأسندت ظهرها على مسند المقعد ثم أخذت تتذكر..

-تعالى...إدخلى يا عليا..

قال ذلك عبد الله فور دخوله من باب الشقة فنظرت إليه مهدا وإلى تلك التى يحمل حقيبتها ثم يدعوها إلى الدخول ...إلى أن قاطعت علياء نظراتها قائلة..

-هى البنت دى لسه هنا؟؟ إنت مش قولت هتطلقها؟

فربت عبد الله على كتفيها ثم قال..

-بالراحة ياعلياء مش أصول بردو..

فنزعت يده عن كتفيها ثم قالت بإصرار..

-هاتطلقها ياعبد الله ولا أرجع تانى لأهلى؟؟

-أيوة بس..إصبرى حتى شوية..دا انا لسه متجوزها من شهرين

فصرخت قائلة..

-وعلى إيه..خليهالك ياحبيبى..أنا راجعة عند أهلى وورقتى توصلنى لحد عندى وماتنساش ..النفقة والمؤخر ..دانا هخرب بيتك

ثم همت بالخروج وبيديها طفليها فجذبها عبد الله من ذراعها قائلا..

-لالالالا وعلى إيه..

ثم التفت إلى مهدا ليقول..

-مهدا..إنتى طالق

فتدخلت علياء قائلة..

-بالتلاتة ياحنين

فتابع عبد الله مجبورا..

-طالق..طالق

الفصل السادس والثلاثون

"الحرام بمفهومه الآخر"

لم تصدم..لم تفاجئ..إن ما يشغل بالها الآن هو ذلك الشارع الذى ستعود إليه بعد أن طلقها زوجها السادس عبد الله..ففوضت أمرها إلى الله

-إتفضل يلا خرجها ...أنا مش هقعد دقيقة واحدة والبنت دى موجودة هنا

قالت ذلك علياء بصوت مرتفع مما سمعه كل سكان الفندق ومن ثم ذهبت مهدا لتلملم ثيابها وهى تمتم قائلة

"رضينا بالهم والهم مش راضى بينا"

ثم خرجت حائرة ...لا تعلم إلى أين تذهب ففكرت فى أن تذهب إلى سماسم وتعاود كرة العيش معها برغم كل مافعلته بها ..لكن خاطرها بالها قائلا ..أن عودتها إلى تهانى هو يعنى عودتها إلى الإهانة والذل والعذاب ..فهذه الحربائة لن ترحمها أبدا خاصة بعد أن نقضت معاهعهدها..فسيحدث أن تستخدمها لعلاج وليدها وسيحدث أن تستغل حاجتها إليها وسيحدث أن تعود كما كانت من قبل..لالالا ..لن تفكر بالعودة إليها أبدا

،وأثناء ذلك وقبل خروجها من الفندق لحقها رجلا عجوزا يناهز الستون

عاما..كان من ضمن أؤلئك السكان الذين خرجوا على صوت علياء وسمع كل ماكان يدور بينهما .. ثم قال لها..

-ناوية تروحى على فين ياابنتى..إنتى ليكى حد تروحيله؟

-للأسف لاء

-طيب ماحاولتيش تدورى على شغل مثلا تقدرى تعيشى بيه؟

-والله دورت كتير فى الفترة الأخيرة دى ..بس للأسف مالقتش..لحد ماتجوزت عبد الله

-لا حول ولا قوة إلا بالله . زى ماتوقعت بالظبط..أنا فى راجل حبيبى معرفة ..طالب واحدة بنت حلال ..أمينة توقف معاه فى المحل ..لإن زى ماانتى عارفة السن له أحكام ...هو محل ملابس وهو راجل طيب وأمير..لو وافقتى أكلمه عليكى

إنجلى شعور اليأس والإحباط لدى مهدا ليعود الأمل فيها من جديد لتقول بلهفة..

-ياااريت..بتتكلم جد ياا حاج؟؟

-أيوة يابنتى ..يعنى هضحك عليكى؟

ثم تذكرت بأنها لم يعد لديها الآن أى مكان ليأويها ..فانجلت الفرحة مرة أخرى لتعود إلى إحباطها قائلة..

-أيوة ..بس انا هسكن فين دلوقت..أنا ماعنديش مكان أنام فيه

فكر الرجل العجوز قليلا ثم قال مقترحا..

-خلاص يا بنتى..تقدرى تقعدى فى الغرفة بتاعتى لحد ما ربنا يرزقك وانا فى الفترة دى هروح أبات عند إبنى منصور

-لالالالا ..ماينفعش أخد الغرفة بتاعتك ياحاج ..مش كفاية إنك هتساعدنى فى إنى ألاقى شغل..كمان هاخد أوضتك ..لالا كدة كتبير

-مش كتير ولا حاجة...أنا إبنى منصور ليه فترة بيتحايل عليه أقعد عنده يومين ..أهو اضرب عصفورين بحجر ..منها أقعد معاه يومين ومنها تقعدى فى الغرفة لحد ماربنا يكرمك

تاهت الكلمات من على شفتيها إمتنانا وعرفانا إلى ذلك الرجل العجوز فقالت والفرحة تطل من عينيها..

-أنا مش عارفة أقولك إيه

فأمسك بذقنها ثم قال مبتسما...

-أنا إبنى منصور تقريبا أكبر منك ..ولو كان ليا بنت كانت زمانها قدك .. وشرف ليا يكون ليا بنت زيك

رفرف قلبها ..بعد أن ضاع الأمل فيها وعادت الحياة من جديد إلى أن تنبض بين عينيها ..فشكرت الله وحمدته على سعة رحمته ..التى كلما إنغلق فى وجهها بابا فتح لها باب رزق آخر ..ومن ثم قامت بالفعل باستلام العمل ونظرا لخبرتها السابقة فى هذا المجال..إستطاعت بكل سهولة إثبات جدارتها ،وتوافد

العديد من الزبائن إليها...نظرا للباقتها وكلماتها الرطبة ووجهها البشوش وبالفعل إستطاعت فى فترة وجيزة تدبير أجر غرفتها حتى عادت إليها مرة أخرى...وبالطبع لقد حازت على إعجاب صاحب المحل ..من إجتهادها وتفانيها فى العمل..فقام بزيادة أجرها ..مما شجعها كثيرا على أن تبذل قصارى جهدها.

حتى أتى يوما كان يزدحم فيه الزبائن بالمحل وكانت الفوضى تعم فيه من جميع الجهات ..إلا أن مهدا استطاعت بصعوبة إحتواء طلبات الزبائن ..التى كانت تتوافد إليها..وفى هذه الأثناء ..دخل إليها شابا فى أواخر الثلاثين ..يظهر عليه الكثير من الأناقة من ذلك القميص الأبيض الذى يعتمره وبنطاله الجينز ونظارته التى من الواضح بأنها باهظة الثمن ..ومن ثم تحدثت إليه مهدا فور أن رأته قائلة..

-حضرتك تؤمر بحاجة؟؟

توقفت السيارة ..لتكتشف مهدا بأنهم قد وصلا إلى المنزل ..فنزلت عن السيارة ثم تركت الذكريات لتلهث بعيدا ثم إتجهت إلى الشقة.

أدار زوجها العاشر المفتاح بالباب ثم قاما كلاهما بالدخول إلى الشقة..

-ممكن تفهمينى بتفكرى فى إيه؟

-هفكر فى إيه يعنى؟

-إنتى أكيد عارفة إن الفلوس دى فلوس حرام صح ؟

نهضت مهدا عن مقعدها وهى تتجه صوب المطبخ قائلة

-أيوة عارفة

فلحقها زوجها العاشر قائلا..

-إزاى يامهدا ؟ ؟

نظرت إليه نظرة باردة وكأنها فهمت ما يقصده ومايرمى إليه ثم قالت..

-زى الناس ياحبيبى

فنظر إليها بااستغراب وكأنه لأول مرة يعرفها ثم قال

-هاتقبلى فلوس حرام يامهدا ؟

فقالت بلا مبالاة

-وانا مالى ؟

-إنتى مالك ؟

-وانا مالى حرام ولا مش حرام..هو اللى هياخد ذنبها مش انا

-إزاى يامهدا...الكلام دة لو إنتى مش عارفة إنها حرام ..إنما انتى عارفة ومش شاكة..دا انتى متأكدة كمان

إنتهت من إعداد القهوة فوضعت الفناجين فوق صينية التقديم ثم حملتها وذهبت بها إلى الصالة وهى تقول..

-لا مش متأكدة ..ممكن يكون جبها عن طريق شغل تانى غير اللى كان

بيشتغله

ثم جلست ومدت يدها لترفع أحد الفناجين إلى فمها ثم ترتشف منه رشفة ثم تقول..

-ماتركزش ياحبيبى..الفلوس دى هنقدر نوقف بيها على رجلينا ونعمل بيها مشاريع هايلة والبركة فيك بقى

جلس زوجها العاشر إلى جوارها وهو ينظر إليها بعدم تصديق لما تقول ثم قال..

-مهدا..إنتى بتضحكى على مين؟؟

فاابتسمت إليه بثقة ثم قالت.

-أنا عايزة اعرف إنت إيه مشكلتك؟؟

فنهض عن مقعده غاضبا ثم قال بإحباط..

-أبدا ولا حاجة..

ثم أشار إليها بسبباته ليرتفع صوته قائلا..

-بس خدى بالك..الفلوس دى هتكون محرمة عليا ليوم الدين..ومش هقبل تحت أى سبب إنها تدخل بيتى ..دا لو حبيتى نكمل مع بعض..أنا مش هاغصب عليكى لحاجة ..بس مش هسمح لمليم منهم إنه يدخل بيتى ولا هاسمحلك تجيبى منهم أى حاجة للبيت..مش انا اللى اقبل على نفسى فلوس

حرام ياهانم ..أنا نازل أتمشى شوية واشم هوا..أحسن الهوا هنا أصبح دمه تقيل وسخيف..

ثم خرج وقصف الباب خلفه ..لتسرح مرة أخرى قليلا ..ثم تذهب إلى الذكريات....

-أيوة حضرتك تؤمرنى بحاجة؟

فنظر إليها نظرة شمولية ثم قال..

-إنتى إشتغلتى هنا من إمتى؟

-بقالى تلت شهور اهه...حضرتك بتسأل ليه؟

فجال ببصره داخل ساحة المحل ..مما لفت نظره كثرة الزبائن ثم عاد إليها ليسألها..

-هو الحاج فتحى فين؟؟

-راح يصلى العصر..حضرتك محتاج حاجة؟

فصرخ فى وجهها قائلا..

-محتاج حاجة ..محتاج حاجة..إيه هو تحقيق؟؟

فخرجت عن طور هدوئها لتقول بعصبية..

-إنت مين إدالك حق تزعقلى بالطريقة دى؟

-بس بس ياشاطرة..لما ييجى الحاج فتحى إبقى قوليله أحمد جه هنا وسألك عليك

وفى تلك اللحظة لمحت مهدا الحاج فتحى صاحب المحل وهو يقدم إليها من بعيد ..فأشارت إليه قائلة بغضب..

-اهو الحاج فتحى جه اهه..تقدر تقوله بنفسك

فانتظر أحمد حتى اقترب إليه ثم قال..

-مين البتاعة اللى إنت جايبها هنا دى ياحاج ؟

فجرت الدماء فى عروقها واشتعل الغضب بها ..ثم قالت

-تصدق إنك راجل قليل الأدب ومش محترم؟

____

عاد زوجها العاشر إلى المنزل ..فتخبره مهدا التى تنبهت إليه فور دخوله..

-إن شاء الله هنروح مع المحامى بكرا للشهر العقارى علشان نسجل الوصية وامضى بالإستلام

فتلاشها ثم ذهب إلى الفراش غائطا فى نوم عميق إلى أن أتى الصباح..لتقوم بإيقاظه وليذهب معها دون نقاش أو جدال ..إلى أن وصلا إلى الشهر العقارى والتقوا بفايز لتتم إجرائات التسجيل اللازمة ..إلى أن انتهوا منها حتى نهضت مهدا وزوجها العاشر للمغادرة ..إلى أنا أوشكا على الركوب بالسيارة فأوقفهما فايز متسائلا...

-صحيح ياامدام مهدا..كنت عايز أسألك سؤال

تفتكرى حادثة الوفاة اللى حصلت لإبراهيم دى ممكن يكون مين اللى وراها ..وهل هى حادثة طبيعية فى نظرك؟؟

فنظرت إليه كالمصدومة أو الملدوغة بحية والتى أحست بأن وراء هذا السؤال شئ سئ..ثم تلاقت أعينهما فى صمت مبهم وكلا منهما يحاول إكتشاف ماوراء نظرات الآخر ..إلى أن

****

الفصل السابع والثلاثون

"الحقيقة العاهرة"

ثم تلاقت أعينهما فى صمت مبهم وكلا منهما يحاول إكتشاف ماوراء نظرات الآخر..إلى أن تفوهت مهدا لتقول بخبث..

-أكيد الحادثة مش طبيعية طبعا

ثم اقتربت إليه لتقول ناظرة فى عينيه بتحدى..

-تفتكر مين اللى ورا الحادثة دى؟؟

فرمقها هو الآخر بنظرات غامضة وسكن قليلا ثم قال

-الحادث اتقيد ضد مجهول..بس سألتك يمكن تكونى شاكة فى حد ولا حاجة

-أنا لو كنت شاكة فى حد كنت قولت للنيابة لما استجوبتنى..أكيد هما سألونى نفس السؤال بتاع حضرتك

-تمام

ثم غير مجرى الحديث ليقول

-ياريت حضرتك تبقى تشرفينى بكرا فى المكتب علشان نطلع على المحكمة و نخلص الأوراق اللازمة

فاابتسمت إبتسامة صفراء ثم قالت..

-ماشى..سلام

وعادت لتركب السيارة ثم ينطلق بها زوجها العاشر إلى شقتها دون أن يتحدث كلا منهما إلى الآخر وأثناء ذلك أرسل فايز إلى مهدا رسالة نصية مضمونها..

"إبقى تعالى بكرا لوحدك علشان عايزك فى موضوع مهم بعيد عن جوزك" فدق قلبها بالخوف وأخذت تفكر عن ذلك الأمر المهم الذى يريد فايز التحدث إليها فيه متمنية الله أن يكون هذا الأمر بعيد تماما عن حادثة قتل إبراهيم ..ثم قامت بمسح الرسالة.

وصلا إلى المنزل وبدل كلا منهما ثيابه ثم دلفت مهدا إلى المطبخ لتجهيز الغذاء ..إلى أن انتهت من تجهيزه وقدمته على الطاولة ليأتى زوجها العاشر ثم يجلس سارحا بداخل طبق الأرز الذى يعبث فيه بالمعلقة فأثار ذلك انتباه مهدا مما جعلها تسأله..

-مالك ياحبيبى؟

رفع بصره عن الطبق لينظر إليها ثم يقول بصدد..

-مافيش

-يعنى إيه مافيش...حساك متغير كدة من يوم موضوع الورث دة

فرفع كلتا حاجبيه ثم قال بسخرية..

-بجد؟؟ لسه واخدة بالك؟؟ كويس والله

-مالك ياحبيبى بس قولى فى إيه

فرمى المعلقة لترتطم بالطبق ثم قال..

-مافيش..

ثم نهض عن مقعده متجها إلى الفراش قائلا..

-ماليش نفس..هادخل أنام شوية

شعرت مهدا فى ذلك الوقت..ببعض من وخزات الضمير فنهضت هى الأخرى ثم ذهبت إليه ..لتجده مستلقيا على ظهره مبحلقا بسقف الغرفة ..فاستندت على زاوية الباب ثم قالت..

-مش عاجبنى خالص النهاردة

فمال على جنبه موليا إليها ظهره ثم قال..

-مش مهم..سبينى أنام

فجلست إلى جانبه على الفراش ثم استلقت واحتضنته من الخلف قائلة..

-مش مهم إزاى بس؟

فأبعد يديها عنه ثم قال..

-لو سمحتى سبينى أنام

فعادت لتحتضنه مرة أخرى ثم تقول..

-لاء مش هاسيبك إلا لما تقولى مالك

فأدار عنقه إليها ثم قال...

-بقى مش عارفة؟

فتنهدت بنفاذ صبر ثم قالت..

-موضوع الورث؟

-إنتى شايفة إيه؟

فابتسمت قائلة..

-شايفاك أعظم راجل فى الدنيا

فرفع أحد الوسادات الصغيرة ثم وضعها على رأسه قائلا..

-أهو دة اللى باخده منك...سبينى أنام ياامهدا الله يباركلك

فنزعت الوسادة عن رأسه ثم قالت..

-قوم بقى بطل رخامة عايزة أتكلم معاك

فااعتدل عن استلقائه ليجلس على الفراش قائلا..

-اهه ...إتفضلى إتكلمى

فمالت برأسها على صدره لتستمد منه بعض الحنان والدفئ ثم لتقول...

-مش عايزاك تزعل منى

-مانا خلاص مش زعلان

فرفعت رأسها إليه لتقول..

-كدااااب...طب عينى فعينك كدة

-ياامهدا أنا عايز أحافظ عليكى...ومش عاجبنى خالص تصرفك الأخير دة...هو انا قصرت معاكى لحاجة؟

-لاء طبعا

-أمال ليه مصممة عاللى فى دماغك دة ولا علشان الورث كبير؟

فضحكت قائلة..

-فعلا الورث مغرى

فعاد ليولى إليها ظهره ويرفع وساته ليضعها على رأسه قائلا بغيظ..

-إمشى ياامهدا وسبينى أنام

فرفعت الوسادة مرة أخرى عن رأسه ثم قالت باستسلام..

-خلاص خلاص أنا أسفة ..قوم بقى وبطل رخامة

فاعتدل إليها ثانيا ثم قال بتأفف..

-نعم

-نعم إيه؟؟ أنا عاوزة أعرف إيه مشكلتك؟

-طيب هاقولك تانى

ثم صاح قائلا..

-أنا مش راضى على حكاية الورث دى وزعلان جدا

-ليه بس؟؟

-إنتى إزاى هاتقبلى فلوس جاية من الحرام ياامهدا؟

-ومين قالك إنى هاقبلهم!!

____

إستيقظت مهدا صباح اليوم التالى فى العاشرة صباحا ومن ثم نهضت نشيطة تاركة زوجها العاشر وهو يغط فى نوم عميق ثم بدلت ثيابها بكل نعومة وخفة ومشت على أطراف قدميها حتى لا يستيقظ زوجها ثم خرجت آخذة طريقها إلى مكتب المحامى فايز..

-أهلا أهلا يامدام مهدا ..أخبار حضرتك إيه؟

-الحمد لله تمام..إذيك إنت

-الحمد لله

ثم أشار إليها بالجلوس قائلا..

-إتفضلى

-خير يااستاذ فايز ..كنت طالب أجيلك لوحدى ليه..وإيه الموضوع المهم اللى عايزنى فيه

نهض فايز عن مقعده ليجلس أمامها ثم يقول...

-إن شاء الله كل خير..

ثم أسند ظهره على المقعد متابعا...

-أو شر..فى الحقيقة ذكائك هو اللى هيحدد دة

نظرت إليه مهدا بااستفهام ثم قالت..

-مش فاهمة

فتنهد قائلا..

-أفهمك

(flash back)

-إلحقنى يا فايز أنا بموووت ..مصارينى بتتقطع..اااة

قال ذلك إبراهيم بعد ما تركته مهدا بحقيبة السيارة وهى مفتوحة ..وبعدما أفاق من إغمائه حتى أصبح يزحف إلى الأرض ثم أخرج من جيب بنطاله هاتفه الذى نسته كلا من تهانى ومهدا ثم قام بصعوبة بالإتصال على فايز ..فرد إليه قائلا..

-مالك ياابراهيم فى إيه؟

-مهدا وتهانى ياافايز حطولى السم فى الأُكل...اااة الحقنى

-إنت فين؟

نظر إبراهيم الملقى على وجهه إلى المكان الذى أمامه فوجده طريقا ممتدا لا يتضح إليه إلى أين يذهب ثم نظر خلفه ليجد منزلا مهجورا عرف منه هاوية الطريق فوصف الطريق إلى فايز للذهاب إليه ومن ثم بدأ فايز إلى أن يتجه نحو إبراهيم بالسبارة ..إلى أن فلح فى إيجاد مكانه الذى ميزه فور أن رأى سيارته ومن ثم أخذ يعدو خطواته نحو إبراهيم الملقى على وجهه ..ليجده يعد أنفاسه بصعوبة بالغة .. فجلس القرفصاء بجانبه ثم تحدث إليه قائلا..

-إذيك ياابراهيم

رفع إبراهيم وجهه المنغمس فى الأرض فور أن سمع صوته وقال له بأعين زائغه

-إل..إلحقنى ياا فايز..مووو مهدا ووونهانى غدرو بيا ووسمونى

فقال بفتور..

-معقولة؟؟ طاب تهانى ماشى ممكن اصدق ..إنما مهدا الملاك الى كنت بتحكيلى عليها تعمل كدة؟؟

-مش ..مش وقته ..ودينى المستشفى..هموووت

نهض فايز عن قرفصائه ثم رمق إبراهيم بنظرات فاترة ثم قال..

-الموت مش وحش ياابراهيم زى مانت فاهم

فرفع بصره إليه وهو فى حالة يرثى ثم قال بصوت متحشرج

-إل..إلحقنىياافايز ..بطنى بتتقطع

أخرج فايز من جيبه أحد الأكياس البلاستيكية ثم عاد إلى القرفصاء ثانيا وقال ناظرا فى عينيه..

-مع السلامة يابراهيم..هاتوحشنى

ثم وضع رأسه بداخل الكيس وأحتبس أنفاسه بداخلها حتى خرجت الروح إلى بارئها.

وبس رجعته تانى لشنطة العربية ولفيته وخدت التليفون بتاعه اللى لو سبته كنتو رحتو فى ستين داهية إنتى وتهانى..

كانت مهدا فى حالة صدمة مما قاله فايز..لقد شعرت بالإختناق ..بالخوف..الذى كانت تسعى دائما إلى الهروب منه ، ولكن إلى أين.. إن الماضى يعود يامهدا..الماضى يعود

-رحتى فين؟؟

قال ذلك فايز ..فابتلعت ريقها ثم قالت على مضض.

-ماروحتش

-أمال مال وشك إتغير كدة ليه؟

لم تكن تجد ماتقوله وإنما شعرت بذلك الوقت بمعاناة الفأر الذى وقع بالمصيدة ..

-أبدا ولا حاجة..اللى بتقوله دة أصلا كدب

لقد حاولت..حاولت أن تنفى كل ماقاله..وأن تتماسك أمام إتهاماته ..لكنه لم يعطى لها فرصة لذلك .. حيث إستدار إلى المكتب وأخرج هاتف إبراهيم ثم عاد إليها وقام بتشغيل تسجيل المحادثة التى تمت بينه وبين إبراهيم وهو يعترف بقاتليه ومن هنا قررت الإستسلام للحقيقة..

-وإيه رأيك بقى بعد التسجيل دة؟؟

دب الرعب فى قلبها ..مما أظهر ضعفها وبدأت ملامحها فى الإنكماش ..إلى أن أردف قائلا..

-على فكرة..أنا بسمعك التسجيل مش علشان اخوفك.إنتى ببساطة ممكن تنهى كل دة

فرفعت بصرها إليه ثم قالت بترجى..

-إزاى؟

-فيفتى فيفتى

-إيه؟؟

نهض فايز عن مقعده واستدار ليعود بالجلوس على مكتبه ثم قال...

-ليا النص

-النص فى إيه

-فى الورث يامدام

-بس..بس كدة كتير

-على فكرة من غيرى كنتو زمانكم دلوقتى فى حديد...بسبب التليفون اللى نسيتوه فى جيبه ..إبراهيم عنده برنامج بيسجل فيه كل المكالمات اللى بتحصل على التليفون ..والتسجيل دة يقدر يوديكم فى ستين داهية ...دا غير إن إبراهيم ماكانش مات أصلا

-صحيح..وانت ليه ما أنقذتش إبراهيم خصوصا إنك المحامى بتاعه وبيثق فيك زى مابتقول

-لسبب بسيط جدا

-إيه هو؟؟

-إنه لو مات هيكون أفضلى بكتير من وهو عايش

-إزاى ؟

-بعد مابلغنى فى التلفون اللى حصل ...قعدت أفكر وانا سايق فى الوصية اللى كان كاتبها ..وقعدت احسبها وادورها فى دماغى..لقيت إنى ممكن استغل النقطة دى لصالحى..إبراهيم يموت وانتى تورثى وانا أخد النص ... شوفتى الموضوع بسيط إزاى ؟؟

-طيب وبعد ماديلك النص...التسجيل دة هاتمسحه ؟؟

-أيوة طبعا

رن هاتفها لتجده زوجها العاشر فتجيب قائلة.

-ألووو..

ليرد زوجها على الطرف الآخر قائلا..

-ألووو؟؟ والله؟؟إنتى فين

فقالت بنبرة مستسلمة ويائسة

-أنا عند الأستاذ فايز المحامى

-وإنتى إزاى تمشى من غير ماتقوليلى

-ماحبتش أزعجك

-تزعجينى؟؟ طيب أما ترجعى.. ليا معاكى كلام تانى ..سلام ياهانم..

ثم نهضت عن مقعدها ..لتعتذر إلى فايز قائلة..

-معلش أنا همشى دلوقتى ..أحسن جوزى صحى وزعلان جدا ولازم أكون فى البيت حالا

-طيب وهاتردى عليا إمتى

-إن شاء الله فى أقرب وقت ..عن إذنك

ثم ذهبت واستقلت أحد السيارات الأجرة آخذة طريقها إلى المنزل ..حتى وصلت إليه وفتحت بالباب لتجد زوجها العاشر والغضب يتطاير من عيناه ومن ثم إقترب إليها ثم صفعها صفعة قوية على وجهها جعلتها تسقط على الأرض وتتناثر الدماء من أنفها ثم.

****

الفصل الثامن والثلاثون

"للقدر وجهة نظر"

فجرت الدماء فى عروقها وغلى الغضب بها ..حتى قالت

-تصدق إنك راجل قليل الأدب ومش محترم؟

فتدخل الحاج فتحى قائلا بحزم..

-إنت زودتها أوى يااحمد عيب كدة

ثم اتجه إلى مهدا قائلا..

-دا .. أحمد إبنى يامهدا ..حقك عليا هو بس علشان مش عارفك

فرد أحمد قائلا..

-إنت لسه هاتفهمها ..دى شتمتنى!!

-تستاهل..إنت اللى طولت لسانك من الأول

-يعنى خلاص..مابقاش ليا أى قيمة عندك كدة؟

فتدخلت مهدا قائلة..

-ياحاج فتحى أنا مايرضنيش تتخانق مع إبنك وفنفس الوقت مايرضنيش

الغلط اللى الأستاذ عمال يغلطه فيا من الصبح دة..عن إذنك أنا همشى
فاستوقفها الحاج فتحى قائلا..
-لا يا مهدا مش إنتى اللى هتمشى..هو اللى هيمشى..
ثم نظر إليه وأشار إلى الباب قائلا..
-إتفضل يالا روح شوف مصالحك وتانى مرة لما تتكلم مع الناس وخصوصا حد تبعى ..تتكلم بااحترام علشان الناس تحترمك
فنظر إليه والغيظ يكتظ بأحداقه ثم قال..
-ماشى..شكرا ياحاج
فقالت مهدا بعد أن ذهب
-أنا متأسفة جدا ياحاج..ماكنتش حابة إن كل دة يحصل بسببى
-لالالا إنتى مالكيش أى ذنب يابنتى..أى بنت حرة كان هيبقى رد فعلها زيك تمام..المشكلة فى إبنى أنا عارفه..هو دايما كدة أسلوبه وحش مع أى حد مش معاكى بس وبيتعامل مع الناس وكإنهم شغالين عنده..وبيتدخل فى اللى ليه واللى مش ليه
-طيب معلش سؤال .. هو ليه مابيشتغلش مكانك هنا فى المحل
فضحك ضحكة ساخرة ثم قال..
-بيستعر من وقفته فى المحل ويبقولى أنا على أخر الزمن أكون بيااااع وياريته فالح..دا بقاله تمن سنين فى الجامعة مش عارف يتخرج وملموم على شلة

فاشلة وكل شوية عايز فلوس...وتلاقيه كان جاى علشان عايز فلوس مع إنه مابيهوبش ناحية المحل خالص بس للظروف أحكام بقى

-فعلا أنا بقالى هنا تلت شهور ماشوفتوش فيها ولا مرة

فتابع الحاج فتحى قائلا..

-غير إنى بديله مصروفه كل شهر بس تقولى إيه بقى جيل محبب..

-لالا إسمحلى ياحاج حضرتك مدلعه خالص..واحد غيره كان زمانه بيشتغل دلوقتى وفاتح بيت ومتجووز

-بعد المرحومة أمه ما ماتت بقيت أنا ليه أب وأم وماكنتش بحب أزعله أبدا ولا كنت بخليه يوقف فى المحل ويشتغل علشان يركز فى دراسته لحد ماكبر وماكنتش أعرف إن دلعى فيه هيوصله للدرجة دى ..بس يالا الحمد لله مصيره يعقل

-ربنا يهديهولك يارب

مر أسبوعان ليعود أحمد مرة أخرى ليمر على المحل ثم يجد مهدا وهى تتحدث مع أحد الزبائن فأتى إليها ثم قال متسائلا..

-هو الحاج فتحى فين؟

فرمقته بنظرة لا مبالية ثم أجابته..

-راح مشوار تبع الشغل

ثم تابعت حديثها مع أحد الزبائن قائلة..

-على فكرة البلوزة دى هاتليق عليكى أوى

ثم أعطتها إليها لتقول..

-إتفضلى ادخلى قيسيها

فااستدرج مرة أخرى الحديث معها ليقول..

-على فكرة أنا أسف على آخر مرة

فردت بفتور..

-حصل خير..

-بجد؟؟ يعنى صافية لبن؟

-عادى يعنى حضرتك الموضوع مش كبير

-لالا شكلك لسه زعلانة منى

فسكتت قليلا ثم قالت..

-هو انا ممكن أسألك سؤال؟

-إتفضلى..

-إنت ليه جاى تعتذر دلوقتى ..مع إن الموضوع دة فات بقاله أكتر من أسبوعين

-ماكانش عندى وقت أعدى عالمحل ..خصوصا إن الفترة دى فترة إمتحانات ودا مايمنعش إنى كنت عايزة أجيلك من زمان وإسألى الحاج ..قولتله يوصلك الكلام دة..بس هو قالى أجيلك أعتذرلك بنفسى..شكل الحاج بيعزك أوى

-طيب وهو إعتذارك دة ياترى علشان الحاج ضغط عليك ولا علشان

حسيت إنك غلطان؟

-هو انا مانكرش إن الحاج كلمنى فى الموضوع دة وغلطنى بس انا بعدها حسيت إنى زودتها معاكى فعلا واهه ياستى جتلك لحد عندك علشان اعتذرلك ..مع إنك إنتى كمان غلطتى فيا

فضحكت قائلة..

-فى الحقيقة تستاهل

-والله؟؟ طيب أنا هسكت بس علشان الضحكة الجميلة دى وأتمنى ماتكونيش لسه زعلانة منى

هنالك ركض إلى المحل أحد الرجال ليصيح قائلا وهو يلتقط أنفاسه..

-إلحق يااستاذ أحمد..الحاج صالح وقع فى الشارع والناس عمالة تفوق فيه ومش بينطق

-لمى هدومك يالا علشان نروح شقتنا

قال ذلك زوجها العاشر فور دخوله إلى المنزل ..ليجد مهدا جالسة على الأريكة محتضنة بين يديها فنجانا من القهوة مما جعلها تعود من ذكرياتها ثم تقول بنبرة مرتعشة...

-مش هاينفع..

-هو إيه اللى مش هاينفع؟؟

-لازم أصفى حساباتى الأول

-مع مين؟؟

-مع الماضى...اللى مش عايز يسبنى ومخلينى مش قادرة أستمتع بأى حاجة حلوة حواليا

فااقترب إليها ثم جثى على ركبتيه وأقمض على يديها التى كانت تحتضن فنجان القهوة ناظرا إلى عينيها قائلا..

-ماهو مافيش حل تانى غير اللى انا قولتلك عليه ...أرجوكى إسمعى الكلام وارميهمله ..ماتضيعيش فى لحظة غباء..كل حاجة حلوة بنا

-لاء هو فى حل تانى ..بس حل صعب شوية

-إيه هو؟

-إنى أسلم نفسى

(flash back)

إقترب إليها ثم صفعها صفعة قوية على وجهها جعتلها تسقط على الأرض وتتناثر الدماء من أنفها

-إنتى إظاهر الورث صرعك وخلاكى تنسى يعنى إيه تنزلى من غير إذن جوزك ..لاا ياهانم فوقى..أنا بحبك أة لكن عمرى ماهقبل أبدا إن مراتى

تحسسنى إنى مش راجل المفروض تعمله مليون اعتبار فى أى تصرف بتتصرفه..

وضعت يدها على صدغها الذى أحست بأنها لم تعد تشعر بوجودها ثم قالت وهى تبكى..

-إنت فاهم غلط..ماكنتش أتوقع إنك فى يوم ممكن تضربنى

-إنتى عارفة كويس إنى مابحبش كدة..بس كان لازم أفوقك ..إنتى من ساعت ماعرفتى موضوع الورث دة وانتى مش على بعضك ..وتصرفاتك غريبة..حتى وصل بيكى الحال بإنك تروحى للمحامى من ورايا وكمان من غير إذنى..وتقوليلى فاهم غلط؟؟..لا انا فاهم صح وصح جدا ..إنتى واحدة مادية وأنانية كل اللى فارق معاكى الفلوس وبس وتوز فأى حد تانى ..حتى لو كان جوزك

فنهضت عن الأرض على مهل ثم قالت

-خلاص؟؟ خلصت كل اللى عندك؟؟

-اة خلصت .. اتفضلى قولى إنتى اللى عندك

فتوسدت أحد المقاعد لتجلس فوقها ثم تقول..

-اللى عندى مصيبة كبيرة ومش عارفة هخلص منها إزاى

فجلس زوجها العاشر صوبها ثم قال بفضول..

-مصيبة إيه؟

فأخذت تقص له جميع ماحدث بدئا بمحاولتها هى وتهانى لقتل إبراهيم وختاما بما أراده المحامى فايز من أجل التكتم على سرها ..مما يفسر سبب ذهابها إليه دون ان تخبره ..فصدم من الحقيقة حتى أنه لم يكن يصدقها.. ثم تنبه إلى تلك الدماء التى كانت تقطر من أنفها ..فرفع ذقنها إلى أعلى ثم قام بمسح الدماء وتضميدها وبعد مهلة من التفكير حدثها قائلا..

-قتل يامهدا ؟ ؟ معقولة!!

فقالت بانهيار..

-كنت مدبوحة ..وقلبى واجعنى أوى ..إنت عارف يعنى إيه راجل يبيع مراته ؟ ؟

لحاول أن يتخيل نفسه مكانها ليرى بأن رد فعله لن يكون أقل من أن يقوم بذبحه فى ميدان ..مما جعله يلتمس لها مائة عذرا ومن ثم قام بضمها إلى صدره ومسح دمعات الحزن عن عينيها..ليقول لها مخففا..

-إتطمنى أنا هافضل جنبك ..بس ماتعمليش حاجة تانى أو تتصرفى تتصرف إلا لما تعرفينى

فأومأت بالموافقة ثم أحست بالتعب ..فذهبت إلى الفراش لتستلقى عليه بعد أن توعدا للتحدث فى ذلك الأمر فى وقت لاحق ..مما شعر بالإختناق لخرج للتنزه واستنشاق بعض الهواء.

(back from flash back)

-إيه؟ تسلمى نفسك؟؟

-أيوة..عايزة أخلص من العذاب اللى أنا حساه ..أنا وانت عارفين كويس إننا لما نديله اللى هو عايزه مش حل..وإنه ممكن يبتزنا ويهددنا كل شوية ..دا غير إنى حاسة إنى مخنوقة ومحبوسة جوايا ...مش قادرة أحس بأى حاجة حواليا ..والماضى بيطاردنى دايما ..نفسى أحس إنى حرة ..يمكن لما أسلم نفسى..أحس بالراحة

-طب وانا ياامهدا؟ مش فكرتى فيا؟

فتسلسلت الدموع إلى عينيها ثم قالت..

-أنا ماستاهلش واحد زيك..إنت مالكش ذنب فى كل اللى بيحصلى دة

-ولا انتى ليكى ذنب..ليه قاسية على نفسك كدا؟؟

فقامت باحتضانه وهى تبكى مثل الطفل الذى ضاع منه أبويه ثم تجهش بقوة وحيال ذلك رن هاتف زوجها العاشر وهى لاتزال تقيم بين تجويف عنقه ..فأخرجه من جيبه ليجده رقما مجهولا لا يعرفه فرفع الهاتف إلى أذنه الأخرى ليرد..

-ألو..

فيجيبه طفلا من الطرف الآخر قائلا..

-أيوة يابابا ..وحشتنى جدا

الفصل التاسع والثلاثون

"أحيانا ما يقوله العقل يؤلم"

فاابتسم ثم قال..

-وانت كمان يا ذياد يااحبيبى أخبارك إيه؟؟

فخرجت مهدا عن أحضانه لتفسح له مجالا واسعا لمحادثة ذلك الصغير ومن ثم تحرك زوجها العاشر قائما إلى الشرفة ليكمل حديثه مع الصغير..بينما غاصت مهدا مرة أخر فى تخيلاتها لتتذكر..

-الحق يااستاذ أحمد..الحاج صالح وقع فى الشارع والناس عمالة تفوق فيه ومش بينطق

فهرول كلا منهما إليه بفزع إلى أن وجدوه محمولا من قبل رجلين آخذين وجهتهم إلى المنزل ومن ثم ساعدهم أحمد بالدخول إليه وقام بإرسال الطبيب ..إلى أن أتى وقام بإفاقته حيث تبين بأنه وقع نتيجة لغيبوبة سكر وأوصى الطبيب على الراحة التامة له حتى يتم ضبط معدل السكر لديه مع مباشرة العلاج والمحافظة عليه ومن ثم بدأ أحمد إلى أن يرق قلبه ويتحسر على حال

أبيه الذى أفنى شبابه وعمره من أجله ومن هنا قرر أن ينزل إلى المحل ويقوم بمباشرة عمل والده عوضا عنه وذلك أيضا بمساعدة مهدا.

بدأ كلاهما إلى أن ينسجم مع الأخر ..وينشب بينهما شئ من الإعجاب والود ..بينما تهلل أحمد فى تجارته وأصبح رجلا مسؤلا يعتمد عليه حيث كان يحرص كثيرا على أن يأتى بطلبيات الملابس الفخمة بأحدث صيحات الموضة مما تتناسب مع العصر الحالى..حفاظا على توارد الزبائن وثقتهم ..حتى تحسنت حالة الحاج فتحى وأصبح يزور المحل كلما شعر ببعض التعافى وبعدما أثبت إبنه أحمد جدارته وتفانيه بالعمل ..شعر الحاج فتحى بالكثير من الراحة التى جعلته يمكث ويستريح بالمنزل دون أن يشغل باله بالمحل وتجارته وبأنها أصبحت فى يد أمينة وشعر أخيرا بأنه أنجب بالفعل رجل يؤخذ به ويعتمد عليه.

لقد أصبح أحمد هو المسؤل الأول والأخير عن محل أبيه حتى أوصى الحاج فتحى بأن يلتزم الراحة بالمنزل ..نظرا لسنه وأمراضه العمرية وبأنه آن الآوان لكى يستريح بعد كل هذا العناء والتعب..فرسخ الحاج فتحى لبسالته ورفع يده تماما عن كل مايخص المحل وتجارته حتى أصبح لا يبرح الخروج من المنزل إلا للصلاة أو لزيارة صديق أو مريض.

لقد كان إجتهاد مهدا وتفانيها ومساعدتها له هو السبب الرئيسى وراء حبه إلى العمل بالمحل والإستمرار فيه بعدما كان لايطيق الركون إليه ولو بعض دقائق

..حتى أصبحت مهدا وجها صبوحا إعتاد أن يراه كل يوم ومن ثم بدأت نظراته إلى أن ترقبها وتتأملها ذهابا وإيابا ..وبدأ إلى أن يسترق لمسات منها بطريقة عفوية وكأنه لا يقصدها..وتمحور الكلام بينهما حتى أصبحا يتحادثان كلما أتاح لهم الوقت ومن ثم تحول الحديث بينهما إلى فضفضة شخصية وبدأ كلا منهما يقص إلى الآخر تاريخ حياته ..لكن مهدا بالطبع لم تذكر له تاريخ أزواجها السابقين وأعدادهم وإنما إكتفت بتعريفه بأمر طلاقها ..حتى ائتلف حديثهما وأضحى بينهما شئ من الإرتياح والإنسجام والتفاهم ولقد ذكر لها بأنه أحب فتاة ذات مرة ولكن الحب ليس كل شئ..لقد تزوجت شابا من العائلة تقدم إلى خطبتها ووافقت رغما عنها تحت ضغط شديد من أبويها..بينما هو كان لايزال طالبا ليس جاهزا بعد لتحمل مثل هذه المسؤلية ..التى تتطلب الكثير من المال والعمل ..ومن هنا إنطلقت صيحات من الجنون ليدعوها أحمد للذهاب برفقته إلى حفل زفاف أحد أصدقاؤه بالتاسعة مساءا ولا تعلم أى موجة من الجنون أصابتها ليجعلها توافق بدون تردد وكأنها كانت تبحث فى عرضه عن منفث آخر تستطيع من خلاله إستنشاق بعضا من المتعة والتسلية تستطيع بها تغيير هذا الروتين الذى استحكم حياتها .. ثم ذهبت إلى أحد المحلات الأخرى لشراء فستانا شديدا ثم تتخيل نفسها وهى تجربه ..بأنها سندريلا الحفل التى بمجرد أن تدخل عليهن سيفقد الجميع صوابه تاركين عرض الحفل ..مبحلقين فى حسنها ثم تطرق بالها إلى مايهمها

والسبب الحقيقى وراء شرائها لهذا الفستان..إنها لا يهمها تهافت الرجال أو إعجابهم الشديد بها ،وإنما كان كل مايهمها هو أن تعجبه هو ..ولا يهمها أن يراها الجميع سندريلا الحفل ويلهثون حولها أكثر مما يراها هو ..لقد حرصت كثيرا فى هذه الليلة على أن تبدى مفاتنها من خلال هذا الفستان الضيق الذى يتوسطه حزاما عريضا من الحرير يلف خصرها ..حتى تصبح أجمل نساء الحفل فتنة فى أنظاره ..خاصة بهذا اللون الزهرى الذى اختارته والذى كان يغلفها من عاليها لأسفلها دون أن يكشف فيه سوى ذلك الجزء القليل من أسفل رجليها.

إرتدت فستانها الجديد وزادت من أنقاتها من خلال بعض أدوات التجميل ثم خرجت والتقت به كما اتفقا ليراها من بعيد وهى تتبختر وتتمايل فى مشيتها ثم تأتيه وتركب إلى جانبه بالسيارة التى إستطاع شرائها مؤخرا بالتقسيط ..حتى تتلاقى أعينهما ويبهر كلا منهما أناقة الآخر والتى كان يحرص بها كلاهما على ترك أثرا جميلا جذابا فى ذهن الآخر ..فتفحصها لبرهة ثم وقع بصره على تلك السلسلة التى كانت تطوق عنقها وتخفيها بداخل فستانها..ولقد كان يود السفر لإكتشاف مدى عمقها ونهايتها ولكنه تماسك ثم نظر على الفور تجاه الطريق وانطلق بها إلى الحفل.

____

-دا كان ذياد إبنى ..معلش إتأخرت عليكى

قال ذلك زوجها العاشر بعد أن عاد إليها وأنهى مكالمته مع إبنه الوحيد ذياد الذى وضعته زوجته السابقة قبل أن يطلقها بخمس سنوات ...فعادت إليه مهدا هى الأخرى من ذكرياتها لتقول..

-لا ولا يهمك ..هو إبنك بردو وله حق عليك

فاقترب ليجلس بجانبها ثم يقول..

-طيب وأنا يامهدا ماليش حق عليكى؟؟

-طبعا ليك

-طيب ليه شيلتينى من حساباتك...إنتى عارفة أنا من غيرك ممكن يجرالى إيه؟؟

فضحكت بسخرية ثم قالت بفتور..

-ولا حاجة

-ولا حاجة؟؟

فنظرت إليه بسهود ثم قالت..

-ممكن أسألك سؤال؟؟

-إتفضلى

-إنت كنت قايلى إنك كنت بتحب طلقتك صح؟؟

-أيوة وهى اللى خلتنى أكرهها بتصرفاتها

-يعنى مش جرالك حاجة أما بعدت عنها!!

-أنا ماكنتش محتاج أنساها أصلا..أنا ناسيها من قبل حتى ماطلقها

-صدقنى أوقات الخلافات بتخلينا نشيل أوى جوانا لدرجة إننا نقسى وتوصلنا لحالة كره ..بس فى الحقيقة الحب بيفضل موجود جوانا بس بيكون مش ظاهر و ووقت مالخلاف يروح والنفوس تصفى يبدأ يظهر تانى..

-بس أنا مابقتش بحبها...أنا فعلا بحبك إنتى

-لما الخلاف يطول والقلب يكون شايل حزن وهم تجاه شخص ويدخل فى حياتنا حد تانى ..بتوقف قصة الحب اللى كانت تجاه الشخص الأول عند اللحظة دى ونبدأ بقصة جديدة وحكاية جديدة ..لحد مانيجى عند نقطة معينة زى خلاف تانى بردو ونحن لكل حاجة قديمة حتى لو حاجة جرحتنا أو كانت السبب فى عذابنا وحيرتنا..

-يعنى إيه ؟

-يعنى إنت مش كرهتها ولا حاجة..إنت نستها بيا

-ماحصلش..أنا بحبك

-وانا ماقولتش إنك ماحبتنيش..أنا بس بوضحلك..إنك تقدر تنسى

-مستحيييييل

-واحد زيك ياحبيبى مستحيل يكون إتجوز واحدة من غير مايكون بيحبها ..بس فى حاجة بننساها بحاجة..هى الدنيا كدة

-إنتى عاوزة توصلى لإيه ياامهدا بالظبط

-أنا فى الحقيقة مش عايزة أوصل..لإنى بالفعل خلاص وصلت

-وصلتى لإيه ؟؟

-إننا لازم نتطلق

-بتقولى إيه؟؟

-أنا خلاص هسلم نفسى وماينفعش خالص يتقال عليك جوز واحدة رد سجون وكانت متهمة بقتل جوزها

ثم نظرت إلى عينيه وتابعت

-هاترضى؟؟

فلم تتلقى منه جوابا وعم الصمت حتى تابعت حديثها مرة أخرى لتقول وهى تنظر إلى فراغ ما أمامها..

-طلقنى وارجع لمراتك وإبنك يارامى

____

لقد شعرت بالخيبة واختلج بداخلها شعورا محبطا ..إنه حتى لم يضف ولو تعليقا واحد على أناقتها وتكلفها الشديد نحوه ..لقد شعرت بالمقت والغيظ مما تسبب فى رسم تعابيرا محبطة على وجهها ..حتى أنه طوال الطريق لم يتكلم ..إلى أن وصلا ودبت أقدامها أرض الحفل ومن ثم جلسا على أحد الطاولات حتى حضرا العروسان وتم تشغيل موسيقى ذو إيقاع هادئ ليرقص كلاهما على أنغامها الهادئة ثم إنضم إليهم بعض المعازيم الراغبين فى الإنضمام إلى هذا الرقص الثنائى ومن ثم نهض أحمد ومد يده إليها لترقص معه

..فردت إليه بكل ترحاب ونهضت لتذهب معه إلى حلقة الرقص و لتضع يديها على كتفيه وليضع يديه على خصرها ..والأنغام الهادئة تتآرجح بين عينيهما ..حتى إشتد إقتراب كلا منهما إلى الآخر ثم..

****

الفصل الأربعون

"ليلة من الحب"

ثم بدأت مهدا إلى أن تشعر بدفئ حصنه وأحست بهذا التيار الدافئ وهو يسرى فى جسدها فور أن إقترب إليها..وحينما أحست بخطر مشاعرها إبتعدت قليلا بدرجة لايلامسها فيها واكتفت بالنظر إلى عينيه وهى تتمايل معه بالرقص على إيقاع الموسيقى وغاصت فى بحر من الإحتياج..الإحتياج إليه ..إلى عاطفته..إلى حنانه..إلى ذلك الأمان الذى دائما ما تبحث عنه..

إنها مثلها مثل أى أنثى مهما بلغا من العمر ..مهما ذاقت من المصائب والكوارث..تحتاج دائما إلى عاطفة رجل يشعرها بأنها لاتزال على قيد أنوثتها ..إن الأنثى تموت إن ماتت الأنثى فيها ..إن المرأة كالوردة تذبل ويذبل أوراقها إن لم تجد من يرغب باستتنشاق رائحة الزهور فيها..
لقد كان هناك شعورا بداخلها يجذبها إليه كالمغناطيس ولا تعلم من أين أتى هذا الشعور ولا متى أحسته ولكنها تستطيع معرفة تحديدا متى يأتيها.

إنتهت الرقصة وعاد كلاهما إلى مكانه ومن آن إلى أخر كان يسترق كلا منهما ببصره نظرات خاطفة إلى الآخر فى صمت ..حتى إنتهى الحفل وكلا منهما كان

فى واد من مخيلته ومن ثم إنطلقا ليعودان إلى السيارة ، وليتجه بها إلى الفندق حتى توقفت السيارة شائرة على موعد الرحيل ولقد نست تماما أمر النسدريلا ونظرات الجموع وإهتمامها بأن تكون أجمل نساء الحفل..لقد نست كل ذلك فقط فور أن التقت به ثم أخذت تفكر..هل هذه علامات الحب؟؟

أم أن إحتياجها أوهمها بشيئا أشبه إليها من الحب ومن ثم نظرت إلى تلك السلسلة التى كانت تطوق عنقها وتحسستها بفقد وتذكرت ذلك الرجل الوحيد الذى أحبها وأحبته بكل ذرة فيها ثم نظرت إلى أحمد لترمقه بنظرات واهنة وآملة فى أن يكون هو أيضا كمال الثانى الذى ماكانت دائمًا تبحث عنه ..حتى حدثها قائلا..

-إحنا كدة وصلنا ..تحبى أوصلك لحتة معينة ولا هاتنزلى هنا؟

لم ترد .. ..كانت تريد ألا تتركه ..كانت تريد أن تنتظر على أمل أن يخبرها بإعجابه الشديد نحو فستانها وأناقتها ، لكنه لم يفعل ..إلى أن شعرت باليأس وفتحت باب السيارة لتنزل عنها ثم تلوح له بيدها وتودعه بإبتسامتها ثم تذهب والإحباط بداخلها ..فلحقها بالسيارة لتجده يمضى إلى جانبها قائلا..

-تحبى نتمشى شوية؟؟

فتوقفت عن المضى ثم نظرت إليه بتردد وما كانت لتصدق فعلتها إلى أن جرتها قدميها لتعود وتركب معه ..ثم تنظر إليه وبريق البهجة يرتسم فى عينيها

ومن ثم ينطلق بها ويتوقف عند كورنيش النيل ..لينزل عن السيارة ثم تلحقه ويقفان مستمتعين بهبات الهواء والنسيم المنعش ..حتى تقرر مهدا أن تخلع حذائها وتضعه بالسيارة تاركة لبرودة الرصيف أن تتسلل إليها عبر قدميها ..ثم يبدأ الحديث إلى أن يجرى بينهما..

-الجو هنا حلو أوى

قالت ذلك مهدا وهى تنظر إلى كل ماحولها فرد قائلا..

-فعلا..بس فى الحقيقة مش هو اللى حلو بس

فنظرت إليه وهبات النسيم تداعب شعرها..

-قصدك إيه؟؟

-قصدى إن فى حد تانى معانا هنا هو اللى محلى الجو ومخليه له طعم

فابتسمت بخجل ثم قالت..

-إمم..قصدك إنت صح؟

-وتفتكرى أنا بردو اللى هكون مخليه حلو أوى كدة؟؟

فشعرت بالخجل حتى لم تستطع رفع بصرها إليه وشعرت بدقات قلبها وهى تعلو وتتباطئ تارة ثم تتسارع تارة ومن ثم رفع رأسها إليه قائلا بصوت يخفق بالحنان..

-على فكرة كنتى حلوة أوى النهاردة

فأحست برحيل روحها إلى عالم آخر لايوجد به سواهما من رقة الإحساس

والشعور..فردت قائلة

-متشكرة جدا وإنت كمان

ثم عم الصمت والسكون مستمتعين بهذا الجو الرائع إلى أن تفوه أحمد قائلا..

-تحبى نمشى؟؟

-اللى يريحك

-اللى يريحنى أفضل معاكى أكيد

فسهدت بنظراتها إليه ..لا يزال المغناطيس يؤدى عمله على أكمل وجه ..فكم ودت لو تعانقه أو ليضمها إليه فيعود التيار الدافئ إلى أن يسرى فيها لذلك فلقد عزمت على أن لا تتخطى أطماحها حدود مخيلاتها ثم بعد مهلة من الوقت عادا مرة أخرى إلى السيارة ..متجهين إلى طريق الوداع الذى سيفصل ليلتهما بكل ماحدث فيها..حتى وصلا إلى شارع الفندق الذى تسكن فيه ..ثم توقفت السيارة..لينظر كلا منهما إلى الآخر .. حتى شعرت بااقترابه وكأن المغناطيس لأول مرة هو من ينجذب إليها حتى إقترب من شفتيها وانغمست فى أنفاسه وتهدجاته ثم أخذها فى قبلة مستمرة أخذت كل كيانها..ثم فجأة تدفعه مبتعدة عنه وتنزل عن السيارة بخطوات سريعة ولكنه لم يلحقها تلك المرة ..وتحرك عائدا إلى المنزل..ثم أخذت تعاتب نفسها وتؤنبها ..وأحست كما لو كانت منومة مغناطيسيا..مما جعلها تتعجب لأمرها...ورأت بأنها تحتاج لمن يوقظها من هذه الغيبوبة ولقد حاولت بالفعل..حاولت حتى

لطمت خدها لطمة خفيفة..كأنما تنبه نفسها للإستيقاظ من هذا الحلم الغريب والإفاقة على الواقع الذى ينبغى لها ألا تنساه ..حتى شعرت ببرودة شديدة وهى ترعى بين أصابع قدميها ..فنظرت لترى بأنها نست تماما قصة حذائها وعادت لتضحك حينما رأت بأنها تمضى حافية دون أن تحس ثم ابتسمت متذكرة تلك اللحظات الجميلة التى مرت عليها فى هذه الليلة والتى لن تنساها أبدا.

____

أفاقت من شرودها على صوت رنين الهاتف لتجدها صديقتها غزالة فترفع الهاتف إلى أذنها لترد قائلة..

-ألو...إذيك ياغزالة

لترد عليها غزالة من الطرف الآخر قائلة..

-إذيك إنتى يامهدا عاملة إيه ؟

-الحمد لله بخير..

-إيه يابنتى فى إيه ..مالك مزعلة رامى ليه وإيه الكلام الفارغ اللى قولتهوله دة

-هو حكالك؟؟

-أيوة حكالى..إيه اللى فتح موضوع إبراهيم دلوقتى بس

-الكلام مش هاينفع فى التليفون ياغزالة..لو هاينفع تعدى عليا فى البيت يكون أحسن

-حاضر يااستى..هعدى عليكى بكرا إن شاء الله عالعصر كدة

-ماشى ..هستناكى..باى

إنتهت مهدا من مكالمتها الهاتفية لدى صديقتها المقربة غزالة ومن ثم تطرق عقلها للتفكير فى زوجها العاشر رامى وكيف جرى أخر حديثا كان بينهما وأخذت تتذكره بكل حذافيره......

____

-طلقنى وإرجع لإبنك ومراتك يارامى

الآن أعلنت لكم بطلة الرواية عن إسم زوجها العاشر فيرد قائلا..

-إيه ؟؟ بتقولى إيه؟؟ بالبساطة دى يامهدا؟؟

فنظرت إليه والألم يعتصر قلبها . ..إلى أنها أعلنت رحيله ..لتفاجئه بموجات باردة ..فاترة تطغى على أعصابها وتجعلها تقول برزانة..

-أنا مانكرش إنى حبيتك..بس دا اللى لازم يحصل..علشان كل واحد مننا يرتاح

-وإنتى هاتكونى مرتاحة كدة؟

فأجابته بفتور..

-أة

فنهض عن مقعده ثم إتجه إلى الباب قائلا..

-طيب..طالما دا هايريحك ..إستنى منى ورقة طلاقك قريب ثم قصف الباب خلفه

وعادت إلى روحها لتضمها إليها ولتستلقى على الأريكة وتتقوقع على نفسها آخذة فى نومها وضع الجنين بأعصاب حالمة..باردة..حنونة على نفسها..دون أن تبكى ألا أنها شعرت ببعض الراحة وهى تكشح ذلك الإختناق الذى كان يقمض على أنفاسها وبدأت لأن تفكر فى علتها وفى مخرجها إلى أن قررت العودة إلى ماضيها وإصلاحه حتى تعود إليها روحها المسجونة بداخله وتعود كما كانت

حرة..نقية..بريئة.

****

الفصل الحادى والأربعون

"شئ من الماضى"

دق جرس الباب فقامت مهدا بفتح الباب لتجدها غزالة وهى تنظر إليها بوجوم فأشارت إليها مهدا للدخول..فقامت غزالة بالدخول ثم توسدت أحد المقاعد للجلوس ثم قالت

-فى إيه ياامهدا..إيه الكلام الغريب اللى قالهولى رامى دة؟؟

غزالة هى الصديقة الوحيدة لدى مهدا منذ الطفولة ولكن فرقتهما الظروف إلى أن شاء القدر إلى أن يجمعهما مرة أخرى لكى يعودا صديقتان مقربتان أكثر من ذى قبل .

فجلست مهدا قبالها ثم قالت..

-هو دة اللى لازم يحصل ياغزالة

-مهدا..إنتى بتفكرى إزاى؟ الراجل شاريكى وبيحبك

-أنا عارفة إنه بيحبنى..بس هو مالوش ذنب فى اللى بيحصلى ياغزالة ولا له ذنب يفضل مع واحدة ليها ماضى زيي ..داا غير قرارى فى إنى أسلم نفسى للبوليس

فشهقت غزالة بفزع ثم قالت

-إيه ؟؟ تسلمى نفسك إنتى اتجننتى ؟

-أيوة ..لازم أعمل كدة علشان أرتاح من العذاب اللى انا فيه

-عذاب إيه ؟؟

-عذاب الماضى اللى رافض ينسانى ..مع إنى حاولت كتير أنسااااه وبردو ماقدرتش ولا هو قدر ينسانى

-ولما تسلمى نفسك ..تفتكرى العذاب دة هيروح ؟؟

-يعنى إلى حد ما ..أهو عالأقل ماحدش يحاول يستغلنى للمرة التانية

-زى إيه ..مش فاهمة ؟

-محامى إبراهيم ياغزالة بيساومنى...لإلى اتنازله عن نص الورث لهيبلغ عنى

-أيوة أيوة رامى حكالى كل حاجة وأنا من رأيي ترميهمله وتشترى حياتك

-تفتكرى بالبساطة دى هايسبنى؟؟ أنا بعد المحامى دة ماظهر فى حياتى ..إبتديت أتعذب أكتر من الأول ...وحسيت إن الماضى راجع علشان ينتقم منى ويموت الباقى من حياتى لازم أخلص من كل دة ياغزالة..لازم أخلص من كل حاجة بتعلقنى بالماضى وتهديداته وخوفه ..أنا ماحستش ببشاعة الجريمة اللى عملتها إلا الفترة دى من بعد ماالمحامى دة ظهر فى حياتى ..أنا تعبت والتفكير بياكل من عمرى ومش قادرة أعيش ..أنا لازم اسلم نفسى ..مش هعيش باقى حياتى فى تهديد وخوف وطبعا رامى من حقه يكون له زوجة تشرفه ويفتخر بيها ووحشة فحقه جدا ..لما أتسجن وأكون لسه على ذمته

..

-وتفتكرى السجن مش عذاب؟؟

-عذاب السجن هيكون أهون بكتير من عذاب روحى الى كل يوم تدبح قدامى ومش قادرة أعملها حاجة ..أنا هكون مسجونة جوا قفص من حديد بس روحى هتكون حرة ومرتاحة..

-ورامى؟؟ مافكرتيش فيه؟؟

-أنا تقريبا مابفكرش غير فيه وفسعادته ..بس هو ذنبه إيه فى واحدة هاتدخل السجن وياعالم هاتطلع ولالاء وجايز تاخد إعدام كمان..أنا مش عايزاه يتعذب طول عمره بسببى ..أنا اما قولتله طلقنى دا علشان يشوف حياته سواء يرجع لمراته او يتجوز واحدة تانية تحقق معاه سعادته ...مش عايزاااه يتعذب زيى ...عايزة أتطمن عليه قبل مادخل السجن واسلم نفسى ..صدقينى مافيش قدامى حل تانى

-وتفتكرى أما يطلقك هيكون سعيد؟؟ ليه ماتنسيش اللى فات وتعيشى حياتك؟

-مش قادرة والله مااقادرة..أنا عاملة زى المدبوحة عقلى فى حتة تانية غير المكان الى موجودة فيه..حتى لو مش هسلم نفسى..مش هعرف أسعده واحققله السعادة اللى بيتمناها..أنا لو فضلت معاه وماسلمتش نفسى..رامى هيفضل طول حياته معايا متعذب و تعيس..

ثم بكت وقالت بألم..

-أنا مريضة نفسياً ياغزالة ..عندى عقدة نفسية من الماضى ومش قادرة

أتخلص منها..فاهمة يعنى إيه مريضة نفسياً؟؟

-جايز تكونى واهمة ..إنتى مشوشة بس مش أكتر

-مش أنا اللى بقول..الدكتور هو اللى قالى كدة

(flash back)

بعد أن ذهبت مهدا إلى منزلها الجديد برفقة بهجت ..كانت تشعر بجانب كبير من الحزن وهو يتسلل إليها ..كانت تذهب بمخيلاتها إلى الماضى متذكرة أحداث ماضيها المؤلم والتى من ضمنها ذكرياتها مع إبراهيم الذى حسبته جزعها الذى ينبغى عليها الإتكاء عليه دون التفكير فى مخاوفها ..ثم تتحول بذكرياتها إلى كمال ..ذلك الرجل الذى أحبها بكل ذرة فيه وأخلص إليها حتى بعمره ..ثم تتذكر كل ماحدث له ..إلى أن دخلت فى نوبة من البكاء والصراخ حتى كاد أن يجن عقلها فقررت الذهاب إلى دكتور بهجت النفسى ..عله يجد لها حلا لعلتها وينقذها من أوجاعها وجروحها ..أو عله يخبرها كيف تتخلص من ذكرياتها ماضيها المؤلمة...فاانتظرت حتى ذهب بهجت إلى العمل ثم ذهبت إليه ..وقالت..

-أنا جيالك النهاردة مش علشان بهجت..أنا جيالك علشانى

ثم أخذت تقص له جميع ما حددث من الماضى بكل حذافيره ..فتارة تبكى وتارة تضحك ..إلى أن إنتهت بقولها..

-ومن ساعتها مش قادرة أنسى وكل مافتكر أحس بخنقة وضيق فى قلبى وأدخل فى نوبة بكى وأحس كإن روحى بتطلع وبقيت بحس إنى ميتة...عايشة بس علشان عايشة

-مافكرتيش تسلمى نفسك؟؟

قال ذلك الطبيب فأجابته بثقة..

-واحد زى دة مايستحقش أتسجن ويضيع سنين من عمرى بسببه

-يعنى مابتحسيش بتأنيب ضمير خالص بسبب الموضوع دة؟

فنظرت إليه ثم نظرت إلى السقف قائلة..

-مش عارفة...

-ليه؟؟

-جايز علشان جوايا أحاسيس كتير بحسها مخليانى مش عارفة أصنفها بالظبط

-أنا أعتقد اللى انتى فيه دة بسبب إنك كنتى بتعالجى الأمور بطريقة غلط ..وكل باب كنتى بتدخليه كنتى بتسبيه مفتوح بعد مابتخرجى منه ..ويمكن دا السبب اللى مش مخليكى قادرة تتخلصى من الذكريات دى

-إزاى؟؟

-هقولك مثال بسيط..لما حد مثلا يموت ...بنعمل فيه إيه؟؟

-بندفنه

-طيب ..لو سبناه من غير ماندفنه بيحصله إيه؟؟

-جثته بتعفن وبتطلع ريحة وحشة

-وبعد كدة؟؟

-بيفضل يتحلل والدود ياكل فى جسمه لحد مايبقى هيكل عظمى

-أهو الماضى بتاعنا زى كدة بالظبط..لو مادفنهوش أو هربنا منه ..ريحته الوحشة بتفضل تطاردنا طول عمرنا ..علاج الماضى مش إننا نهرب منه..علاج الماضى هو إننا نعالجه ونحاول نصلح فيه إذا أمكن ونرجع نقفل الباب اللى سبناه ورانا مفتوح علشان مايدخلناش منه تانى أى حاجة وحشة ومايفضلش ياكل من عمرنا وتفكيرنا لحد مايطفى رغبة الحياة فينا ويموتنا واحنا على قيد الحياة بإنه يأثر على صحتنا لحد ماتموت من والقهر والمرض لحد مانبقى بالظبط زى الهيكل العظمى..إنما طول مابنهرب منه ..هيفضل دايما ورانا فين مانكون

-يعنى حضرتك شايف إيه ؟؟

-مش أنا اللى اشوف..شوفى إنتى وقررى ..كل حاجة بين إيديكى

Back

-ياحببتى ياامهدا ..إتعذبتى كتير

قالت ذلك غزالة بعد أن انتهت مهدا من إخبراها بكل ماقاله الطبيب ثم لجأت إلى أحضانها وهى تبكى بمراراة ثم تقول

-فوق ماتتصورى ياغزالة..فوق ماتتصورى

-يعنى خلاص ..قررتى تسلمى نفسك ياامهدا؟؟

-أيوة

فصمتت غزالة بعض الوقت ثم قالت

-طيب..أنا عندى فكرة

-إيه؟؟

-فى واحد محامى أعرفه كويس وشاطر جدا..إيه رأيك نروحله الأول ونحكيله وهو هايقولنا موقفك فى القضية ونشوف هايقدر يساعدك ولالاء

إستيقظت مهدا مبتسمة على صوت زقزقة العصافير التى خيل إليها أنها تسمعها ثم تثائبت بغنج ومطت ذراعيها على إمتدادها ثم نهضت بنشاط لتذهب إلى عملها ولترى ذلك الرجل الذى جعل قلبها يخفق مرة أخرى ولقد حرصت كثيرا على أن تبدو أكثر أناقة عن عادتها ..فوقفت أمام المرآة ثم نظرت إليها بغرور لترى روعة جسدها واتساقه ...ثم خرجت من غرفتها ومضت فى طريقها إلى العمل وكأنها ملكت الأرض ومن عليها ..إلى أن

وصلت إلى المحل ..فاستقبلها أحمد بابتسامة ثم قال بتلميح..

-نموسيتك كحلى ...مابدرى

فابتسمت إليه هى الأخرى إشارة بأنها قد فهمت بمايرمى إليه ثم قالت..

-معلش...أصلى كنت سهرانة إمبارح

-إمم وياترى ليه؟؟

-يعنى...كان فى حد كدة كنت سهرانة معاه

-أيوة أيوة عارف..بس أعتقد إنكم ماسهرتوش أوى يعنى مروحين بدرى

-لا مانا أما روحت سهرت شوية مانمتش

-وياترى ليه؟؟؟؟

-إيه دة هو تحقيق ولا إيه؟

-بتهربى يعنى؟ ماشى ياستى معاكى حق الفيتو..إتفضلى يلا وشوفى شغلك

كان بصره لايحيد أبدا عنها..حتى كلما رمت إليه بنظرة من طرف عينيها وجدته هو الآخر ينظر إليها ..كانت كلما خطت خطوة أو ذهبت إلى أى مكان تحس بأنظاره وهى تلاحقها..إلى أن دخل إلى المحل إحدى الفتايات ووجدتها تتحدث إليه بضحك ومزاح مما جعل قلبها يتآكل من الغيرة ..

فذهبت إليهما ثم سألتها..

-حضرتك تؤمرى بحاجة أو بتدورى على حاجة معين ؟

فضحكت بميوعة ثم قالت ..

-لا هو أحمد عارف بالظبط أنا عايزة إيه وهيبقى يبعتهولى عالبيت..سلام
وذهبت بعد أن تركت نارا تتقد بقلب مهدا مما جعلها تسأله..

-هى مين دى

-أبدا.. دى واحدة زميلتى فى الجامعة

-اة وجاية ليه؟؟

-هى ماتعرفش أصلا إن دا المحل بتاع بابا ولا تعرف إنى بشتغل هنا

-ياسلاااام صدفة كدة؟؟

-أيوة

-وإيه بقى الطلب اللى هتبعتهولها عالبيت دة؟؟

-ياشيخة دى بتهزر

فقالت بغيرة..

-هزارها تقيل ورخم ..يااااسم

فضحك قائلا..

-وإنتى إيه مزعلك كدة؟

-أبدا وانا هزعل ليه..عن إذنك هاروح أشوف الزباين

مضى الوقت حتى انتهى الوقت المحدد لها بالعمل واستعدت للمغادرة

فقامت بالإستئذان قائلة..

-هاتعووز منى حاجة؟؟

-هاتمشى دلوقتى صح؟؟

-أيوة

-بدرى كدة؟؟

فضحكت برقة ثم قالت..

-ماانا على طول بمشى كدة

-ياه بجد؟؟ تصدق أول مرة أخد بالى؟؟

فقالت مازحة..

-لا إبقى خد بالك بعد كدة

-طيب ماتقعدى معايا شوية

-ليه؟

-أصلى بخاف من القاعدة لوحدى

فضحكت قائلة..

-بس أنا بسيبك لوحدك كل يوم

-لا مانا ماكنتش بخاف الأول

-ودلوقتى؟؟

-بقيت بخاف جدا

فصمتت بضعة لحظات من التفكير ثم قالت ..

-إمم ماشى بس بشرط هاتوصلنى

-بس كدة عنيا ليكى

كانا يتبادلان ثمار الحديث ..من هزل وجد وضحك ومزح ..إلى أن أتت ساعة الغلق وقام أحمد بتوصيلها إلى الفندق

****

الفصل الثانى والأربعون

"شعور"

أفاقت مهدا على صوت رنين الهاتف ..فتناولته بين يديها ..لتجد المتصل رقما مجهول الهاوية فردت قائلة..

-ألوو

فلم تتلقى إجابة من الطرف الآخر فعاد بالإتصال مرة أخرى ولكنه لم يجيب أيضا فقامت بإغلاق الهاتف ، ومن ثم أتى إلى ذهنها إتفاقها مع غزالة بالذهاب فى الغد بالتاسعة مساءا إلى ذلك المحامى الذى كانت تتحدث عنه ومن ثم نظرت إلى الساعة لتجدها قد تخطت الثانية عشر صباحا..فقررت الولوذ إلى الفراش برغم فكرها الذى كان يؤرقها ..إلى أنها استطاعت بصعوبة بالغة النوم لبضع ساعات ..حتى أتى الصبح وأتت إليها غزالة لإصطحابها إلى المحامى ومن ثم وصلا إليه ليغدقهما بالتحيات والترحاب حتى جلسا فى مقابلة مكتبه وقامت غزالة بتعرفيها إليه قائلة..

-أعرفك بالأستاذ هانى يامهدا..محامى قد الدنيا ..جنايات وجنح

فردت مرحبة..

-أهلا وسهلا بحضرتك

ثم أردفت غزالة لتقول..

-ودى مهدا يا أستاذ هانى ..صاحبتى الروح بالروح

-أهلا وسهلا ياامدام مهدا

-الله يسلمك

فتحدثت غزالة لتقول..

-إحنا جاينلك النهاردة يا أستاذ هانى فى موضوع مهم جدا ..ياريت تساعدنا فيه

-إتفضلى

-دلوقتى مهدا....

ثم قصت له جميع ماحدث حتى أنهت حديثها قائلة..

-ومش عارفين دلوقتى إيه موقفها القانونى ولا تنصحها بإيه؟

فصمت بعض الثوان من التفكير ثم قال..

-هو طبعا.. فكرة إنها تسلم نفسها دى شجاعة كبيرة منها..بس المسألة معقدة جدا ..وحكمها القانونى ممكن مايكنش فى صالحها..وطبعا البرائة فى قضية زى دى مستحيييلة

فرفعت غزالة كلتا حاجبيها ثم قالت بفضول..

-إزاى؟؟

-يعنى هى لما فكرت ودبرت بمساعدة جارتها علشان يسموه ...دا يبقى إسمه قتل مع سبق الإصرار والترصد ..قتل متعمد ..لا يمكن أبدا يقع تحت طائلة الدفاع عن النفس حتى لو هو كدة فعلا

-معلش مش فاهمة ممكن توضحلنا أكتر؟

-يعنى حتى لو هما قتلوه لإنه عمل كذا وكذا ..دا يبقى إسمه إنتقام مش قتل ويقع عليه عقوبة القتل..طالما مافيش واقعة إعتداء حصلت من قبل المجنى عليه..سواء سرقة أو هتك عرض..أو او ...إنما....

-إنما إيه؟

-إنما لو قولنا إنه كان يريد إستغلالهم لطرق غير شرعية وإنهم قتلوه حفاظا على أنفسهم وعلى شرفهم وإنه تاجر نساء بيستغلهم بالزواج من أجل الزنا والعهر وإن ماوقع هو حالة من حالات الدفاع عن النفس برغم ترصدها خصوصا بعد حادثة الإغتصاب الى اتعرضت ليها مهدا وإنه هددهم بالقتل فى حال إن لجأو إلى القضاء وإن المجنى عليه كان بيفعل جرائم كتير يعاقب عليها القانون ويحرمها لو قدرنا نثبت كل دة ..ممكن القاضى يخفف الحكم

-وهنثبت إزاى دة؟؟

قالت ذلك غزالة فرد قائلا..

-المحامى اللى هددها ..هو دة الخيط اللى فإدينا دلوقت

فتحمست مهدا لتسأله

-أيوة بس إزاى؟

-أول خطوة..هاتسلمى نفسك ..بعدين تاخدى إذن من النيابة بالتسجيل ليه ..وانتى وشطارتك بقى فى إنك توقعيه فى الكلام

فقطاعته غزالة قائلة

-طيب واحنا ماينفعش نسجله ونبقى نبعته عالنيابة بعد ماتسلم نفسها؟؟
-لا ماينفعش..المحكمة ممكن ماتعترفش بيه وبالتالى المحامى دة ممكن يطعن فيه بإنه حد مقلد صوته وشكك فيه..لكن لما تاخد إذن من النيابة..النيابة بنفسها بتشرف على موضوع التسجيل دة وبتديلك مايك يسمعو فيه كل الكلام اللى بيجرى بينكم ..بحيث تكون النيابة بنفسها شاهدة على التسجيل ومايكنش فيه مجال للطعن فيه
فسألته غزالة قائلة..
-أيوة ..طيب وبالنسبة للحكم ..هو ممكن مايكنش كبير؟؟
-فى الحقيقة مهدا لو راحت سلمت نفسها ..بتاخد حكم مخفف فى القضية عنهم ولو قدرت تثبت إن المجنى عليه كان بيفعل جرائم ذميمة يعاقب عليها القانون وكانت جرايمه سبب أساسى فى قتله..كدعارة او زنا او قوادة..فدا بيخفف الحكم عن المتهمين فى القضية.. وإن حادثة القتل كانت دفاعا عن الشرف وخوفا من الإستغلال فى فعل جرائم يحرمها القانون ..خصوصا لو أثبتنا عمله فى القوادة وإستغلاله للقاصرات اللى كانو قبل مهدا.

غرقت مهدا فى كلماته وهى تتردد على مسامعها ..لتتذكر كل ما قاله المحامى فايز وبأنه يعد شريكا أيضا فى الجريمة ...ثم خاطرت نفسها قائلة..
ماذا لو لم يعترف...ماذا لو ظل متحفظا فى كلماته؟؟؟ ماذا لو لم تستطع أن تستفزه وتثير أعصابه حتى يخرج كل ماجوفه!!...

ثم أخذت نفسا عميقا وأغمضت عينيها ثم قالت بثقة..

-إن شاء الله ربنا هيقوينى

______

عادت مهدا إلى منزلها ثم ترامت على الفراش ..وبعد ثوان نهضت بخفة ..لتقوم بتبديل ملابسها ثم شعرت برغبة جامحة فى أن تجرد نفسها من كل شئ وتذهب إلى الحمام لتملئ حوض الإستحمام بالماء ثم تضع به بعضا من مسحوق الشامبو وتهبط مستترة بجسدها فيه ومن ثم تغمض عينيها وتميل برأسها إلى الخلف لتتذكر....

....

لقد قام أحمد بتوصيلها إلى الفندق ..ثم ودعها بابتسامة لتنتظر قليلا وكأنها تملى عينيها منه متجاهلة جميع ماحدث بالأمس ثم تفتح الباب وتنزل عن السيارة وتلوح له بسعادة قبل أن يغادرها ..حتى نست تماما أن تشكره ثم عادت إلى غرفتها لتنام بسعادة وتستكمل سعادتها مع حلم من مخيلاتها.

إستمر الحال على هذا المنوال..تنتظر معه إلى أن يقوم بغلق المحل ثم يقوم بتوصيلها إلى الفندق وكل شئ يسير برتيبة ثابتة إلى أن أتت إحدى الليالى ليقوم أحمد بغلق المحل ..فاخبرته مهدا بأنها قد نست بالداخل حافظة نقودها..فعاد ليفتح المحل ثانيا لتدخل هى داخل الظلام بينما كان هو ينتظر

بالخارج ..حتى تلاعب به عقله ليدخل إليها فى ظل العتمة التى كانت تستنجد ببعض الضوء الخافت من الشارع ومن ثم توقفت مكانها فور أن لمحت خياله عند رأس الباب وأخذت تترقبه عبر إنعكاس ضوء الشارع وهو يقترب إليها ..حتى انغمس إليها فى الظلمة وأصبح الإنعكاس لم يعد يصله وإنما كان هو من وصل إليها لتراه حسيسا ..وكأن الظلمة كانت تغريه لأن يفعل شيئا لم يستطع فعله فى النور فاقترب إليها ليلمسها من خديها ثم ينهال على شفتيها ليقبلها برغبة مضطربة وليعبث فى مفاتنها بلهفة وشوق حرور .. حتى جعلها تستسلم ...إلى أحضانه ..وغاصا فى موجة من الأحضان والقبل ..إلى أن أفاقا من نشوتهما وعادا إلى السيارة..تاركين مكانهما إستفهاما كبيرا لما حدث ..متجاهلين تماما سرجى تفسيره ومن ثم إنتهى طريقهما بصمت محير ومرت ليلتهما لتأتى ليلة أخرى وليفعلا نفس مافعلا بسابقتها ..وغاصا فى دوامة كبيرة من النشوة والجنون ...حتى قال لها ذات مرة وهو

يقبلها..أحبك...أعشقك بجنون..لترد هى الأخرى وهى فى حالة من الجنون

وأنا أيضا أحبك ..لا أستطيع الإستغناء عنك

والآن علما بأن بينهما شيئا لابد أن يعترفان به ولا يتجاهلاه كعادتهم ..فأصبح كلما اختلى بها يناديها حبيبتى وأصبحت كلما اختلت به تناديه حبيبى

إلى أن أضحى الحب هو رابطهم الوهمى..الذى يستنجدان به ويختبئان خلفه كلما رغب أحدهما بتقبيل الآخر أو إحتضانه ...ولا يعلمون بأن مايجمعهما

حب جسدى ينافى تماما عما يقصده الحب وإنما يحق التعبير عنه بأنه مجرد نزوة أو شهوة أو احتياج ..مجرد شعور مؤقت يزهق متى مازهق ومل منه صاحبه

واستمر الأمر بينهما كثيرا حتى أتى يوما...

****

الفصل الثالث والأربعون

"حقيقة قاسية"

حتى أتى يوما كان يمر فيه أحد أصدقاء الحاج فتحى للإطمئنان على صحته وكان أحمد فى ذلك الحين يأتى بأحد الطلبيات من أحد التجار ..فااستقبلته مهدا قائلة..

-أهلا وسهلا بحضرتك..هو فى الحقيقة الحاج فتحى له فترة كبيرة مابيجيش المحل لإنه تعب شوية فى الفترة الأخيرة لحضرتك لو عايزه ممكن تروحله عالبيت

كان يبلغ من العمر خمسة وخمسون عاما ..ذو شعر وشارب أبيض يخالطه بعض الشعيرات الرمادية ، ولديه جسم ممتلئ يحتوى بطنا بارزة قليلا ..مما يعتبر أصغر من الحاج فتحى بثلاث سنوات شكلا وعمرا.

كان ينظر إليها بإعجاب شديد وما دل على ذلك هو إبتسامته الواسعة التى لم يغمضها منذ أن رأها ونظراته التى كانت تلمع بريقها بين أحداقه وما انتهت من حديثها حتى رد قائلا...

-طيب..خلاص أنا هروحله ...متشكر جدا

كانت تحس بشئ غريب بين نظراته وإبتساماته ولكن عقلها كان يقنعها بتلك المسافة العمرية التى بينها وبينه وبأن ماتحسه نحوه هى مجرد أوهام ..إلى أن أتى أحمد وأخبرته عن صديق أبيه الذى لم يتوقف أبدا عن النظر والإبتسام إليها ..فرد ساخرا..

-تلاقيه بس معجب بيكى

فوضعت يدها بخصرها ثم قالت..

-والله؟؟

-أيوة طبعا...دانت تعجب الباشا يااجميل ..هو ماقالكيش هو مين؟؟

-لاء..قالى هيروحله البيت

مضى اليوم بسلام..ليبدأ يوما جديدا ....ثم يخبرها أحمد بعد أن زهق الظهر بأن الحاج فتحى يريدها أن تمر عليه بالمنزل لأمر هام ..فرفعت كلتا حاجبيها بااستغراب ثم قالت..

-ماقالكش عايزنى فإيه؟

رفع أحمد كتفيه إلى أعلى وقلب شفته قائلا

-وحياتك ماعرف

-طيب عايزنى أروحله إمتى

-هنقفل العصر وهاخدك معايا ونروحله

إلى أن سمعا بأذان العصر وهم كلاهما بالتجهيز للغلق واتجها بالفعل إلى منزل الحاج فتحى الذى لم تطئ قدماه أرض الشارع منذ فترة ..إلى أن حضرا إليه وجلس كلا من مهدا وأحمد بالقرب منه .... حتى تحدث الحاج فتحى قائلا..

-إنتى عارفة طبعا ياامهدا إنى بعزك بالظبط زى أحمد إبنى وبعتبرك كإنك بنتى بالظبط

-دا شرف ليا والله يااحاج فتحى

-أنا لولا إنى مابقتش بقدر أنزل الشارع زى الأول والله كنت جيتلك بنفسى..علشان تعرفى بس معزتك عندى

-ولو تقدر يااحاج ..حضرتك ليك جمايل كتير عليا وخيرك سابق وانا تحت أمرك فى أى وقت

-طيب هو الحقيقة أنا فى حد كلمنى عنك

فبرقت إليه بعينيها ثم قالت بدهشة..

-كلمك عنى ؟

-لا ماتتخضيش كدة...كل خير إن شاء الله

-مش فاهمة

-إنتى كان عدى عليكى الحاج سعيد إمبارح وسألك عنى

-أيوة أيوة..هو كان فى واحد جه وقالى إنه صاحبك ..فعرفته إنك مابتجيش المحل وقولتله لو عاوزك يجيلك البيت

-أيوة أهه هو دة بقى الحاج سعيد ..راجل مقتدر وعنده عمارتين ..كل عمارة ١٤ دور وماشاء الله عنده محل دهب ويعرف ربنا ..وراجل كمل

فثار الشك بداخلها مما جعلها تسأله لتقطع الشك باليقين...

-أيوة ياحاج مش فاهمة ..بتقولى عنه كل دة عنه ليه؟؟

-بقولك كل دة علشان طلب منى أبلغك بإنه طالبك للجواز

فتلقت كلماته بصدمة ثم نظرت إلى أحمد والذى لم يبدى لها أى تأثيرا ثم تناوبت النظر بينه وبين الحاج فتحى ..إلى أن أشارت إلى نفسها قائلة..

-عايز يتجوزنى أنا؟؟

فهم الحاج فتحى ماتقصده فقال لها مختصرا..

-أنا عارف إنه أكبر منك وإن اللى بينكم ممكن يعدى ال٢٠ سنة بس أنا عايزك تفكرى كويس..الجواز سترة يابنتى والراجل مش هيقصر معاكى فى حاجة وكل الى هتتطلبيه هتلاقيه..

فاااارتبكت قليلا وكأنها هربت منها الكلمات ثم قالت..

-أنااااا...

فقاطعها قائلا..

-ماترديش دلوقتى...فكرى ..قدامك أسبوع فكرى فيه وإبقى إبعتيلى الرد مع أحمد وبالمناسبة...هو أرمل وعنده بنت واحدة ومتجوزة ..يعنى مافيش حد

هيضايقك

وبراحتك خالص..إحنا مش مستعجلين..

إنصرفت مهدا ثم عادت إلى المحل برفقة أحمد بصمت تام إلى أن فرغا من العمل وحان موعد الغلق فقامت مهدا بالتحدث إليه قائلة..

-إيه رأيك ياحمد فى الموضوع دة؟

فتظاهر بالبلاهة ثم قال..

-موضوع إيه؟؟

-موضوع إيه؟؟ هو فى موضوع غيره؟؟

-اااة قصدك موضوع العريس؟؟ مبروك ياامهدا ..إنتى طيبة وتستاهلى كل خير

رمشت عدة رمشات ..لم تصدق ماتسمعه فسألته باستغراب..

-تستاهلى كل خير؟

-أيوة ...إيه مالك مستغربة ليه

-واللى بينا؟؟

فاقترب إلى عينيها لينظر فيهما ثم يقول

-إيه اللى بينا يامهدا؟؟

-مش عارف إيه اللى بينا؟؟

فمد يده ليمسك بخصلة من شعرها ثم يقول بفتور..

-عرفينى ..جايز أكون ناسى

-إنت جرالك إيه؟؟ وبحبك ووحشتينى وماقدرش أعيش من غيرك دى تبقى إيه...وكل اللى حصل بنا دة يبقى إيه

فاابتسم بسخرية ثم قال..

-قولتلك كدة وإحنا كنا بنعمل إيه؟؟

فعم الصمت لتبدأ فى أن تتدارك الأمور من حولها وليكشف لها اللاعب عن أوراقه..فأرادت أن تستفهم أكثر عما يدور برأسه ..فسألته

-يعنى إنت ماكنتش بتحبنى؟؟

-ولو كنت بحبك ..إيه الفرق

-إيه الفرق؟؟

-أيوة ...إنتى عارفة كويس يامهدا إيه اللى كان بينا بالظبط ..إنتى كنتى محتجالى زى مانا كنت محتاجلك..أنا شوفت دة فعنيكى من أول ليلة خرجنا فيها

-حتى لو كنت محتاجالك ..أو انت بترتاحلى وانا برتاحلك ..إرتايحنا دة فحد ذاته جزء من الحب

-هو انا مابكرهكيش..بس اللى كان بيجمعنا أعتقد إنه شئ تانى غير الحب

-حتى لو كان كدة..إيه المانع إننا نتجوز ونعيش حياتنا فى النور!!

-إيه؟؟؟؟ قولى تانى كدة سمعينى ؟؟؟ نتجوز؟؟

-إيه ..قولت حاجة غريبة؟؟

-بالعكس إنتى ماقولتيش حاجة غريبة..إنتى قولتى حاجة مستحيلة

-ليه؟؟

-هو إنتى ممكن يوهمك خيالك أو ييجى فبالك إنى أفكر أتجوزك ياامهدا؟؟

-ليه لاء؟؟

-إنتى مجنونة؟؟ حد قالك إنى عبيط أو أهبل..علشان أقبل أتجوز واحدة كانت بتسلملى نفسها

-أنا...أناكنت بحبك

-حتى لو كنتى بتحبينى..مافيش مبرر أبدا لإن واحدة تسلم نفسها لواحد لمجرد إنها حبته ..دى لا تصلح أبدا إنها تكون أم فى يوم من الأيام..تعرفى تقوليلى لما واحدة زى دى تتجوز وتكون أم ويكون عندها بنات هتربيهم إزاى؟؟؟؟ هتربيهم إزاى وهاتعلمهم إيه وهى أخلاقها سمحتلها تكون فى حضن راجل غريب عنها وقدمتله تنازلات كتير وسمحتله بحجات ..أى واحدة محترمة عمرها ماتقبلها

فصفعته صفعة قويه على صدغه بعد أن تكومت الدموع فى مقلتيها ثم بدأت إلى أن تهطل من عينيها بغزارة وهى تقول..

-إخرص..أنا أشرف منك ومن اللى يتشددلك

فضحك ساخرا ثم قال..

-بصراحة واضح فعلا ..بأمارة جزمتك اللى لسه عندى جنب دواسة العربية

حاولت إستجماع أنفاسها التى كانت تلتقطها بصعوبة ثم قالت..

-إنت اللى بدأت تقربلى وتحاول تحببنى فيك بكل الطرق ..مش أنا اللى جريت وراك علشان تقول إنى مش محترمة

-ورد فعلك كان إيه؟؟

فجهشت بالبكاء ثم قالت...

-ضعفت..أنا عارفة إنه غلطت بس ضعفت وإنت دخلتلى من نقط ضعفى فى وقت كنت محتاجة فيه كلمة حنينة وقلب ينسينى كل العذاب اللى شوفته ..إنت السبب فى إنى أتعلق بيك وأحس معاك بالأمان اللى دايما كنت محرومة منه ..جاى بعد كل دة تحاسبنى وتقولى مش محترمة؟؟ ..ماانت السبب!!

إنت السبب لما قربت ليا ..لما خلتنى أشوف اللهفة والإشتياق فى عنيك..إنت السبب لما حسستنى بأنوثتى وصحيتها فيا وحسستنى إنى لسه عايشة ..جاى دلوقتى بتجيب الذنب عليا لوحدى

فولى ظهره إليها قائلا..

-الذنب فى الأول والآخر بيكون عالست ..هى اللى بتعمل حدود بينها وبين اللى قدامها

ثم إستدار إليها وتابع قائلا..

-عارفة ياامهدا ...لو كنتى أول ما حاولت أقرب منك قلعتى جزمتك وضربتينى بيها ..والله العظيم لكنت متجوزك ..إنما أنا صعب بجد أثق فيكى

بعد كل اللى عملتيه معايا ... أنا لو اتجوزتك ..هاعيش معاكى دايما فى شك وعمرى ماهتطمن أبدا طول مانا غايب عن البيت ...اللى تضعف مرة فى حاجة زى دى ..تضعف مية مرة ..وأقولك حاجة كمان؟؟

أنا البنت اللى كنت قايلك كنت بحبها فى الجامعة ..السبب فى إنى ماتجوزتهاش هو نفس السبب بتاعك

إدتنى بكل سهولة حجات كتير مش من حقى ..فااتلكت بموضوع إنى لسه طالب علشان أخلع..انا مش اهبل علشان آآمن لواحدة ماتمسكتش بشرفها وسمحت لواحد مش جوزها يلمس كل حتة فجسمها ..دا أنا بسميه رخص..وانا شايف إن البنات الرخيصة ماتنفعش خالص إنها تفتح بيت وتربى أطفال وتشيل إسم راجل دمه حر

-حتى لو عملت كدة علشانك إنت بس؟؟

فضحك بسخرية ثم قال..

-اللى تعمل كدة علشانى..تقدر تعمل كدة مع أى واحد عمل معاها نفس اللى انا عملته بالظبط وضحك على عقلها بكلمتين

-يعنى إنت كنت بتضحك عليا؟؟

-كان لازم أستخدم بعض الكلام وبعض الحركات علشان أقدر أعرف أخرك زى مابيقول ..فحطيتك فى وضع إختبار..وبصراحة ماكدبتيش خبر...جيتى بسهولة جدا

-وإنت مش شايف نفسك إنك أذنبت لما ضحكت عليا ووهمتنى إنك بتحبنى ؟؟

-أذنبت ليه..كنت ضربتك على إيدك؟؟ ولاا كان غصب عنك؟؟كل شئ كان بيتم بإرادتك

فنهرته قائلة..

-إنت حقييييير

فاقترب إليها ثم وضع يده على وجنتها قائلا بتحفظ..

-أنا ماظلمتكيش يامهدا..إنتى اللى ظلمتى نفسك لما مشيتى ورا وهم إنى ممكن فى يوم أتجوزك

-إنت إنسان مريض..مش طبيعى أبدا

-أنا لو مش عايز مصلحتك صدقينى ماكنتش صارحتك ..بس كان لازم أفوقك علشان ماتصحيش على كابوس ..إحنا اللى كان بينا حاجة لذيذة كنا بنعيشها مع بعض ووقت مابنتخلص.. كانت بتموت كل المشاعر اللى بينا ودا مايمنعش إنى بعزك بردو وإلا ماكنتش صارحتك

-إنت قولتلى كدة علشان أشوف حياتى وماوقفش حياتى عليك صح..أكيد دا السبب صح؟

-لا طبعا مش بس كدة..أنا خلاص هخطب واحدة زميلتى فى الجامعة الاسبوع الجاى ..بنت حلال ..متدينة ومؤدبة وعمرها ماعرفت شاب ..بنت

تشرف بصحيح وتنفع أديها كل ثقتى لو فكرت اخرج وأسبها لوحدها ...فعلشان كدة لازم إنتى كمان تشوفى حالك

ثم صمت قليلا ليقول...

أنا عارف إن كلامى صعب شوية...بس صدقينى كل الشباب تقريبا بتفكر زيي كدة ..بس مابيصارحوش ..هما بس بيخلعو بهدوء تحت أى حجة أو تلكيكة

نزلت كلماته على مسامعها كالصاعقة فندبت جرحا عميقا فى قلبها إلى أن شعرت بالإختناق وكأن روحها تريد أن تخرج وتحلق بعيدا عن جسدها ومن ثم..

____

انتفض جسدها وهى تخرج من ذكرياتها على صوت رنين الهاتف لتجده نفس الرقم المجهول الذى قام بالإتصال إليها من قبل ..فمسحت دموعها السابحة على وجنتها ثم ردت قائلة.

-ألووو..

ليرد عليها رجلا من الطرف الآخر قائلا..

-وحشانى جدا ياامهدا..

كان يبدو صوته إليها مألوفا ولكنها لم تستطع تمييزه فسألته..

-مين حضرتك؟؟

-الدنيا مالهاش طعم من غيرك ياامهدا ..حقك عليا أنا كنت غلطان ..أرجوكى سامحينى وتعالى نرجع لبعض تانى

****

الفصل الرابع والأربعون

"بين الحقيقة والشك"

هنالك كشفت عن هويته وعلمت تحديدا من يكون صاحب هذا الصوت إنه زوجها السابق عبد الله فردت قائلة..

-أسفة ..فات الآوان

ثم أغلقت الهاتف ونهضت لتستعد للذهاب إلى قسم الشرطة وتقوم بتسليم نفسها ثم يلحقها المحامى هانى وصديقتها غزالة ليقومان بأخذ إذن من النيابة العامة بالتسجيل مع إلحاقها بجهاز تصنت بداخل حقيبتها ..ثم تذهب إلى المحامى بعد الإتفاق على الخطة ولقد كان الرعب والخوف يغلف قلبها ...إن حياتها الآن أصبحت على المحك .. وبالفعل قامت بالذهاب إليه وتصنعت الثبات منادية الله فى أعماقها أن يكون معها ولا يخذلها.

-أهلا مدام مهدا..إذيك

تلامست أيديهما ليتصالحا بعفوية ومن ثم جلست فى مقابلته وهى تقول..

-الحمد لله

ثم جلس هو الآخر على مقعده وهو يقول...

-ها...قولتى إيه؟؟

قامت مهدا بفتح الحقيبة التى وضعتها على المكتب ثم قالت..

-فى إيه؟؟

-فى اللى اتفقنا عليه يامدام مهدا

-موافقة ...بس بشرط

-إيه هو؟؟

-تمسح التسجيل وتعتبر كإنك ماتعرفنيش ولا عمرك شوفتنى

-يااااه..بس كدة؟؟ عنيا

-خلاص..إتفقنا

-ماقولتليش صحيح..هو إبراهيم كان فعلا متأجر بيوت تانية غير البيت بتاع تهانى؟؟

فنظر إليها بخبث ثم قال بتحفظ

-ويهمك تعرفى حاجة زى دى ليه؟؟

فارتبكت حتى إحمرت وجنتيها ثم قالت..

-أبدا...مجرد فضول مش أكتر

-خلاص يامدام مهدا إبراهيم مات ..إدعيله بالرحمة

لم تستسلم..ولم تضعف عزيمتها ..فحاولت مرة أخرى بإستدراجه فى الحديث ...

-إنت هتخلص الإجراءات إمتى ؟

-يعنى قدامنا شوية ...لسه أما نروح المحكمة ونعمل إعلام الوراثة ونروح على البنك ونبلغهم بوفاة المرحوم ونعمل إجراءات تانية علشان الفلوس تبقى بإسمك..لسه قدامنا شوية

-ربنا يسهل ..واضح إن إبراهيم كان بيثق فيك جدا

-أيوة فعلا

-بس تعرف أنا مستغربة

-من إيه ؟ ؟

-إن بعد الثقة دى كلها اللى ادهالك وعملت معاه كدة ..أنا عالأقل كان ليا أسبابى ...إنما هو مافتكرش إنه قصر معاك فى شئ

فرد بحزم..

-هو الموضوع دة مش إنتهينا منه ياامدام مهدا ؟ ؟

عم الصمت ..بهتت الملامح ..وتوترت النظرات بينهما..مما جعلها تشعر بالإنهزام وبقلة الحيلة وكأن السماء قد وقعت فوق رأسها ثم بدأت تتخيل حياتها وهى داخل السجن ،وسنوات عمرها الباقية التى سوف تقضيها خلف قضبانه وما ذاد الأمر غرابة هو تحفظه الشديد إليها فى الحديث عن إبراهيم وصده عن ذكر ولو دليل واحد عن واقع جرائمه وكأنه يعلم بكل مايدور حوله وبكل ماتعتزم مهدا لفعله.

لقد كانت تبتغى الحذر الشديد فى سؤاله وكأنها تمر على قشر بيض خوفا من أن يفضح أمرها ويكشف كل ما تم التخطيط لأجله ..لذلك فلقد قررت الولوج إلى فرصة أخيرة للمحاولة فى إيقاعه ..فقالت..

-عارف؟؟ أنا كنت بحب إبراهيم ..لحد ماكتشفت كل حاجة عملها..بجد إحتقرته جدا ..خصوصا بعد مابعنى ليوسف

فزفر بعمق ثم قال..

-معلش يامدام مهدا..ماحدش بياخد أكتر من نصيبه

-فعلا..تفتكر إنه كان ناوى يبعنى لحد تانى؟؟

فعاد ليسند ظهره على مسند الكرسى ثم قال..

-الله أعلم..

-إنت ماكنتش عارف كل حاجة عنه؟؟

فصاح قائلا..

-مدام مهداا...أسألتك كترت

..فاارتبكت حتى شعرت ببعض التعرق على جبينها وهمت لتمسحه بمنديلا أخرجته من حقيبتها..فلمحت جهاز التصنت الذى وضع بعناية داخل حقيبتها ..فابتسمت له بمراره ثم رفعت بصرها إلى فايز متخذة قرار الإستسلام ثم قالت..

-أنا ماشية

-على طول كدة؟؟ طب إستنى أما تشربى حاجة

-معلش..لازم أمشى

فالتقطتت حقيبتها ثم نهضت عن مقعدها..تاركة خلفها أملها الذى ضاع فى تخفيف الحكم عليها ..وهمت بالخروج إلى أن أوقفها فايز عند طرف الباب قائلا...

-على فكرة إبراهيم كان بيحبك جدا

فشعرت بالأمل وهو يعود إليها من جديد ومن ثم إلتفتت إليه ثم إقتربت إليه وعادت لتضع حقيبتها أعلى المكتب ثم قالت..

-وهو حد يحب حد يبيعه لحد تانى؟؟

-إبراهيم كان بيحبك...بس حبه لنفسه وللفلوس كان أقوى..الفلوس ومصالحه الشخصية كانت عنده أهم حاجة ..هو ماعملش حاجة غريبة...هى دى بالظبط صفات القواد وطبيعته..ممكن يضحى حتى بأهله بمقابل إنه يرضى الزبون بتاعه ...ماعندوش مبدأ الغيرة أو الشهامة والرجولة ..عنده إستعداد يضحى بأقرب الناس ليه لو حس إنه مشكل خطر على حياته ...هو كان بيحبك بس ماكنش عنده إستعداد يخسر علشانك أى حاجة

-يعنى ماكنتش هيبعنى لواحد تانى غير يوسف؟؟

-لا ماظنش..هو أصلا فى البداية كان ناوى ياخدك ليوسف...بس اما حبك

غير خطته وأخدله بنت تانية ...وقرر يحتفظ بيكى ليه هو وبس...لحد أما جه يوسف وشافك ..ساعتها إبراهيم ماقدرش يقوله لاء أو يقف قصاده...لإن إبراهيم عارف كويس يوسف يقدر يعمل فيه إيه ..فضحى بيكى علشان خاطر هو يعيش ..إبراهيم حد جبان جدا ..بيؤمن جدا بمقولة عيش نملة تاكل سكر ..مهما كان اللى بيحبه دة روحه فيه ..نفسه دايما وأطماعه بتتغلب عليه

-وإنت؟؟

-أنا إيه؟؟

-خلصت عليه ليه؟؟

فضحك بسخرية ثم قال..

-أصلى ماحبتش أضيع تعبك إنتى وتهانى

-للدرجادى كنت بتكرهه؟؟

-لا خالص مش مسألة كره ..أنا بس ضربتها فى دماغى ولقيت إن موت إبراهيم فى مصلحتى أكتر من وهو عايش ..فقررت أنهى اللعبة كلها وارجعه بإيدى للموت تانى

-مش ندمان؟؟

-تفتكرى حتى لو كنت ندمان..بعد ماخد نص الورث هكون ندمان بردو؟؟

هنالك تدخل بعض العساكر وأحد الظباط ليقومان بالقبض على فايز بعد إستماعهم عبر جهاز التصنت إلى جميع إعترافاته التى ستكون سببا فى تخفيف الحكم عليها ومن هنا تم فتح القضية مرة أخرى لإعادة التحقيق فيها وأصدرت النيابة أمرا بالقبض على تهانى وحبس كلا منهما على ذمة التحقيق حتى يتم عرضهما على النيابة العامة بهيئة المحكمة للإستماع إلى دفاعهما والنطق بالحكم.

____

نزلت كلماته كالصاعقة والتى ندبت جرحا عميقا فى قلبها حتى شعرت بالإختناق وكأن روحها تريد أن تخرج وتحلق بعيدا عن جسدها ومن ثم قررت أن تغادر ذلك المكان الذى جمع بين خطاياهم والذهاب إلى الفندق للولوج إلى غرفتها ..والبكى على صدر فراشها لتفضى له بجميع أوجاعها ..ولتحكى له عن سوء حظها..حتى ذهبت فى نوم عميق ثم تستيقظ لتعود إلى واقعها ..فتذهب إلى المرآة لترى كم تدهور جمالها حينما رأت عينيها المنتفخة والمتورمة ثم عادت لتشعر بالإختناق أكثر مما كان ..حتى عملها بالمحل صارت تكرهه ..بل أصبحت تكره كل ما فيه ومن ثم أخذت تنظر إلى كل ماحولها بالغرفة..فترى فراش صغير بالكاد يسيعها ومنضدة صغيرة بأرجل غير ثابتة وكرسى خشبى وحيد يقيم بجانبها ..ثم تأتيها فكرة أن توافق بالزواج من ذلك الرجل سعيد والذى سيضمن لها معيشة كريمة دون عناء أو شقاء ..خاصة بعد ما تبين لها حقيقة أحمد والذى أصبحت تكرهه بشدة ..فقررت

الولوذ منه ومن كل ما يذكرها به إلى مكان آخر يجمعها برجل يكبرها بأكثر من عشرون عاما وإنها لتفضل ذلك عن بقائها فى مكان واحد يجمع بينها وبين ذابحها.

****

الفصل الخامس والأربعون

"أنين ثلاثينية"

تزوجته ،، ثم انتقلت معه إلى شقته الواسعة التى كان يفترشها أساسا ذو ذوق راق ومنظر خلاب ..إضافة إلى الأنتيكات صاحبة المظهر البراق والتى كانت لا تقل أقلها عن عشرة آلالاف ..لقد كانت كلما مرت بالشقة أو مشت فيها تشعر بالفخر الشديد تجاه أساسها..كانت تشعر بشئ قوى ينقصها ..شئ كلما فكرت به أو أحسه شعورها.. زادها وجعا وأرقا.

إنها هى..

هى من كانت ينقصها..

مشاعرها..إنوثتها..شبابها ..كانت تشعر بأن هناك شيئا بداخلها يعجزها عن الشعور بتلك السعادة الكاملة التى ترغب فيها ..إن مايدفعها إلى ذلك الشعور هو حقيقة أنثوية ترغب دائما فى من يستهلكها حتى آخر ذرة فيها.

-الجميل أخباره إيه النهاردة

قال ذلك سعيد فور دخوله من باب الشقة ..فردت بإبتسامة صفراء وهى تقول..

-الحمد لله

أتى إليها ثم جلس إلى جانبها وهى تقلب بملل بأحد مجلات الأزياء والموضة ..مما جعله يلاحظ تغيرها الواضح عليها ..فأتبع قائلا..

-مالك يامهدا؟؟

فقالت وهى تفر الصفحات بأناملها..

-مافيش

فوضع يده على كتفيها ثم ضمها إليه قائلا..

-لا..حببتى مش طبيعية النهاردة

فزفرت بنفاذ صبر ثم أزاحت يده عنها برفق ونهضت قائلة..

-أنا هدخل أحضرلك الغدا

لم تشعر بأنه ذلك الحبيب الذى سيشبعها بكل ماتحتاج إليه..إن عاطفتها تحتاج إلى الشباب لتعيش فيه..بكل أهوائه وجنونه ..إنها تحتاج إلى من يجعلها تصغر لا تكبر..تجن لا تعقل ..تشعر دائمًا بأنها خلقت من أجل أن تتغنج وتتدلل ..إنها لا تحتاج إلى عاطفة رجل جف فيه ماء الشباب ولم يعد لديه ماايعطيه ،، إنها لا تحتاج إلى رجل يأس من عاطفته وشاخت فيه مشاعره ثم لجأ إلى المال ليعوض كل مانتقص فيه ...إنها تحتاج فقط إلى أن تكون أنثى ..أنثى لرجل لديه من الشباب مايعطيه.

لقد عاشت معه ...برغم إحساسها ..إلا أنها كانت تحسد نفسها عن كل ما هى فيه ..لقد عاشت معه حياة من الرفاهية والغنى..فما أرادت شيئا إلا وكان يأتيها دون تردد ..إضافة إلى هداياه التى كانت لا تنضب..

إن شعور الكمال لديها كان ينتقص جزءا ..كان المال والرفاهية تخفيه ...إلى أن شعرت بالملل وبدأ تأثرها بكل ماهو حولها يضمر وينجلى ..حتى لم تعد تنبهر بشقتها الفخمة ولا ملابسها باهظة الثمن ولا سيارتها التى أهداها سعيد إليها مؤخرا..ولا هداياه النفيسة التى كان يدارى به عجزه..

نعم..لقد كان يشعر بالعجز كلما رآها وهى تزهر يوما بعد آخر..بينما هو كان يزداد عجازة وهشاشة..لقد شعر بأن العمر لا يساعده فى أن يسترجع معها شبابه ..ولقد كان يحاول بكل الطرق أن يسترضيها خشية من أن تمل وتكل أو تلجأ إلى هجرانه.

لقد أحبها ..أحبها كثيرا..وحاول أن يتعايش سنها ويفضى إليها بكل مافى سعته ..لقد كانت لما نظرت إلى المرآة ازداد بداخلها شعور النقص الذى تحسه وتعود لترتمى على الفراش لتقرر الهروب إلى نومها ..لتنفض عنها جميع أفكارها وهواجسها..إلى أن شعرت بالضجر..فقررت العودة إلى العمل هروبا من أفكارها ومشاعرها.

-الغدا جاهز..

قالت ذلك مهدا فور أن انتهت منه ..فرد سعيد قائلا وهو ينضم إلى الطاولة

-تسلم إيدك ياحبيبتى

-سعيد أنا فى الحقيقة عاوزة أفاتحك فى موضوع

إلتقط المعلقة ليغرسها بالطبق ثم يتناولها قائلا..

-خير ياحبيبتى...قولى

-أنا عاووزة أشتغل

فابتلع الطعام ثم قال..

-تشتغلى؟؟ تشتغلى ليه؟؟

-حاسة بملل وزهقانة أوى

-من إيه بس؟؟

-من كل حاجة ..عاوزة ألهى نفسى

-طيب روحى النادى

-النادى روحته كام مرة وماحبتوش ..الناس هناك غلسة وماحبتهمش

-طيب يعنى إنتى عايزة إيه؟

-عايزة أنزل معاك المحل وتعلمنى اشتغل معاك فيه

فاستمرت فى جداله حتى أخيرا رضخ إلى كل ماتريده وفى الغد شقت طريقها معه إلى المحل وأخذت تتعلم أسلوب التجارة والبيع ..حتى أصبحت تتولى كل مافيه ولا يقام أمرا إلا بمشورتها ..وفى يوما دخل المحل شابا فى نهايات العشرين ..ذو طول يافع ..عريض ..شعره ناعم ينسدل إلى عنقه ..ذو بشرة خمرية .. كان يبحث عن عمل...

فذهب أولا إلى مهدا التى كانت منشغلة بترتيب الحليات من الذهب داخل الفترينة ثم قال لها..

-لو سمحتى

رفعت مهدا بصرها إليه ثم نهضت عن إنحنائها وقالت وفى يديها سلسالا عتيقا من الذهب الخالص

-نعم...حضرتك تؤمر بحاجة؟؟

كان سعيد فى ذلك الوقت يأتى بدفعة جديدة من الذهب وفقا لطلبات الزبائن وما كان فى المحل سوى مهدا وشابا هزيلا يدعى سيد ..حديث السن يساعدها إن إحتاجت شيئا ومسؤل عن تنظيف المحل وكل مايحتاجه وأثناء ذلك كان سيد يقوم بتهذيب الذهب وتلميعه ..فرمقه ذلك الدخيل بنظرة تطفلية ثم أجابها..

-فى الحقيقة أنا بدور على شغل

فنظرت إليه باحتقار ثم قالت..

-وتفتكر كدة برأيك إيه الشغل اللى انت ممكن تشتغله معانا؟؟

فشعر بالسخرية والإستهزاء منه..فتحولت نظراته إلى غضب ثم قال..

-حضرتك بكل بساطة كان ممكن تقوليلى مش محتاجين حد أو للأسف ماعندناش شغل فاضى ..إنما ماتتريقيش وتستهزأى بكلامى بالشكل دة

أعجبت كثيرا برده وهو يدافع عن كرامته ..رافضا أن يحاول أحدهما العبث بها وبرجولته التى ترفض كثيرا أن يقلل أحد منها.. مهما وصل حده من الإحتياج إلى العمل ومهما وصل حده من الفقر...فهو لايزال يحتفظ بعزة نفسه وكبرياؤه مما ذكرها بها حينما كانت ترتجى عملا فى وقتا كانت الظروف تهددها بالشارع..لذلك فلقد قررت مساعدته

وقالت لتحتجم غضبه..

-على فكرة أنا ماقصدش حاجة..دا سؤال عادى

-خلاص ولا يهمك ..عن إذنك

وهم ليخرج إلى أن استوقفته مهدا قائلة..

-إنت بتعرف تسوق؟؟

فالتفت إليها ثم قال..

-أيوة ..كنت بشتغل سواق على ونش قبل كدة

-وسبتها ليه؟؟

-عادى مشاكل مع صاحب الشغل

-إسمك إيه؟

-باسم

-طيب..أنا محتاجة سواق لعربيتى..الأيام دى التركيز عندى مش تمام فمحتاجة سواق..ها قولت إيه؟؟

فوافق على الفور وأتى فى اليوم الذى يليه ليبدأ بالعمل ومن ثم أعطته مهدا مفتاح السيارة وبدأت الأيام إلى أن تجرى بينهما ..فيأتى إليها فى الصباح الباكر ليقوم بتوصيلها إلى المحل ثم يأتى لأخذها منه.

-مهدا حببتى..عاملة إيه

قال ذلك سعيد وهو يقاطعها عن عبثها بأحد المجلات وهى تجلس على الفراش ..فردت قائلة..

-الحمد لله ..إذيك إنت

-الحمد لله..أنا بخير طول ماحبيبتى بخير..

لم تعد كلماته تجد لها فى نفسها معنى... بماذا ينفع الكلام وهى لا تجد فيه أى إحساس ..كانت تشعر بأن مايدفعه إلى مغازلتها هو مجرد خوف أو إحتياج..خوفا من عمرا لم يساعده وإحتياجا يخاف من الهجر والفقدان ..كان هذا هو إحتياجه ..أما هى فكانت كلما صرخ بها إحتياجها ذهبت إلى المرآة ونظرت إليها بفقد وحرمان وكأنها تواسى نفسها ثم تنظر إلى جسدها وتتحسسه وكأنها تتفقد أنوثتها وتتأكد بأنها لم تمت بعد ..إمرأة ثلاثينية مثلها ..كانت ترغب كثيرا فى أن تعيش أنوثتها بين أعين رجلا شابا ..لاتزال قوة الشباب فيه..إن غرور جسدها كان يرفض كثيرا موقفها..كانت ترى أن جمالها لابد أن يجد من يستهلكه ويتمرغ فى حسنه ..لا يستحق أبدا أن يدفن بداخل أحضان هذا العجوز الذى يلهث من قبلة ..وأخذت تفكر فى

أحوالها وفى ذلك الشعور الذى دائما ماكانت تتهرب منه ..ولقد وجدت بأن الهروب من إحتياجها ليس حلا ...حتى العمل لم يمنعها عن الشعور به.

-إيه يامهدا...هنفضل كدة كتير؟؟ مش هننام؟؟

قال ذلك سعيد حينما وجد مهدا وهى تنشغل بتقليب الصفحات ..فنهضت لتطفئ الأنوار وهى تقول

-لا هننام طبعا...يلا تصبح على خير

أطفأت الأنوار ثم استلقت على الفراش وولت إليه ظهرها ..فااقترب إليها وهو يحتضن ظهرها ثم يقول..

-إيه دة إنتى هتنامى بجد؟؟

-أيوة ..إنت نسيت إنى بصحى بدرى

-لسه بدرى ..والليل طويل..عايزك تسهرى معايا شوية

-إنت مش قولت عايز تنام

-أيوة..بس ماقصدش ننام نوم يعنى

علمت مهدا بكل مايريده فاستدارت إليه بإستسلام ملبية رغباته ..والتى مهما كلفته لن تصل إلى ربع الشباب وجنونه.

أتى الصباح ..فاستيقظت مهدا على أثر خيوط الشمس التى كانت تنبعث من خلف الستائر..فنهضت نشطة ثم ذهبت إلى الشرفة لإستنشاق بعض

الهواء النقى ..لتجد باسم وهو يقوم بغسل السيارة فى نشاط ..وشعراته الناعمة وهى تترنح يمينا وشمالا ..ثم...

ـــــ

-محكمة

صاح منبها بعودة هيئة القضاة إلى مناصتهم للنطق بالحكم ..فعادت مهدا من الذكريات لتنصت جيدا إلى حكم القاضى ..حتى قال..

-بعد المرافعة والمداولة والإستماع إلى أقوال الشهود والأدلة المثبتة بالتحقيق ووفقا للمادة ٢٦٤ من قانون العقوبات.. حكمت المحكمة حضوريا على المتهمة تهانى عطية حجازى بالسجن لمدة ثمان سنوات مع الشغل والنفاذ والمتهمة مهدا عاطف السيد بالسجن لمدة ثلاث سنوات مع النفاذ والمتهم فايز عوض الله السيوى بالأشغال الشاقة المؤبدة...رفعت الجلسة

****

الفصل السادس والأربعون

"حياة وموت"

أتى الصباح ..فااستيقظت مهدا على أثر خيوط الشمس التى كانت تنبعث من خلف الستائر..فنهضت نشطة ثم ذهبت إلى الشرفة لإستنشاق بعض الهواء النقى ..لتجد باسم وهو يقوم بغسل السيارة فى نشاط ..وشعراته الناعمة وهى تترنح يمينا وشمالا ..ثم رمت ببصرها إلى زوجها سعيد الذى كان يغط فى نوم عميق وانطلقت ضحكة ساخرة من داخلها ثم عادت لتنظر إلى باسم بأريحية واسترخاء وهى تتأمل عضلات ذراعيه البارزة فى قميصه ..إلى أن جاءها صوت سعيد وهو يناديها ..فذهبت إليه بخفة وقامت بتجهيز الفطور ..وتناولاه حتى انتهوا منه ..ولقد كان من المعتاد أن يذهب سعيد إلى المحل أولا ثم تلحقه مهدا بعد أن تنتهى من أعمالها المنزلية وبعد أن تطمئن بأن كل شئ يسرى بطريقة مرتبة ونظيفة..فهى شخص منظم جدا وليست من محبين الفوضى.

بدلت ملابسها وبالغت فى أناقتها ثم خرجت من الشقة متوجهة إلى العمل ..فوجدت باسم وهو ينام على مقود السيارة ..فنقرت عدت نقرات رقيقة بأناملها على زجاج النافذة ولكنه لم يستيقظ ..فثنت عقلات أصابعها لتطرق بها بطريقة أشد..حتى إستيقظ ورفع رأسه عن المقود ونظر إليها بأعين ناعسة ثم فتح لها باب المقعد الخلفى ..إلى أن ركبت بالسيارة وانطلق بها إلى المحل كما يفعل كل يوم.

-إنت مانمتش إمبارح ولا إيه؟؟

سألته فور أن إنطلق بها بالسيارة ..فأجابها

-ايوة بصراحة كنت سهران إمبارح شوية

-إممم...إنت متجوز؟؟

-لا..بس كنت خاطب وماحصلش نصيب

فحاولت معرفة المزيد عنه وعن حياته ..فقالت له بنبرة مازحة..

-أوعا تكون إنت السبب

-يعنى هو مش بالظبط..بس حضرتك عارفة ظروف المعيشة وأنا حالتى على قدى ..فأهلها فاض صبرهم وفركشو الموضوع

-معلش..بكرا ربنا يعوضك بأحسن منها

-يامين يعيش..ربنا كريم

وإلى هنا انتهى الحديث ليعم الصمت حتى وصلا إلى المحل ونزلت عن السيارة لتدخل محل الذهب ثم تشاهد أحد الزبائن وهو يتحدث إلى زوجها سعيد ..فتركتهما ثم ذهبت إلى ركنا قريبا وجلست فيه وأعينها معلقة عليهما وبعد ثوان ..بدأت صورتهما إلى أن تبهت وتضمحل فى عينيها ..لتأتى صورة أخرى من مخيلاتها ..كانت بها هى وأحمد فى ظل أحضان الخطايا ،،

وشعرت بالحنين إليه ..لالا ...ليس إلى شخصه ، وإنما إلى إحساس كان يجعلها تحلق فى السماء. ..لقد شعرت بجسدها وهو يحن إليه ..لمساته..همساته..آثار قبلاته..أنفاسه..حتى تذكرت كل ماقاله فى المرة الأخيرة وبأنها كانت لاتتعدى شعور النزوة بالنسبة إليه ..فتعكر فكرها ولعنت عقلها الذى يتذكره بعد كل مافعله واكتظت ملامحها السارحة لتصبح عابسة..مختنقة ..وعادت لتنهر مشاعرها التى تشعر بمدى حقارتها حينما تذكرها به ..حتى شعرت بالضجر لينقلب مزاجها ولتكتشف بأن هذا اليوم لم يكن يومها..وقررت العودة إلى المنزل حينما علمت بأنها ليست فى مزاج جيد للعمل .

-سعيد أنا تعبانة شوية وهروح

-ليه ياامهدا مالك؟

-مرهقة شوية بس ومصدعة

-تحبى أجبلك دكتور؟؟

-لا أنا إن شاء الله هكون كويسة

-طيب تحبى أوصلك؟

-لا باسم موجود برا هيوصلنى .. سلام

دهش باسم بعد أن شاهدها وهى تخرج من المحل إنها لم تمكث بالمحل أكثر من نصف ساعة ...هذه ليست عادتها..وما من ثوان حتى ركبت بالسيارة وأشارت إليه بالعودة إلى المنزل ..فانطلق بها وحينما لمح الغضب فى عينيها ووجوم ملامحها عبر مرآة السيارة سألها قائلا..

-مالك يامدام مهدا.. فى حاجة زعلتك؟؟

فزفرت بضيق ثم قالت وهى تنظر إلى جانبى الطريق عبر زجاج النافذة..

-أبدا .. مافيش

-أمال مالك فى إيه ..حضرتك ماكنتيش كدة لما وصلتك..هو الحاج سعيد زعلك فى حاجة؟

-لالالا خالص..أنا بس تعبت شوية ..فقولت أريح فى البيت النهاردة

-ألف سلامة عليكى ..لو تعبانة أوى ممكن نمر على دكتور قبل ماروحك

-لالالا مالوش لازمة دا صداع خفيف وهيروح لحاله

كانت تشعر بالإختناق ..وكأن شيئا ما يخنق روحها ويقمض على نحرها ..لقد إنجلت سعادتها تماما ..حتى الجاه والمال لم يعد يسعدها ولم يعد يلقى بتأثيره البراق إليها ..حتى فكرت فى لحظة أن لاتعود إلى المنزل وأن تذهب إلى

مكان بعيد جدا لتصطفى فيه مع مواجعها وبالفعل إتخذت خطواتها فى التنفيذ وأمرته أن يذهب بها إلى كورنيش النيل!!

-الكورنيش؟؟

-أيوة..إطلع بينا على هناك

ذلك المكان الذى ربطها به أحداث ليلة مختلفة..كانت تحس فيها بشئ من برائة الحب ..لم تكن تعلم حقيقة إنجذابها إلى هذا المكان سوى أنها كانت تشعر فيه يوما ببعض الراحة ، وبما أنها كانت تبحث فى ذلك الوقت عن الراحة..فوجدت بأن هذا المكان هو الأنسب لذلك.

-وصلنا

قال ذلك باسم ..فنزلت عن السيارة ..لتقف على الكورنيش ثم تنظر إلى النيل بأريحية وهى تنتظر هبات النسيم التى تأتى من بعيد لتصطدم ببشرتها فتنعشها ، وحيال ذلك ..كان يجتاحها شعورا حزينا يخمد ملامحها ، وحينما تمادت بالوقوف..نزل إليها باسم ليقول..

-ماتعبتيش من الوقفة؟

فنظرت إليه ثم قالت..

-لاء

-ممكن أسأل إيه مضايقك؟

-مافيش كنت مخنوقة شوية

-ودلوقتى؟؟

-الحمد لله بقيت أحسن

-واضح إن المكان دة بيريحك جدا

-أيوة..تقدر تقول كدة

-طيب براحتك ..بس أنا عامل على تعبك من الوقفة ..إقعدى إرتاحى شوية

كان يوجد بالقرب منها أحد المقاعد الخشبية فذهبت لتجلس فوقه يرافقها باسم ليجلس جوارها وأخذا يتبادلان أطراف الحديث..من هزل وجد وفرح وبكاء ...إلى أن قامت فجأة بالصمت لتتأمل أعينه البنية الواسعة وخصلات شعره الناعمة التى كانت تداعبها نسمات الهواء ..فبهتت ملامحه مستعجبا من نظراتها إليه وانتظر حتى تتحدث أو تقول شيئا ولكن لم تنطق ..إلى أن قالت..

-يلا علشان زمان سعيد روح البيت

عاد بها إلى المنزل ولكنها هذه المرة كانت تجلس إلى جواره بالسيارة ومن ثم صعدت إلى شقتها وهى فى حالة من الإنسجام والراحة ..ومر اليوم بسلام..ليأتى يوما آخرا لتقرر فيه الذهاب إلى النادى ثم تصر على أن يرافقها إليه ..ثم يتكرر مجيئها إلى النادى يوما بعد آخر وهو برفقتها..إلى أن توطدت العلاقة بينهما واختلج بداخلها شعورا مقنعا من السعادة ثم عادت إلى طبيعتها

بعد أن ضمرت السعادة بداخلها.. وفى ذات الأيام رأته وهو ينظر إلى إحدى فتايات النادى ويراقبها بعينيه أينما ذهبت ..فسألته بدون مقدمات

-هى أحلى منى؟؟

لم يتوقع سؤالها ..فرد قائلا..

-وهاتفرق إيه؟؟

-أنا بسألك؟؟

-عايزة الحق؟؟

-أيوة

فقال مازحا

-هى أحلى طبعا

فوكزته فى كتفه بغيرة نسائية لتضحك ثم يبتسم لها ثم تصمت مرة أخرى تاركة لمشاعرها مجالا واسعا إلى أن تحسه بعبق كيانها ثم قررت أن تعود إلى المنزل وتدعوه إلى إحتساء كوبا من الشاى ..فيتردد قليلا ثم تطمئنه بأن زوجها سعيد لن يستطيع أن يأتى فى هذه الساعات المبكرة من النهار ..فيصعد معها إلى الشقة ثم تقوم بإعداد الشاى وتقدمه إليه فى فنجان ثم يكملان حديثهما المثمر لينقطع الكلام عند نظرات لاهثة لاتكف أبدا عن التمنى واللهفة ويقتربان إلى بعضهما فى غموض ثم ينغمسان بقبلة طويلة ينسى كلا منهما فيها نفسه ثم يذهب ويتكرر دعوتها إليه وفى كل مرة كان يسترق شيئا

من قبلاتها..فمرة يقبل خديها ومرة شفتيها داخل إطارا من المزح والهزل..لم يعطيان للأمر أى أهمية ..كان المهم لديهما أن يقضيان أوقاتا جميلة لايتدخل فيها أى تعقيدات ولا مسميات.

وفى ساعة من النهار وباسم برفقتها داخل الشقة رن جرس الباب ..فارتبك كليهما وإندهشت مهدا من عودة زوجها سعيد من عمله فى هذه الساعة المبكرة من النهار ....ثم قامت بإخفاء باسم داخل خزانة الملابس لتتكفل خروجه لاحقا..وفتحت الباب لتجده سيد الذى يعمل لديهما بالمحل وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة ثم يقول..

-إلحقى ياامدام مهدا..الحاج سعيد جاتله الأزمة ووقع فى المحل وودناه المستشفى

____

-مهدا عاطف السيد...مهدا عاطف السيد

كان يرددها أحد عساكر السجن أمام باب عنبر النساء . فالتفتت مهدا من ذكرياتها إلى مصدر الصوت لتجيبه قائلة..

-أيوة أنا

-تعالى ..جايلك زيارة

فذهبت معه لتجد صديقتها غزالة وهى تنتظرها فى مكتب مأمور السجن

...فتهافت عليها بالقبلات والأحضان الحارة ثم أخذت تتطمئن عن أحوالها وأحوال زوجها العاشر ..فتجيبها قائلة..

-زعلان منك أوى يامهدا..حتى ماقدرش يحضر جلسة النطق بالحكم

-أنا قولتله طلقنى ياغزالة ...أنا ماعرفش هو ليه معذب نفسه وماطلقنيش لحد دلوقت

-يعنى إنتى مش عارفة ليه؟؟

-حتى لو عارفة إيه الفايدة...أنا مش ناقصة عذاب على عذابى ياغزالة ..كفاية اللى أنا فيه

-طيب سيبك من الكلام دة دلوقتى وقوليلى عاملة إيه؟

-الحمد لله ..أهه ماشية

-هانت يامهدا..عدى ٦ شهور اهه شدى حيلك

-الشدة لله

عادت مهدا مرة أخرى إلى السجن بعد أن إنتهت الزيارة ثم مالت على فراشها الصغيربغرفة السجن ثم عادت لتتذكر...

-لا حول ولا قوة إلا بالله ..البقاء لله ياامدام مهدا

الفصل السابع والأربعون

"ضمير وعذاب وتوبة"

-لا حول ولا قوة إلا بالله..البقاء لله ياامدام مهدا

توفى سعيد آثر أزمة قلبية وتمت مراسم العزاء والدفن حتى جائت لحظة توزيع الميراث وتفاجئت مهدا بأن سعيد قد قام بتسجيل عقد المحل والشقة بإسمها وباقى الممتلكات أوصى بتوريثها إلى إبنته الوحيدة يسرا مما جعلها تشعر بالعار والخذى من نفسها ..لقد شعرت بأنها لا تستحق ..لا تستحق كل مافعله لها ..وعاد العذاب ليسترجع ذكرياته معها ..بعد لحظات أحست بها أنها ملكت الدنيا ومن عليها ، ولكن هذه هى الدنيا ..لا تعطى إلا لتأخذ ولا تفرح إلا لتبكى

تم توزيع الميراث واستلم كل ذى حق حقه ولكن لم تستطيع الفرحة أن تغدق قلبها خاصة بعد حادثة خيانتها لهذا الرجل الذى فتح لها بيته وآمنها على عرضه وشرفه ووثق بها لآخر لحظة ،ثم أخذت تسأل نفسها أين كان عقلها ..ضميرها..قلبها..إنه لم يستحق
هذا الرجل الذى أحبها بكل ذرة فيه لم يكن يستحق خيانتها أبدا.

وأخذت تتسائل

ماذا فعل؟؟

ماذا فعل لكى تقوم بخيانته ؟

ماذا فعل لكى تعض اليد التى مدت إليها وانتشلتها من الضياع والتعس ثم اتخذ ضميرها حذاه فى عتابها وتأنيبها وكأن الله سلطه عليها إقتصاصا لكل مافعلته ..حتى أصبحت تحتقر نفسها وتحتقر حياتها بكل ما فيها..فلم تعد تستطيع النوم ولم تعد تضحك ولم تعد تخرج من المنزل ...لقد عادت حياتها أصعب مما كانت ..حتى باسم أصبحت تكرهه ،وقامت بطرده من العمل حيث كانت كلما رأته ذكرها وجهه بأنانيتها وسفالتها .. ومدى تفاهتهاوحقارتها.

عذاب من نوع جديد يحتل قلبها محاولا التخلص من جميع آثامها وذنوبها ..إن بعض العذاب يطهر آخذا ثأر الذنوب ، وما العذاب سوى نارا متقدة تسعى بأرواحنا لتحرق جميع آثامنا وخطايانا.

لم تستطع مهدا أن تطئ أرض المحل منذ وفاته ..لكن بعد ثلاثة أشهر من الصدد والإحتقار لنفسها..قررت أخيرا أن تعود إليه ..باحثة عن شئ يلهى تفكيرها وإحتقارها الشديد لنفسها ولكن حتى بعد أن عادت إلى العمل.. نفس الشعور ونفس الإحساس ..هما نفسهما لم يتغيران ..فقررت البحث عن وسيلة أخرى للتخلص من هذا الشعور..ففكرت بأن هذا العذاب بالتأكيد ماهو إلا تسليطا من الله ..فراحت إلى تقربه وآلت إليه بالدعاء للتخفيف

عنها وعن عذابها ثم آلت إلى شدة القرب منه ..ونهضت فى إحدى المرات لإرتداء الحجاب لأداء الصلاة ثم نظرت فى المرآة لترى فى هذه المرة وجهها الذى أطفأت برائته واصفر لونه وهو يضمحل يوما بعد آخر ، ولم تنظر هذه المرة إلى جسدها ولم تحسد نفسها كما كانت تفعل من قبل.. فلم يعد هناك ماتحسده..بل لم تعد تجرؤ على النظر إليه ..لقد تدهورت صحتها تماما إلى أن جف عودها أثر الإرهاق والتفكير والبكاء ..ثم حنت إلى نفسها وطفولتها وبرائتها حتى قررت أن لا تكتفى بإرتداء الحجاب أثناء صلاتها فقط وإنما سيصبح معها ملازما أينما كانت.

تلك الراحة الساحرة التى كانت تأتيها عقب كل صلاة أصبحت تدمنها..ذلك الهدوء والإستقرار النفسى الذى كانت تحسه بعد كل صلاة والذى لم تعهده قبلا أصبحت تعشقه...لقد كانت مثل الذى ظمأ وارتوى ..مثل الذى ضاع ووجد ضالته ..مثل الذى مرض وأوجد الله له علاجا لمرضه..إن الصلاة بالنسبة إليها أصبحت حياة ..علاج لجميع أمراضها ..شيئا تعلم جيدا إن ابتعدت عنه ستذبل وتشقى.

كانت كلما إنتهت من أداء صلاة تنهدت بعمق ثم شكرت الله على هذه الراحة التى لم تذق حلاوتها قبلا..

ولم تتغافل ولم تتوانى عن ذكر أزواجها كمال وسعيد فى دعائها..حتى كلما جائت إلى زوجها سعيد بالذكر .. بكت كثيرا ودعت الله أن يرحمها ويغفر لها

جميع خطاياها ..كانت كلما بكت فى صلاتها شعرت وكأن جبالا من الهموم تذوب من على كتفيها..

أجربت قبلا أن تشكى إلى الله؟؟

أن تبكى وتشكى له جميع أوجاعك؟؟

هل جربت أن تحكى له أحداث يومك؟؟

أن تضحك وتخبره بما أضحكك وبما أحزنك؟؟

أجربت شعور الراحة حينما تشكو إلى الله؟

وأن تخبره ماذا فعل لك هذا العالم الظالم؟؟

إنه يعلم..يعلم بكل مايدور حولك ..ولكن حينما تستغنى عن العالم بأُكمله من أجله..وتقرر أن يكون هو ملاذك الأول والأخير ..حتما سيخفف عنك وسيشعرك بتلك الراحة التى مهما وهبت عمرا للبشر لن تحصدها.

لقد عادت تعمل بالمحل ثم تجتهد فى تجارتها ولقد عاد وجهها إلى أن يزهر وعاد عودها إلى أن يثمر وعاد حب الحياة إلى عينيها ولقد كان يبدو وجهها مثل البدر من كثر صلاتها وقيامها ..إلى أن جاء إليها أحد الزبائن..

رجل بين الأربعين والخمسين..لديه لحية كثة يختلط عليها بعض الشعر الأربيض..ذو وجه بشوش ..يرتدى جلبابا أبيضا وعمة بيضاء وبيده سبحة دائما ..ثم يستدعيها ليطلب منها وهو ينظر إليها باإستحياء.

-لو سمحتى يا أخت أنا محتاج خاتم بس يكون سعره مش عالى أوى

مدت يدها إلى داخل الفترينة لتتناول خاتما رقيقا ثم تضعه له أعلاه وتقول..

-إتفضل حضرتك ..دا سعره معقول

إلتقط الخاتم ثم تفحصه جيدا ثم قال

-طيب لو سمحتى ياأخت ..عاوز أسألك بس هو الخاتم دة ينفع لست كبيرة؟؟

-أة ينفع

-هو تقريبا المقاس مظبوط ..لو سمحتى حطهولى فى علبة كويسة وهاتيه

قامت بوضع الخاتم داخل أحد علب الهدايا الجميلة ثم لفتها وقدمتها إليه وأعطته السعر ..فأخرج إليها نقوده على الفور ثم أخذ الخاتم وذهب..

تكررت زيارته مرة أخرى ولكن هذه المرة سألها عن خاتما يصلح لإمرأة صغيرة السن ثم أخذ الخاتم و أخرج إليها نقوده ثم ذهب

..

لقد أصبح هذا الرجل زبونا دائما ..يأتى إلى المحل كل فترة لشراء قطعة مختلفة من الذهب ، ولقد راق إليها كثيرا تدينه فى التحدث إليها وحياؤه فى سؤالها ..مما أثار فضولها حول قطع الذهب التى يأتى كل فترة ليقوم بشرائها..إلى أن سألته ذات مرة..

-معلش بس عندى سؤال هو حضرتك تاجر دهب؟؟

فاابتسم إليها ثم قال..

-لا أبدا

مطت شفتيها ثم قالت..

-غريبة

-إيه الى غريبة

-أبدا مافيش

فضحك ضحكة صغيرة ثم قال..

-قصدك يعنى لما باجى كل فترة أشترى حتة دهب وامشى؟

-أنا أسفة مش قصدى أتطفل

-لالا أبدا مش تطفل ولا حاجة هو أى حد مكانك هيستغرب بردو..بس علشان أعرف حضرتك .. أنا كل فترة لما ربنا يكرمنى فى تجارتى بنزل أشترى قطعة دهب هدية مرة لحماتى ومرة لاختى ومرة لمراتى ومرة لأمى ...لإنى بثق إن كرم ربنا عليا دا بسبب دعواتهم ليا علشان كدة أنا نادر الندر دة بينى وبين ربنا..كل يكرمنى بجيب لكل واحدة فيهم حاجة وعلشان بردو مافيش واحدة فيهم تبص للتانية والحمد لله ربنا بيرزق

فأعجبها كثيرا إخلاصه إلى هذا النذر الذى بينه وبين الله ..ثم أخذت تتسائل ..هل يوجد أناس مثل هذا الرجل الطيب..هل يوجد أصلا من هم فى مثل بسالته وكرمه وتدينه حتى انتهى تفكيرها بقولها..

-الحمد لله

-تستاهلى الحمد..عن إذنك هروح أصلى العشا وجهزيلى السلسلة الى اتفقنا عليها لحد مارجع من الصلاة علشان ماتفوتنيش

كانت تحب فى ذلك الوقت كل متقربا إلى الله ..حيث كانت تجد معهم الأمل والحب..إلى أن قررت البدء فى حفظ القرآن الكريم ونظرا لأشغالها وإنهاكها فى العمل ..فكرت فى أن تطلب من ذلك الرجل الطيب مساعدتها فى حفظه..حيث أنها ليست بالعلم الكافى الذى يجعلها تقرأ وتحفظ القرآن بطريقة صحيحة..

وحينما عاد إليها وعرضت إليه أمرها..رحب كثيرا وبرغم أنها عرضت عليه المال..إلا أنه رفضه وأفاد بأن إسمه هاشم ..ثم أخذ يقرأ إليها جزءا لتحفظه ويمر عليها كل يومان لتسمع له ماحفظته واستمر الأمر على هذا المنوال وأخذ يتردد إليها كثيرا حتى فجأة...

-مهدا عاطف السيد

رددها كثيرا عسكرى السجن ..حتى تنبهت إليه مهدا الغارقة فى الذكريات ثم قالت..

-أنا..أنا اهه

-عندك زيارة تعالى

هذه الزيارة كانت من خلف قضبان السجن المخصصة للزيارات ..فنظرت فوجدته زوجها العاشر رامى ومعه طفل صغير لم تره من قبل ..فتهللت أساريرها ثم ذهبت إليه بلهفة لتمرر أناملها من بين القضبان لتلامس يده وهى تقول..

-رامى..إذيك

-الحمد لله ياامهدا إذيك إنتى

-الحمد لله..طمنى عليك

-أنا كويس وبخير..وحشتينى أوى ياامهدا

وفى هذا الوقت تذكرت ..تذكرت بأنها مسجونة متهمة بجريمة قتل ، ولا تستحق أن تحتفظ بزوج طيب مثل راكى فزهقت إبتسامتها وعربدت ملامحها مرة أخرى إلى الحزن ثم قالت..

-ماطلقتنيش ليه يارامى؟؟

-بردو هتزعلينى منك؟؟ أهو انا ماكنتش عايز أجيلك علشان كدة ..هتقعدى تقطمينى وماطلقتنيش ليه والكلام اللى مالوش لازمة دة

-وسمعتك يارامى وسط الناس وفى شغلك

-توز فى الناس ..هما الناس كانو عملولى ولا عملولك إيه يعنى ..مش كفاية

إن كل اللى بيجرالك دة بسببنا ..كمان هنبقى زى اللى بيقتل القتيل ويمشى فجنازته؟؟

-يعنى إنت مش عايز تطلقنى للسبب دة؟؟ إنك حاسس إنك جزء من اللى حصلى ؟

-مش هنكر إن دة سبب من أسباب تمسكى بيكى..بس هقولك إن السبب الحقيقى هو إنى ماعرفتش طعم السعادة ولا دوقتها إلا معاكى ومش هتنازل عنك ياامهدا.

غصب عنك مش هطلق.

فاابتسمت إبتسامة حزينة..كانت ترسى بها نفسها ثم تنبهت توها إلى ذلك الطفل الذى كان يعض على أظافره وهو ممسكا بيد رامى.. فرفعه رامى إليها قائلا..

-دا يبقى ذياد إبنى يامهدا ...إيه رأيك شبهى؟؟

فرق قلبها ثم عادت الفرحة إلى أن تملئ عينيها ثم قالت..

-ماشاء الله ..زى القمر

-بجد؟؟

-أيوة بجد

ثم حادث طفله قائلا..

-سلم ياذياد على طنط

فأقمضت على قبضته الصغيرة التى كانت تمسك بالقضبان ثم قبلتها وقالت بحب..

-إذيك ياحبيبى

فأجابها بخجل..

-الحمد لله..إذيك ياطنط

وكأن الحياة قد دبت فيها عند رؤية هذا الصغير ،وتمنت لو يرزقها الله بطفل مثله..لتعوض فيه كل الحنان الذى حرمت منه ولتجعله بين يديها وبين عينيها ولتحميه من هذا العالم الظالم ومن أنانيته.

فلا يرحم فى هذا الدنيا ولا يعطى حنانا عظيما إلا من ذاق قساوة الدنيا وشقائها

****

الفصل الثامن والأربعون

"القناع يسقط"

إنقطع عنها وانقطعت أخباره وكم تمنت لو سألته عن حياته وعن المكان الذى يسكن فيه حتى تستطيع بكل سهولة الوصول إلى عنوانه والسؤال عنه ولكنها لم تكن تعرف أى شئ عن حياته..فانتظرت أسبوعا ثم أخر ثم أخر ثم أخر ..حتى أصبح شهرين كاملين ..لم تراه ولم تعرف عنه أى شئ ...مما أثار القلق بداخلها وخشت أن يكون حدث له مكروها منعه من التردد إليها واستمر الأمر على هذا الحال..حتى أتى إليها أخيرا

ولكن هذه المرة كانت ملامحه توحى بالحزن الشديد والسقم والضيعة ..فسألته مهدا فور أن رأته..

-إذيك ياشيخنا...إيه الغيبة الطويلة دى

فنظر إلى الأرض بأأسف وحزن شديد ثم رفع بصره إليها ليقول..

-مراتى توفاها الله

فأشفقت على حاله حينما لمحت هذا الحزن وهو يعربد فى ملامحه فتعاونت معه

فى نظراته الحزينة ثم قالت..

-البقاء لله..كلنا لها

-الدوام لله

-لو أنا أعرف العنوان كنت جيت عملت الواجب وعزيت

-واجبك وصل ياامدام مهدا..

-لو محتاج أى حاجة ماتترددش فى إنك تقولى..إنت عندك أطفال؟

-لا..المرحومة كان عندها مشكلة فى موضوع الخلفة ..فربنا ماأردش

لأول مرة تعجب بشخص ..دون أن تستخدم مشاعرها.إن مايعجبها فيه هو شخصيته الجميلة.. المتدينة ..وإيمانه القوى بإرادة الله ورفضه إلى أن يتزوج مرة أخرى كما يفعل أى رجل فى مثل موقفه خاصة حينما يتعلق الأمر بزينة من زينات الحياة الدنيا.. ..فأى رجل يطمح دائما فى أن يكون لديه أبناء يحملان إسمه ويساعدونه فى مآزر الحياة ويساندونه فى حال كبره .....ولكن هذا الرجل!!

أيوجد فى زمننا هذا مثل هذا الرجل؟؟

هذا ماكانت تفكر به..إن عقلها يتحدث الآن وليس قلبها..ليس مشاعرها وحنينها..

إن رؤيته بهذا الحزن على وفاة زوجته..كان يصف درجة حبه الشديد إليها وصلة الحب والود التى كانت بينهما.

-ربنا هيعوضك خير إن شاء الله.

قالت ذلك مهدا بصوت مشفق ..حزين..فرد إليها قائلا.

-كله خير بإذن الله

أصبح بعدها كل شئ يسير كما كان وعاد ليمر إليها كل يومان ويساعدها فى حفظ القرآن ..ومرت الأيام وفى كل مرة كانت تزداد إعجابا به كلما كان يحدثها عن الله والدين ..كانت ترى فى كلامه عن الله حلاوة يقشعر لها البدن وترقرق لها الدموع...خاصة حينما كان يفسر لها آيات القرآن فى التأمل والتدبير ..لقد أضاف وجوده فى حياتها رونقا جميلا ..كان كلامه عن الله يحثها دائما على الإبتسام والراحة النفسية ..وكأنها كانت تحب الله منذ زمن ولكنها لم تكن تعلم بحبها إليه حتى تلك اللحظة التى عرفته فيها.

-مدام مهدا..أنا عاوز أفاتحك فى موضوع كدة

قال ذلك هاشم فى أحد المرات التى تردد فيها إليها..فردت قائلة..

-إتفضل

-أنا بس عايز وعد منك إنك مش هتزعلى ولا هتتحرجى من الموضوع اللى هكلمك فيه ..ولو ضايقك إعتبريه أُكنك ماسمعتهوش

-خير ياشيخ هاشم..قول فى إيه قلقتنى

-هو أنا عايز أعرف بس لو واحد زيي إتقدملك للجواز ممكن توافقى؟؟

فبرقت إليه بعينيها وكأنها لاتصدق ماتسمعه ثم قامت بإرخاء ملامحها ثم

قالت..

-مين ..أنا ؟؟

-أنا مش عايز الرد دلوقتى..خدى المهلة اللى إنتى عايزاها وأنا تحت أمرك ..وزى ماقولتلك لو مافيش نصيب ..إعتبرى أكنى ماقولتلكيش حاجة..

تتزوج مرة أخرى؟؟

هذا ماقالته لنفسها ..إن مسألة الزواج لديها أصبح أمرا معقدا..لقد كانت فى كل مرة تنجبر على زيجاتها بفعل الظروف ولكنها الآن لم تعد تحتاج أن تتزوج.

لقد ذاقت فى القرب من الله حلاوة تجعلها تستغنى عن الدنيا ومافيها ولكن..أثناء ذلك ..لمح عقلها جانبا رصينا لمدى قوتها وقوة إيمانها إن أصبحت زوجة هذا الرجل الذى يحب الله وعلى علم تام بكلماته وتعليماته ..إنه رجل دين قولا وفعلا..فحتما لن يضللها، وحتما لن يظلمها ، وحتما لن يحاول الجور على حقها..

وأخذت تذهب بخيالها إلى أجواء دينية ستعم بأرجاء منزلها وبهذا المنزل الذى ستمتلئ أرضيته ببركة الصلاة والقيام وحياتها التى ستصبح أكثر تدينا وأخلاقا.

لقد نظرت إلى زواجها منه ..بلمحة دينية ..جعلت قلبها يطمئن بأنه حتما سيراعى الله فيها وسيعينها على القرب منه وسيعاملها كما يرضى الله

ورسوله وكما تقول سماحة الإسلام ، وتم الزواج بالفعل بعد أن إشترطت أن يكون منزلها هو عش الزوجية الذى سيسكنان فيه وجرت الأمور على مايرام بادئا ثم قام بالعمل مكانها فى محل الذهب ..حتى بدأ كل شئ لينقلب على عقبيه..

-مالك ياا هاشم

قالت ذلك مهدا فور أن دخل إليها مهموما مغموما ..فرد إليها قائلا..

-أبدا مافيش

-فى إيه يااهاشم مالك ..إحكيلى

-محل القماش بتاعى مسك فيه ماس كهربى خلاه يولع

فلطمت لطمة قوية على صدرها ثم قالت..

-ياستار ياارب ..ودا من إيه

-النصيب بقى يامهدا ..الحمد لله

فهدهدت على كتفيه ثم قالت بحنان..

-فداك كل حاجة..المهم إنت ..معلش ماتزعلش..قدر الله وماشاء فعل وكفاية عليك شغل محل الدهب

-فعلا..الحمد لله على كل حال

ثم بعد يومان أتى إليها والفرح يطل من عينيه ..مما أثار دهشتها ..لتسأله عن سبب كل هذا الفرح فقال لها..

-أنا مبسوط أوى ياامهدا

-خير..يارب دايما

-المصنع وافق يدينى قماش جديد ..لحدماربنا يكرمنى واسددلهم المبلغ

-إيه دة...بجد؟؟ مبرروووووك

ثم بعد وهيلة غامت سعادته ..ليقول..

-بس فى حاجة كدة عاوز أكلمك فيها

-خير ..قول

-المصنع وافق يطلعلى القماش بس بضمان

-مش فاهمة!!

-يعنى عايزين ضمان علشان يقدرو يطلعولى البضاعة

-طيب وهتجبلهم الضمان دا منين

-أنا فكرت وقولت مااحدش هيعرف يساعدنى غيرك

-أساعدك إزاى بس

-هو بس توكيل صغير منك كدة بالمحل بيع وشرا ..أبعتهلهم ضمان ..لحد مافك زنقتى وبعدها إبقى إلغى التوكيل براحتك

-أيوة..بس..إنت متأكد إنك هتقدر تجمعلهم المبلغ؟؟

-أيوة طبعا ياامهدا..مش معقولة أعرض المحل بتاعك لخطر زى دة..إلا لو كنت متأكد من المكسب

-طيب..خلاص اللى تشوفه..

لم يكن يوجد مايثير الشك لديها..فهى إلى الآن لم ترى منه إلا كل خير ..ومرت الأيام حتى وقعت الصدمة

-المحل خسر..ومااقدرتش أسدد المبلغ فى الميعاد المكتوب فى العقد فرفعو قضية بالحجز على محل الدهب

فلطمت على صدرها بفزع ثم قالت..

-إيه؟؟ إنت بتقول إيه؟؟

-اللى سمعتيه ..المحل بتاع القماش خسر

-طيب أنا ممكن أتصرف فى الفلوس اللى عايزنها

-أنا قولتلهم ورفضو ..العقد كان بينص على إنهم ليهم حرية التصرف فى المحل بعد الفترة المحددة فى العقد

-والمحل بتاعى والدهب؟؟

فنظر إليها بصلابة ثم قال..

-ربنا يعوض عليكى

فصرخت فى وجهه قائلة..

-ربنا يعوض عليكى؟؟ ضيعت المحل اللى حيلتى وتقولى ربنا يعوض عليكى؟؟

فصفعها صفعة قوية إرتدت على الأرض من آثارها ثم قال..

-أنا واضح إنى دلعتك كتير ..من هنا ورايح هتشوفى وش تانى خالص ..أنا هعرفك تردى على جوزك وتعلى صوتك عليه كدة ازاى

لم تصدق ماتراه..بل لم تشعر بما تحسه..أهذا هو هاشم؟؟

رجل الدين والأخلاق؟؟ أهذا هو الرجل الذى كان يتحدث عن الأخلاق والفضيلة؟؟

أهذا هو الرجل الذى كان يتحدث عن الله والدين؟

أهذا هو الرجل الذى كانت أفعاله لاتتحدث إلا عن التقوى والورع!!

كانت مذهولة..مشدوهة الأحداق ..لم تكن تحس بوقع الصفعة على خدها من هول الصدمة إلى أن بدأت الدموع إلى أن تهطل على خديها ..ونهضت سريعا لتنظر إلى المرآة ولتشاهد تورم خدها الذى لم تعد تشعر بوجوده ...ثم فوضت الله فى أمرها وأخذت تلقى إلى ماحدث أعذارا ربما استطاعت بها خداع عقلها لكنها فى نفسها..تعلم يقينا بأنها خدعت فيه.

كانت كلما أحست بشئ يضيق بصدرها هربت منه إلى الصلاة ودعت الله ليخفف عنها ..أما هو فلقد تغيرت معاملته تماما... حتى أصبح لا يعاملها إلا بالغلظة والقسوة والصراخ والضرب ..لقد كشف أخيرا عن وجه الشيطان الذى كان يخبوء خلف أقواله وأفعاله الملائكية..وحينما ضاق عليه الحال ولم يعد يجد مايملكه للإتجار فيه ..أخذ منها عنوة جميع أساورها وذهبها ليقوم

ببيعه وليقوم بإعادة فتح محل القماش من أجل الكسب منه ..إلى أن طلبت منه الطلاق ولكنه رفض.

لقد أخذ كل مالها عدا هذه الشقة التى كانت تقطن فيها ..وفكرت بالهروب ..ولكنها قررت المواجهة..لن تتخلى عن حقها مرة أخرى ولن تتنازل عنه ..حتى تركته ينزل إلى عمله ثم توجهت إلى البنك ..حيث كان لديها مبلغا بسيطا فى حسابها الخاص قد تغافل هاشم عنه و أخذته ثم ذهبت به إلى محامى المرحوم سعيد وقامت برفع دعوة طلاق وبعد كثير من المنازعات...إتضح لها بأنه رجل هارب من العدالة ..يقوم بعمليات نصب باسم الله والدين وأنها لم تكن الزوجة الثانية كما كان يقول..وإنما كان لديه عدد هائل من الزوجات قام بالنصب عليهن بنفس الطريقة ...كان فى كل مرة يبتكر إسما جديدا ببطاقة مزورة وما كان محل القماش سوى ساترا له ليخفى تحت طائلته جرائمه والذى لم يندلع به حريقا كما كان يقول وإنما هى خطة للإستيلاء على محل الذهب .. حيث قام ببيعه لنفسه عن طريق التوكيل ثم قام ببيعه إلى رجل آخر ...وتوالت عليها الصدمات واحدة تلو أخرى حتى أخيرا إستطاعت التخلص منه بعد أن زج بالسجن ونطق الحكم لصالحها..

____

-لولولووووووى..مبروك ياامهدا..ألف ألف مبروك

إنطلقت الزغاريد فور ان خرجت مهدا من السجن بعد ثلاث أرباع المدة ..حسن سير وسلوك ...ومن ثم قام باستقبالها صديقتها الوفية غزالة وزوجها العاشر رامى مع طفله الصغير ذيااد ..فتهللت أساويرهم فور رؤيتهم لها وأحست فور خروجها وكأن حمل من الهموم قد زال عن قلبها ..أو كأنها طفلة ولدت من جديد ..وانطلق بها رامى إلى شقته التى لم تطئها إلا هذه اللحظة ..وكان أول ماذهبت إليه هو الفراش فأخذت تتحسس نعومته ثم مالت عليه لتغمض عينيها ولتذهب فى نوم عميق..

إستيقظت على صوت رنين الهاتف ..لتنظر إلى الهاتف ولتجد رقما مجهول الهاوية ثم تقوم بالرد..

-ألو؟؟

ليجيبها رجل من الطرف الآخر ليقول

-مع حضرتك محامى الاستاذ أحمد فتحى هو طلب منى أكلمك وقالى أبلغك إنه عاوز يشوفك

بيقول عاوزك فى موضوع مهم جدا

-حاجة إيه وهو فين؟؟

-فى الحقيقة معرفش هو عايزك فى إيه.. .بس عامة هو محجوز فى قسم الشرطة فى الأزبكية على ذمة التحقيق..أرجوكى ما تتأخريش ..اة بالمناسبة ..مبروك الإفراج

الفصل التاسع والأربعون

"العودة إلى الماضى"

ذهبت إليه وفى خطواتها إليه قلق وتردد ..كانت تفكر بماذا بعد ..ماذا بعد أن تلقاه وتلقى مصيره المخزى بالسجن ..ما ذلك الشئ الذى يرغب بالتحدث إليها فيه....إلى أن وصلت إلى القسم المذكور وطلبت مقابلته ..فأتى إليها وعلى كتفيه قبضة رجل ذو شارب غظ ينادونه بالعسكرى ومن هنا تلاقت أعينهما..لترمقه بنظرات باهتة..تريد من خلالها إكتشاف ما وراء إلقاء القبض عليه ومن هنا طلبت من الظابط أن يتركهما وحدهما..

-إذيك يا أحمد

قالت ذلك مهدا فور أن خرج الظابط فرد قائلا..

-الحمد لله يامهدا..الحمد لله على كل حال

-مالك..وفى إيه ..إيه اللى جابك هنا

إقترب ليجلس على مقعد أمامها ثم قال والأسف يدنى جبينه..

-أنا قتلت مراتى

فبرقت إليه بعينيها ثم قالت..

-إيه؟؟ ليه كدة؟

-إكتشفت إنها بتخونى مع واحد كانت تعرفه قبلى وكانت بتروحله البيت كمان..

-وعرفت إزاى؟

-لاحظت فى الوقت الأخير إن تصرفاتها ابتدت تتغير وخروجها كترت وبتخرج كتير فقررت أراقبها وامشى وراها..ولما عملت كدة بصيت لقيتها بتدخل عمارة فدخلت وراها لحد مالقتها بتركب الأسانسير فطلعت عالسلم لحد مالاقيت الأسانسير وقف ..فااستخبيت ورجعت كام سلمة علشان ماتشوفنيش فلقتها بتخبط على شقة فى الدور وبيطلعلها راجل كان أول مرة أشوفه وأول ماشافها ضحكلها وقالها إتأخرتى أوى ..كل دة علشان تخلعى من جوزك المغفل؟؟

بعدين ضحكتله ودخلت معاه الشقة

كلمة جوزك المغفل دى رنت فى ودانى كتييير أوى وقعدت شوية أفكر فيها لحد مابدأت أستوعب إنى فعلا كنت مغفل طول الفترة دى ..فجرى الدم فعروقى ..ماكنتش شايف قدامى ..قعدت أخبط على الباب بهسترية فظيعة...لحد مافتحلى فزقيته من قدامى ولفيت الشقة كلها وانا بدور عليها...لحد ماوصلت للمكان الى ماقدرتش أمسك نفسى وأعصابى فيه..لقتها فى أوضة النوم نايمة على سريره ..اول ماشافتنى نادت بإسمى وارتعبت ..فالراجل اللى كان معاها عرف انى جوزها وبطل يحاول إنه يمنعنى..لحد

مامسكتها من رقبتها وقعدت أخنق فيها ..فخاف وجرى زى الجبان على برا ..ماخدتش دقايق إلا وروحها طلعت فى إيدى ..مارضيتش أهرب..استنيت لحد اما الناس جت على أثر الخناق والزعيق وطلبو البوليس واتقبض عليا..

-وليه ماهربتش؟؟

-حسيت إنى كاره الدنيا باللى فيها ومش حابب الحياة ..كان فى إستسلام كبير جوايا ويأس ماكانش مخلينى أفكر فى إنى أهرب

-ما كانش فى بينكم أطفال؟

-لاء..إكتشفت بعدين إن الهانم كانت بتاخد حبوب منع الحمل علشان ماتخلفش منى وإكتشفت كمان إنها كانت مغصوبة عليا من أهلها..ياااااه ..أنا عانيت كتير أوى

فنظرت إليه بإستفهام ..فعرف ماتود قوله.. فأردف قائلا..

-أنا عارف إنك بتقولى دلوقتى. طيب وأنا مالى بكل دة..فى الحقيقة أنا طلبت أشوفك علشان أقولك إن ربنا أخدلك بحقك منى..تقريبا اللى حصلى دا رسالة من ربنا بيوضحلى فيها..إن الواحد مهما غلط هييجى يوم ويسدد تمن خطاه وإن الواحد مهما كان حريص على أهل بيته حتى لو مالهمش ذنب فيها هيكونو حصاد أعماله وغلطاته ..الزمن هيدفع التمن بيهم وهيكونو سبب فى إن شوكته تتكسر وتتهان زى ماظلم وكسر ناس كتير قبل كدة.. أنا كنت بغلط كتير وبضحك على بنات كتير مانكرش وانتى كنتى واحدة منهم فى إعتقادى

إن البنت هى اللى بتحب كدة..بتحب تصدق دايما اللى بيضحك عليها وبيخدعها ..كنت بقول هى لو مترتبية مش هتديلى فرصة أو مجال لإنى أتكلم معاها أصلا ..كنت بجيب دايما الغلط عليها وإنى راجل ومافيش أى غلط عليا وإنى من حقى أعمل اللى انا عايزه..كنت بدور كتير لما فكرت بموضوع الجواز على بنت ماكانش ليها تجارب قبل كدة ..بنت تنفع تكون أم لولادى..مافيش فى تاريخها غلطة ..ونسيت إنها هى كمان من حقها تدور على راجل صالح ينفع يكون أب لولادها.. نسيت لما ربنا وضع حد الزنا.. مافرقش فى العقاب بين راجل وست ..اللتنين غلطانين واللتنين يستحقو نفس العقاب .. نسيت إن زى ماهى قبلت تخلينى ألمسها وأسرق منها حجات مش من حقى ... أنا كمان كنت قايم بدور الشيطان اللى بيزن على دماغها وبيلعب بعقلها وبمشاعرها علشان تتخلى عن شرفها ...ويمكن لو ماكنتش عملت كدة كانت فضلت زى ماهى لخالها

أنا كنت أنانى جدا ووجعتك كتير يامهدا زى ماوجعت بنات كتير قبلك..صدقينى أنا كنت مغيب ..خيانة مراتى دى فهمتنى حجات كتير أوى كان لازم من زمان أفهمها

ربنا جازانى يامهدا وخلانى أشرب من نفس الكاس ..لما وقعنى فواحدة كانت بتحب واحد غيرى وبتخونى معاه ..لدرجة إنها ماكانتش عايزة تخلف منى..شوفتى لدرجة إيه؟؟ تفتكرى دى حاجة سهلة عليا؟؟

وكنت اقعد أقول انا معايا بنت ناس.. محترمة وافتخر بيها أوى قصاد كل الناس وفى الآخر طلعت مغفل وكل دة كان وهم ..فى الحقيقة أنا طلبت اشوفك بردو علشان أديلك فرصة تتشفى فيا وعلشان تعرفى بس إن ربنا مابيسيبش.

بهتت ملامحها..سهدت فى ذلك الفراغ الذى كان بجانبه لترى ذكريات مرت على أعينها وهى تبكى وتزرف من الدموع حينما تخلى عنها ثم عادت إليه ببصرها وقالت بإبتسامة مواسية..

-اللى حصل حصل..المهم اللى جاى

-يعنى مسمحانى يامهدا؟؟

سكتت..لم تستطيع أن ترد..إنها لم تنسى أبدا بأنها أيضا قد دفعت الثمن..إن السماح من باب أولى أن يكون من الله..

إنها أذنبت مثله تماما..على ماذا ستسامح؟؟

لقد كانت جزءا مسؤلا لايستهان به فى حق الخطيئة .. لقد كان بإمكانها أن تقول لا..أن تغلق الباب أمام الشيطان فور أن دق إليها ولكنها استسلمت ..فعلاما الأن ستسامح؟

هذا ماكانت تتخاطره ..وما أحست بنفسها إلا وهى تبتسم إليه ثم تقول برضى..

-ربنا يسامحنى ويسامحك

خرجت من القسم وهى تتذكر كل ماعاشته وكأنه فيلما تستعيد أحداثه بكل تفاصيله وسارت هائمة ...سارحة..لاتعلم هل استقلت سيارة أم تسير على الأقدام حتى وقعت أقدامها أمام مستشفى العباسية ..فتذكرت بهجت وفكرت بأن تلقى إليه نظرة ولو أخيرة أو أن تستميحه فى حقدها الشديد إليه...عله يعقل أو يسمع...فدخلت إلى هناك ونظرت لتجده فى نفس المكان محدقا بسور المستشفى..فتذهب إليه ثم تجلس إلى جانبه وتلقى إليه السلام..لكنه لم يرد ...فتنظر إلى محل أنظاره وتتأمل معه ذلك السور العتيق الذى كان يحتافه أسلاكا شائكة ..ولا تدرى ماا كان سر هذا السور الذى أخذها برحلة عبر الزمن الماضى..لتتذكر....

____

-يعنى إيه ياأستاذ محفوظ...خلاص كدة مش هعرف أرجع المحل تانى؟؟

قالت ذلك مهدا بعد أن إلتقت بمحفوظ محامى زوجها السابع سعيد فرد إليها آسفا..

-هو كان ينفع ترجعيه فى حالة واحدة لو كان معاكى المبلغ الى أخده هاشم من الراجل اللى إشتراه

فأطرقت رأسها إلى الأرض بأسف ثم قالت بقهر..

-للأسف مامعييش

-يبقى ربنا يعوض عليكى

عادت إلى منزلها بعد أن إنهزم بداخلها كل أمالها ..والتجأت إلى الفراش لتميل بجسدها المنهك عليه وأخذت تبحلق بسقف الغرفة وهى تتنهد بتعب وفى حين ذلك مال عقلها إلى أن تتذكر أبيها..هذا الرجل الوحيد الذى أحبها دون أن يطمع بها وأغدقها بمشاعره الحنونة..الطيبة دون أى مقابل ..كانت تفكر بماذا لو..ماذا لو لم يمت ويتركها وحدها ..هل سيكون هذا حالها ؟ هل ستتبدل الأقدار ؟ هل ستنجلى جميع مآاسيها وشقائها؟

ثم عادت لتفكر فى تلك المخلوقة التى مهما رأت لن تجد من هو فى مثل عطفها وحنانها..إنها تلك الأم ..الحضن الدافئ التى حرمت منها وهى فى سن مبكرة ..

أخذت تتذكر بعض ذكريات الطفولة وكيف كانت حياتها قبل أن تتقلب رأسا على عقب ..فتبتسم تارة ثم تكتئب تارة حتى انسحت دمعة يتيمة على خديها وزفرت بتعب وتمنت لو كانت تحتفظ ببعض صورهما..لقد اشتاقت إليهما ..حنانهما ..عطفهما..حتى إبتسامتهما..لقد اشتاقت أيضا إلى ذلك البيت الذى تكونت فيه طفولتها وعاشت فيه كل لحظات أفراحها وبكائها ..إنها تشتاق إليه بكل ذرة فيها ، ولقد جرفها إشتياقها إلى الحنين إليه ..ومن ثم

رنت الفكرة فى عقلها وأخذت تتذكر ليلة هروبها من المنزل وضعفها الهش أمام عمها وإمرأة أبيها..لقد كانت طفلة حينها يسهل هزيمتها ولكنها الآن تستطيع أن تأتى بحقها بكل سهولة ..لقد ملت الهرب..سئمت تلك الحياة المخيفة التى تعيشها..إنها تريد الإستقرار..العيش المتبقى من حياتها تحت كنف موطنها ومنزل أبيها..فقررت الرجوع..العودة إلى ماضيها لتحاول إصلاحه ومواجهته حتى لو تطلب الأمر زجها فى السجن فيكفيها شرفا بأنها كانت تحاول إسترجاع حقوقها..فنهضت عن الفراش بعزيمة ثم وقفت أمام المرآة ونظرت إلى عينيها بتحدى ثم عدلت من ثيابها وشقت طريقها إلى ذلك المنزل الذى هربت منه طوال هذه السنوات.

إنها الآن تقف أمامه...هذا المنزل الذى أضحى مبناه قديما ..أخذت تتأمله لدقائق ..بفقد...باشتياق ..لتلك اللحظات الجميلة التى عاشتها فيها ..حتى تحركت قدماها لتعدو إليه بخطوات بطيئة وما من ثوان حتى وجدت نفسها أمام بوابة المنزل ورفعت يدها لتضغط على الجرس وليخرج إليها رجلا شابا طويلا من الواضح بأنه فى أوائل الأربعينات أو أواخر الثلاثينات...فيسألها فور أن فتح البوابة..

-نعم؟؟ أقدر أساعدك بحاجة؟؟

فرمقته بنظرات غامضة ثم قالت بتردد

-مش دا بيت عمى صابر؟؟

فنظر إليها من عاليها لأسفلها ثم قال..

-عمك؟؟

-أيوة

-أنا مش فاهم حاجة..بس عامة أيوة هو دة فعلا بيت الحاج صابر...تؤمرينى بأى خدمة؟؟

-معلش هو أنا ممكن أعرف حضرتك مين؟

-أنا إبنه رامى

****

الفصل الخمسون

"الجزء الأول"

موطنى

-أنا إبنه رامى
فنظرت إليه بذهول ثم قالت
-يااااه..شكلك إتغير أوى يارمى..انا مهدا مش فاكرنى؟

فضيق بعينيه قليلا محاولا إكتشاف تلك الملامح التى شك بأنه يعرفها ..ثم قال فور أن عرفها..

-مهدا؟؟ بنت عمى عاطف؟
-أيوة
فسألها بنبرة قاسية..
-وياترى إيه اللى جابك
فقالت باستغراب..
-إيه؟؟ بقى دى المقابلة اللى المفروض تقابلنى بيها يارامى بعد السنين دى

كلها

فاستمر قائلا بنفس نبرته القاسية..

-واحدة خاطية مرمطت راسنا فى الوحل..متوقعة أقابلها إزاى؟

-خاطية؟؟ علشان رفضت اتجوز واحد مش عايزاه أبقى خاطية؟

-أيوة بقى إنتى جاية تعملى الشويتين بتوعك دول بعد مالشملول طردك علشان تصعبى علينا ونوافق تقعدى معانا صح؟ لاء دا بعينك ..إرجعى يالا مطرح ما كنتى

هنالك تدخل صوت صابر عم مهدا ليصيح قائلا وهو بشرفة الطابق العلوى.

-فى إيه يا رامى ومين دى؟

فردت مهدا قائلة..

-عمى صابر لو سمحت إنزل أنا عايزاك

نزل إليهما بعد أن إرتدى عبائته الوقورة ثم تسائل فور أن وصل إليهما..

-فى إيه؟؟

فابتلعت ريقها ثم قالت بوهن..

-أنا مهدا ياعمى..مش فاكرنى؟؟

حملق بها كثيرا وأخذ ينظر إليها باستنكار ثم رفع كلتا حاجبيه بغضب فور أن تأكد من صحة كلامها وقال بغلظة..

-جاية تانى ليه؟؟ إحنا من يوم ماهربتى مع الواد الى هربتى علشانه وإحنا اعتبرناكى متى ..عايزة مننا إيه؟

فسألته

-مين الواد دة؟

فتدخل رامى قائلا..

-اللى كان مستنيكى فأخر الشارع يااهانم ..اللى هربتى من عريسك وأهلك علشانه

-إنتو بتقولو إيه.. الكلام دة كدب..أنا ماهربتش مع حد

-والله؟ والناس اللى شافوكى وإنتى خارجة معاه من المنطقة وانتى بالفستان ..كدابين بردو؟؟ إنتى فضحتينا يااهانم ومرمطتى راسنا فى الوحل ..جاية عايزة إيه تانى؟

-لاء إنتو فاهمين غلط..اللى شافوه دة أنا مكنتش هربانة معاه ..دا ...داااا..

فرد صابر مقاطعا..

-إنتى لسه هتدافعى عن نفسك؟؟ إمشى يلا وروحى لحال سبيلك ..إحنا مستحيل يكون لينا خلطة بواحدة زيك جابتلنا العار ومرمطت راسنا فى الوحل..نخاف على بناتنا اللى هتقعدى وسطيهم

ثم أضاف رامى..
-إنتى بالنسبالنا متى خلاص..ياريت بقى تبعدى عننا مش ناقصين شبهة وقلة قيمة

دقت الدموع من عينيها لتطرق قهرا وأسى..كاد قلبها أن يتوقف فور أن سمعت كلا ماقالاه ولكن فى عز وهنها كان هناك شيئا يصرخ بداخلها.. شيئا يحتج ويقول لا.. كفى...كفى ظلما..كفى قهرا ..ولاتعلم من أين أتت لها تلك القوة التى جعلتها تتحدث إليهما بهذه الصلابة لتقول..
-بس..كفاااية..مش عايزة اسمع حاجة تانى ولا محتاجة أبررلكم أى حاجة ..اللى عايزاكم تعرفوه إنى مش جاية أشحت منكم ..البيت الى انتو قعدين فيه دة يبقى بيت بابا و ليا فيه النص ..برضاكم أو غصب عنكم أنا إسمى مهدا عاطف السيد ولو انتو مش متشرفين بيا ..انا مايشرفنيش يكون ليا أهل جاحدين وظالمين زيكم ..مش كفاية حياتى اتدمرت بسببكم ..كمان عايزين تاكلو حقى ؟ يابجحكم
فاالندفع رامى قائلا..
-بت إنتى إحترمى نفسك إنتى بتتكلمى كدا ليه
فقاطعته قائلة.
-ششششش إخرص..إنت بالذات ماتتكلمش خالص..صحيح من شابه أباه فما ظلم

ثم رفعت سبباتها فى وجه صابر قائلة..

-لازم تعرف إنى حقى هاخده ..بالذوق أو بالعافية ياصابر هاخده

ثم ذهبت وهى تركض بخطوات سريعة لتبتعد عن هذا المكان الذى ظنت بأنها ستجد فيه ولو بعض الرحمة ثم أخذت تبكى وتجهش بقوة طوال الطريق ..حتى انهارت فى منتصفه وسقطت على ركبتيها وهى تستكمل بكائها ثم تنظر إلى السماء وتطلق الآآآآة التى كانت تحتشد وتختنق بصدرها ثم بعد ثوان توقف صوبها أحد المارة ليسألها..

-هو فى حاجة يامدام؟؟

فتوقفت عن البكاء ثم نظرت إليه بجمود ونهضت عن الأرض لتقول بفتور..

-لا مفيش

كفكفت جروحها ..لملمت دموعها الوقيع على وجنتيها ثم اتخذت سبيها إلى المحامى محفوظ ..إنها لن تتنازل عن حقها هذه المرة..لن تهرب..لن تضعف ..إن المسألة بالنسبة لها ليست مسألة ميراث وإنما هى مسألة كرامة..مسألة ظلم تعرضت له من قبل أقرب الناس إليها.

-أهلا مدام مهدا..إذيك؟

قال ذلك المحامى محفوظ فور أن دخلت إليه مهدا وهى فى هذه الحالة المذرية وحينما لمح دموعها التى كانت تبرق فى عينيها..تابع تساءله قائلا..

-مالك؟؟ فى حاجة ولا إيه؟

-أنا جايالك النهاردة فى حاجة مهمة جدا وعايزاك تساعدنى

-طيب إتفضلى إقعدى وإهدى الأول بعدين إحكيلى فى إيه..تشربى إيه؟

فجلست على مقعد أمام مكتبه ثم قالت

-مش عايزة أشرب حاجة ..أنا عايزاك تسمعنى

-إتفضلى

ثم قصت له جميع ماحدث ..لبفاجئها برده

-أيوة ..بس الموضوع دة محتاج تكاليف وأتعاب كتير يامدام مهدا

-أنا أول مااتحصل على ميراثى فى البيت هبيع الشقة اللى ورثتها من سعيد وهديلك كل أتعابك

فنهض عن مقعده ثم استدار ليجلس أمامها قائلا..

-طيب أنا عندى فكرة

-إيه هى؟

-طيب بدال ماتبيعى البيت ودى حاجة مش مضمونة بردو ..أنا عندى فكرة أحسن

-إيه هى؟

-نتجوز

فشهقت قائلة..

-إيه؟؟إنت بتقول إيه؟ أستاذ محفوظ حضرتك قد بابا

-وسعيد بردو كان نفس الأمر إيه هيختلف يعنى

-أيوة ..بس...

-مدام مهدا..أنا معجب بيكى من زمان جدا..حتى أيام الحاج سعيد لما كان بيكلمنى عنك ..كنت بفكر أفاتحك فى الموضوع دة بعد ما طلقتك من جوزك النصاب دة ..لكن كل مرة كنت بقول مش وقته أو بمعنى أصح كنت خايف من رد فعلك

-بس أنا مش عايزة أتجوز

-بصى ياامدام مهدا..الميراث بتاعك عقار مش مال سايل هعرف أخد نسبة أتعابى منه ومافيش محامى كبير هيوافق أبدا إنه يشتغل ويتعب نفسه فى حاجة مش مضمون فيها حقه ..وانا وفرت عليكى كل دة وقولت نتجوز ..ها إيه رأيك؟

-طيب وهترجعلى حقى من عمى؟

-برقابتى

-طيب أنا موافقة بس شرط

-إشرطى

-الدخلة بعد ما تحكم المحكمة لصالحى

-مووافق..بس فى حاجة عايز أقولك عليها

-قول

-إحنا جوازنا هيكون عرفى

-إيه؟

-فى الحقيقة أنا عندى مشاكل مع ولادى ومراتى تمنعنى من إنى أتجوز رسمى واتطمنى العقد هيكون بشهود وكل حاجة

فنهضت عن مقعدها ثم قالت بغضب

-خلاص موافقة المهم تجبلى حقى..أنا عايزة أذلهم زى ما ذلونى

-تمام..كدة فاضل حاجة واحدة

-إيه هى؟؟

-تمضيلى على وصل أمانة علشان أضمن إنك فعلا هتوفى بكلامك

عادت لتجلس مرة أخرى ثم قالت..

-إيه؟؟ وصل أمانة ليه؟

-وأنا إيه ضمنى إنك مش هتنفضيلى أول ماتاخدى ميراثك

-أنا وعدتك!!

-لالا ..الكلام دة مابيمشيش مع المحاميين خالص..هتمضى وصل أمانة على بياض ..لحد ماتجيلى تانى بنفسك

لقد استغل ضعفها..رغبتها فى الإنتقام ..لم يعد لديها الآن فرصة لأن تفكر بأى مصير..إنها مستسلمة ..ضعيفة..تتمسك الآن بأخر قشة لها لأن تشفى النار التى كانت تشتعل بصدرها منذ زمن حتى لو كانت ستودى بحياتها.

تم كتابة العقد العرفى بمعرفته ومضا كلاهما والشاهدان على العقد ومانتهى حتى قال..

-مبروك ياعروسة..

وبعد أن غادرهما الجميع

-أستاذ محفوظ أنا عايزة أقولك حاجة مهمة جدا

فاقترب إليها ثم وضع يده على كتفيها قائلا

-قولى ياعروسة

فأبعدت يداه عنها بلطف شديد ثم اتخذت خطوة إلى الأمام وقالت..

-أنا لما هربت من اهلى كان مكتوب كتابى ..ولحد دلوقتى ماعرفش عملو إيه ..خايفة لما تروح ترفع قضية عمى وابنه يتهمونى بعد كدة إنى اتجوزت تانى وانا لسه على ذمة الأولانى

-اممم..طيب..هشوف الموضوع دة وصل لحد فين

ثم بعد يومان تأكد محفوظ بواسطة أحد أصدقاؤه بالنيابة..أنه لم يتم تسجيل عقد زواجها الأول بالمحكمة ..لذلك فلم يعد يوجد لديها أى شئ يدينها قانونيا وعلى الفور بعد أن تأكد محفوظ من براءتها قام برفع دعوة بهيئة القضاء ثم ذهب لإستخراج شهادة ميلادها من السجل المدنى ...مما يثبت بالفعل أنها إبنة أبيها وقام بعمل الإجراءات اللازمة ..لإثبات حقها فى الميراث واستخراج

الأوراق اللازمة لذلك..
حتى أخيرا حكمت المحكمة لصالحها وأثبت حقها الشرعى فى الميراث.

قامت مهدا بالإنتقال إلى منزل أبيها ..الذى كان يعيش فيه كلا من عمها صابر وابن عمها رامى وزجته شرين وإبنهما ذياد..
لقد كان المنزل واسع الأركان ...فسيح المجالس..يكفى كثيرا إلى أن يعيش فيه أكثر من عائلتان ..ولقد كان يحتوى على حديقة واسعة يزهر فيها ورودا جميلة من مختلف الألوان..

كان المكان يحتوى على عبقا قديما يذكرها بأجمل أيام حياتها..فأول مافعلته حينما دخلت إليه هو تحسس ذلك الأثاث الذى لحسن الحظ لم يتغير وأخذت تجول بالمنزل مع ذكرياتها باستمتاع..فهنا كان يجلس أبيها..وعلى تلك الأريكة كانت تمشط أمها شعرها الناعم الجميل..وفى هذه الشرفة كان يحتسى أبيها يوميا فنجانا كبيرا من القهوة وهو يقرأ الجرائد ..لقد أحست بالإنتماء لأول مرة..الإنتماء إلى شئ يذكرها ببرائتها وطفولتها، ولأول مرة يطمئن قلبها ويخفق بهدوء معلنا نهاية الخوف والقلق الذى كانت تعيشه فيه ..وأثناء ذلك ..قاطع هيمانها بالماضى صوت عمها صابر وهو ينزل عن الدرج ويقول..

-أوعى تفتكرى ياامهدا..إنك كدة خلاص بقيتى واحدة مننا..لا فوقى ..إحنا زى ماقولنالك معتبرينك متى من زمان

فاانطلقت ضحكة ساخرة من صدرها ثم قالت..

-صدقنى مابقاش يفرق معايا تشوفونى إيه..إنت مش هتكدب الكدبة وتصدقها..إنت عارف كويس إن انت ومرات ابويا الى طفشتونى وكنتو عايزين تخلصو منى

دخل رامى المنزل فى تلك اللحظة بعد أن انتهى من عمله ليسمع أخر ماقالته مهدا..فيسألها وهو يقترب إليها قائلا

-طفشوكى إزاى؟

فاالتفتت إليه لتقول..

-أبوك ومرات عمك كانو عايز يجوزونى واحد كبير فى السن علشان يخلصو منى وياخدو هما البيت ويتجوزو فيه

ثم استدارت إلى عمها صابر لتقول..

-مش كدة ولا إيه ياعمى؟؟

كان صابر يقف على أخر سلمة بالدرج فااقترب إليها غاضبا ثم قال..

-إخرصى..إنتى عايزة تغطى على عملتك السودة بشوية كلام فاضى جاية تضحكى علينا بيه؟؟

فااقتربت إليه لتنظر مليا فى عينيه ثم تقول بتمرد

-ماشى...دى بضحك عليكم فيها..طيب واللى كان بينك وبين مرات أبويا ياعمى ..واللى كنت بشوفه بيحصل بينك وبينها فى البيت دة قبل ماتتجوزو حتى وبابا لسه مربعنش ..تفتكر بردو بضحك عليك فيه؟؟

فصفعها صفعة قوية على خدها جعلها تسقط ..ولكنها لم تستسلم ونهضت سريعا لتقول بغيظ..

-عارف؟؟ أنا عمرى مانسيت المنظار القذرة اللى كنت بشوفها بينك وبينها ولا عمرى نسيت المعاملة اللى كان بابا بيعاملهالك وحبه ليك..أنا المفروض ماستغربش دلوقتى لما تطردنى أو تطعنى فشرفى ..إذا كان أخوك اللى من لحمك ودمك خنته فى عرضه وشرفه ..هتوقع إيه يعنى لما تضربنى أو تهنى..عادى ياعمى..الدنيا دوارة وليك يوم وأنا عمرى ماهسامحك ويمكن دا السبب اللى خلانى أجى هنا..أنا مش جاية هنا علشان الميراث..أنا جاية هنا علشان حقى وحق أبويا اللى كلته إنت ومرات أبويا وكنتو عايزين ترمونى لأى حد علشان تخلصو منى

فتدخل رامى مقاطعا بصدمة..

-بابا..الكلام اللى هى بتقوله دة صحيح؟؟
فرد صابر قائلا بتلعثم
-دى كدابة ..دى ..دى جاية تخرب بيتنا..

ثم اتجه إليها قائلا..

-بقولك إيه أنا هديلك حقك فى البيت نقدى ومش عايز أشوفك هنا تانى

فضحكت بسخرية ثم قالت..

-ومين قالك إنى هابيع ياعمى؟؟ أنا قاعدة على قلبك

****

الفصل الخمسون

"الجزء الثانى"

الآن حصحص الحق

أتى يوما أخر يطل على منزل العائلة ..فاستيقظت مهدا على صوت زقزقة العصافير..واابتسمت ثم تحسست السرير بأريحية ونهضت لتمط ذراعيها على امتدادها ثم تذهب إلى الشرفة ويغريها منظر الورود فى الحديقة ..فترتدى ثيابها ثم تلف حجابها وتهبط إلى أرض الحديقة..لتستنشق بعضا من عبق زهورها ..فتتحسس الزهور ثم تجذبها إلى أنفها وتستنشقها بعمق مغمضة العينين..وكأنها تشم رائحة تفتقد إليها من زمن ..ثم تذكرت أبيها ..حينما كان يستيقظ كل صباح ليقطف بعضا من الورود ثم يضعها بالزهرية لتبعث فى نفوسهم أملا وحبا وحياة.

كان يشاهد هذا المشهد بكل تفاصيله ..إبن عمها رامى من نافذة الطابق العلوى ..من خلف الستائر ..ولايعلم لما أحب هذا المشهد ولكنه بعث فى

نفسه شعورا رقيقا جعله يبتسم ، وفى ذلك الحين..إقتحم أبيه صابر غرفته ليقول

-رامى ..تعالى عايزك فى موضوع

فترك إبصاره عن المشهد ثم التفت إليه قائلا..

-خير يابابا فى حاجة؟

فخطى إليه عدة خطوات ثم قال..

-إنت مش ناوى تعقل بقى وتروح تجيب مراتك وابنك؟؟

فزفر بنفاذ صبر ثم قال..

-يوووه..بصراحة أنا زهقت..كل يوم خناق وزعيق على أتفه الحجات وكل يومين تروح تغضب عند أهلها ..أنا حاسس إنى متجوز طفلة

-كل المتجوزين كدة ياابنى مش إنت بس ..أنا عارف إنها حمقية شوية بس معلش إستحمل علشان إبنك وروحلها بيت أهلها صالحها وهاتها..

-أم..بصراحة كدة أنا مابقتش قادر أعيش معاها تانى ..الحياة بنا أصبحت مستحيلة

-قصدك إيه ياارامى

فولى إليه ظهره ثم قال..

-قصدى إن كل واحد يروح لحاله بقى..كفاية كدة

-إيه إنت بتقول إيه؟

فاستدار إليه قائلا..

-اللى سمعته يابابا..إنت عارف إنى ماكنتش موافق عالجوازة دى من الأول بس إنت أجبرتنى وانا وافقت علشان مازعلكش ولا أغضبك ..ياريت بقى ماتجبرنيش أكمل الباقى من حياتى مع إنسانة لاقادرة تفهمنى ولا أنا قادرة أفهمها

-طيب وابنك؟؟

-إبنى ماله؟؟

-ترضى إنه يعيش مشتت بينك وبين أمه؟

-والله إبنى يعيش بسلام نفسى معايا شوية ومعاها شوية..أحسن مايعيش بين إتنين مابيحترموش بعض وكل شوية يتخانقو

فلوح إليه بسبابته قائلا..

-رامى..خد بالك..لو عملت اللى فدماغك وطلقتها..لانت إبنى ولا انا اعرفك

-بردو؟ بردو يابابا؟؟ عايز تجبرنى على حاجة مش عايزها تانى؟

-أنا قولت اللى عندى..وليك حرية التصرف ..لتكون تحت طوعى ورضايا..لإلى قلبى هيكون غضبان عليك ليوم الدين

ثم رحل..وتركه فى حيرته..وحينما شعر بالإختناق..عاد مرة أخرى ليطل بعينيه من النافذة ثم عاد ليبتسم ثم فجأة تلحقه غمامة فكر جعلته يتذكر كل ماقالته مهدا عن أبيه وإمرأة عمه ..فذهب على الفور ليبحث عن أبيه ليفيده بإجابة

واضحة عن تلك التساؤلات التى تدور برأسه..حتى أخيرا وجده بغرفة مكتبه..فطرق الباب بخفة ليأذن له والده بالدخول ..ثم..

-خير يارامى..فكرت فى اللى قولتهولك ورجعت لعقلك ولا لسه؟؟

قال ذلك صابر فور أن أذن له بالدخول..فسأله قائلا..

-بابا أنا عايزك فى موضوع مهم

-خير يا رامى

-الكلام اللى قالته مهدا إمبارح دا صحيح؟

فاكتظ وجهه بالغضب ثم قال بوجوم..

-إيه؟ إنت بتقول إيه؟؟ أنت هتصدق بت صايعة زى دى؟

-أمال إيه الحقيقة يابابا؟

-الحقيقة إنت عارفها كويس..بعد ماعمك الله يرحمه مات ..مارضتش البيت دة يروح لحد غريب فاتجوزت مرات عمك الله يرحمها ..يعنى كانت جوازة لمصلحتنا كلنا

-أيوة يعنى ماكانش فى حاجة بينك وبينها قبل ماتتجوزها وفحياة عمى زى مهدا مابتقول؟

-إنت بتقول إيه؟؟ إنت تعرف إن أبوك كدة؟؟ والله عال..أهى مابقالهاش يومين وجاية تخرب بيتنا

-أمال كنتو ليه مصممين تجوزها غصب عنى؟

فتلعثم قليلا ثم قال..

-ها؟ ااة ..الجواز سترة للبنت وحفاظا على أخلاقها.إنت كنت فى الفترة دى مسافر وماتعرفش البنت دى كانت بتعمل إيه ولا أخلاقها كانت عاملة إزاى ..فاضطرينا نجوزها علشان ماتمشيش على حل شعرها

-بس يابابا أنا قبل ماسافر مهدا كانت كويسة ومحترمة جدا والكل كان بيحلف بأخلاقها

فضحك بسخرية ثم قال له..

-أتاريها كانت بتمثل الإحترام علشان كلنا نصدقها ..وهنروح بعيد ليه؟؟ الواد الى هربت معاه فى ناس شافوها وهى بتخرج معاه من المنطقة..أنا مابفتريش ولا بتبلى على حد

-طيب..بردو حتى لو هى بقت مش كويسة..إنتو دوركم توعوها وتنصحوها..مش تجوزها لراجل كبير غصب عنها

-البنت ياارامى يابنى لما عيارها بيفلت ..مابيهماش ولا بيفرق معاها أى حد

لم يقتنع رامى بكل ماقاله ..كان يرى بأن هناك جزءا ناقصا أو غامضا بالقصة ..فعاد إلى غرفته وعاد لينظر إليها من الشرفة ولكن هذه المرة ..كان يبحث فى وجهها عن شيئا غير مطمئنا أو خبيثا فيها تشفع لكلمات أبيه..إن الوجه العابث والماكر يبان من طلته وهو رجل تداول السفر كثيرا وعرف أناس بعدد شعر الرأس ..إلا أنه لم يكن لدى مهدا مايثير الشك حولها بأنها قد

تكون سيدة فاسدة الأخلاق

تلك الأريحية ..ملمحها الهادئ الجميل الذى تحب العين رؤيته ..كانت جميعها أشياءا لا تستدعى أبدا الشك فيها..

إن المسألة بها لغز ..ولا بد من إيجاد حلا لها.

أتى يوما أخرا ..فنهض نشيطا ليرتدى ملابسه ثم يتجه إلى عمله..وحينما مر بالحديقة لمح مهدا التى كانت تتفقد الورود كعادتها ففكر بالتحدث إليها..وتردد قليلا ولكنه وجد بأنه لابد من معرفة الحقيقة والإستماع إليها ..فذهب إليها قائلا..

-صباح الخير

فالتفتت إليه لتجده بكامل أناقته ثم ترد بصرامة

-صباح النور

فقال بتردد

-مهدا..أنا فى الحقيقة عايز أكلمك فى موضوع مهم

ولا تزال الجدية والصرامة تلاحق صوتها..فقالت..

-خير

-أكيد خير طبعا..بس فى الحقيقة عايز أكلمك برا مش هنا

-تكلمنى فإيه؟

-أما نتقابل هتعرفى..

ثم مد يده فى جيبه وأخرج منها ورقة صغيرة ثم قال

-دا عنوان كافيه كويس..ياريت نتقابل هناك على الساعة ٢ كدة ..وياريت ماتتأخريش

رمى بيديها الورقة ثم ذهب فترددت قليلا ثم فتحت الورقة وفكرت قليلا وهى تنظر إلى العنوان ثم قررت الذهاب إليه.

إرتدت ثيابها هامة للخروج من المنزل ولكن أوقفها صوت رنين هاتفها النقال ...لتجد المتصل هو محفوظ..فتزفر بضيق ثم ترد بنفاذ صبر..

-ألو؟

ردت على الهاتف فيرد عليها محفوظ قائلا..

-إيه يامهدا هانم .. إنتى نسيتى إتفاقنا ولا إيه؟

-طب قول مساء الخير الأول.. إذيك..اى حاجة

-مساء الخير ياستى..

-مساء النور ..أخبارك إيه؟

-الحمد لله ..إيه ياعروسة مش هتيجى لعريسك بقى؟

-بعدين يامحفوظ..أما الأمور تهدى شوية بينى وبين عمى ..أنا مش مؤهلة حاليا لأى حاجة

-أيوة لحد إمتى يعنى

-ربنا يسهل..الأيام جاية كتير ماتقلقش يعنى

-ماشى ياامهدا...هسيبك براحتك..بس خدى بالك..أنا مش هستنى كتير..سلام

أغلقت الهاتف ثم تابعت طريقها لتخرج من المنزل ثم لتستقل أحد السيارات وتذهب إلى الكافيه فى العنوان المذكور ولتجد رامى ينتظرها على أحد الطاولات ..فتذهب إليه ثم تصالحه وتنضم إليه بالجلوس ثم يبدأ الحديث إلى أن يجرى بينهما..

-خير ياارامى كنت عاوزنى فإيه؟

-طبعا ياامهدا إنتى عارفة أنا كنت بعزك قد إيه..قبل ماسافر وكمان كنت بعتبرك زى أختى

-أة.. ماهو كان واضح من مقابلتك ليا أول ماشوفتنى

-طبعا إنتى عارفة إنى كنت مسافر برا صح؟

-اة سافرت لما كان عندى ١٥ سنة

-كويس إنك فاكرة..أنا قعدت برا متغرب أكتر من ١٥ سنة ..لما جيت وعرفت موضوعك ولما بابا حكالى كل الى حصل إتضايقت جدا..خصوصا لما عرفت إنك هربتى مع واحد كنتى متفقة معاه

فقالت باانفعال..

-بردو هتقولو هربت مع واحد؟؟ إنتو هتكدبو الكدبة وكمان تصدقوها؟

-مش إحنا الى بنقول ياامهدا..الناس اللى شافوكى معاه هما الى قالو كدة ..إحنا مابنتبلاش على حد

-اة..طيب إسمعنى بقى.. الشخص اللى شافوه معايا دة أنا ماكنتش هربانة معاه .. دا شخص إلتقيته فطريقى بالصدفة وانا بهرب وهو اللى ساعدنى فى إنى ألاقى مكان أقعد فيه ..لإنى ماكنتش عارفة أروح فين..وماكانش قدامى حل تانى

-وليه تهربى أصلا ؟

-وليه أتجوز واحد مابتصورروش؟؟ إنت مستوعب يعنى إيه يتقفل عليا باب واحد مع واحد كنت حاسة إنه وحش مش بنى أدم ..نظراته ..كلامه ..كل حاجة فيه كنت بخاف منها ..فهربت..

-والشخص البى هربتى معاه دة..قصدى اللى إلتقتيه بالصدفة دة عملتى معاه إيه؟

فاغرورقت عينيها بالدموع ثم انسحبت دمعة يتيمة من مقلتيها وقالت بإنهزام..

-أنا اتبهدلت فحياتى أوى يااارامى

-أوعى يكون حصل اللى فبالى؟

-لاء ..مش بالصورة اللى فخيالك..بس أنا عانيت فى حياتى كتير أوى..

-ممكن توضحى؟

-أنا اتجوزت تسع مرات يارامى..بما فيهم الجوازة الأولانية اللى عقدها اتقطع

قبل مايتسجل والجوازة الأخيرة اللى مش عارفة هعمل فيها إيه ولا هخلص منها إزاى..

فقال مندهشا...

-إيه؟؟ تسع مرات؟؟ إنتى بتقولى إيه؟

-زى ماسمعت..كل واحد فيكم كان متهنى فى بيته وأنا كل يوم بعيشه كنت بتعذب فيه وماكتفتوش بكدة بس..لاء دانتو طعنتونى فى شرفى كمان وزى مايكون متعمدين تكملو عليا ..حتى إنت ياارامى ..أول ماشوفتك قلبى إتطمن وقولت هتكون ليا سند فى أيامى الجاية..صدمتنى برد فعلك وحسيت إنى بكلم حد تانى خالص غير رامى الحنين اللى كنت أعرفه زمان

-طيب ..بالراحة كدة..إهدى وفهمينى إيه اللى حصل

أخذته من يده ..لتجول به عبر ذكرياتها..من بكاء وحب وحنين ولقاء ...ألم وحزن وظلم وحرمان..أخذت تقص له المشاهد بجميع تفاصيلها وتحكى له كم كانت حياتها صعبة..وحيدة ..بائسة

فرقت دمعة من عينيه لتنسحب من مقلتيه دون أن يشعر بها ولتهبط على شفتيه معلنة تأثره وإشفاقه..حتى أنه لم يستطع الرد..لم يجد من الكلمات مايقوله ..فقط مسح آثار دمعته ثم إكتفى بالبقاء صامتا والحزن يحوم حوله

فهل كلمات الإعتذار كانت لتكفى ؟

هل حياتها المعذبة سينجلى شقائها إن تأسف واعتذر؟؟

لقد ظلمها كل شئ ..ولقد أحس بأنه كان جزءا كبيرا فى هذا الظلم الذى تعرضت له من قبل والده حتى ولو لم يشارك فيه..فهى مهما كانت ..كانت لاتزال طفلة ..لاتحسن التصرف ولا تجيد التدبير..وأخذ يتسائل بأنها ماذا لو لم تهرب..ماذا سيكون حالها..هل سيكون أكثر شقاءا أم أقل سوءا؟؟

هل كان ليس من حقها أن تعيش حياة كريمة كمن مثلها من الفتايات من هم فى مثل عمرها؟

هل كان فرضا أن تعيش حياة بائسة ومعذبة مثل هذه التى كانت تعيشها؟

هل كان لا يحق لها العيش فى كنف موطن هادئ ..بها أناس تحبهم ويحبونها؟

ظلم ..ظلم ..إن كل ماقالته لا يوصف إلا بالظلم..

هذا ما تخاطره بذهنه وأخذ يشعر بتأنيب الضمير والخزى مما فعله أبيه وامرأة عمه حتى حينما أتت فى مخيلته صورة إمرأة عمه قال لها..

-مهدا أنا عارف إن كل دة صعب..بس عايز أسألك سؤال لو سمحتى

-إتفضل

-الكلام الى قولتيه عن العلاقة اللى كانت بين مرات عمى وبابا دا صحيح؟؟

-للأسف يا رامى أيوة ..الحجات دى كنت ملاحظاها حتى قبل بابا ما يتوفى ..كانو بيقعدو يتغمزو ويبصو لبعض بصات غريبة ..وكنت بقول جايز أنا ظلماهم ..لكن بعد ما بابا مات..عمى إبتدى ييجى عندنا كل يوم ..لحد مافى يوم كان قبل الأربعين بتاع بابا..كانو قعدين فى الجنينة بالليل وشوفته

من الشباك وهو بيبوسها وهى مستسلمة ليه ..أنا وقتها بكيت كتير أوى ..مش علشانهم أبدا لاء..أنا كنت بيكى على بابا اللى كان بيحبها ومخلصلها وعلى عمى اللى المفروض يحترم حرمة بيت أخوه أو على الأقل يحترم موته ..واللى صعب عليا أكتر إن بابا كان بيحبه أوى وكان دايما يقولى..عمك دا سندك فى الدنيا بعدى..

ثم تبعثرت الدموع من عينيها وتابعت...

-الله يرحمه

بالتأكيد لن تكون كل هذه القصة بكل تفاصيلها مجرد قصة غير حقيقة أو ملفقة ..إنه يصدقها..يصدق كل حرف قالته ولايعلم السر سوى أن قلبه يؤكد له ذلك ..وحينما ساد الصمت وشعرت مهدا بتردده وحيرة تفكيره قالت له..

-رامى إنت مش مصدقنى صح ؟؟ طيب أنا مستعدة أديلك عنوان كل الرجالة اللى اتجوزتهم والناس اللى عرفتهم وساعدونى فى إنى ألاقى شغل ..وو...

فقاطعها قائلا..

-لا يامهدا..أنا مش محتاج أعرف كل دة..أنا مصدقك..بس مش هكدب عليكى..اللى بسمعه عن بابا دة خلانى مش قادر أستوعب خالص الى

بتقوليه..

أنا لما جيت من السفر..بابا قالى إنك هربتى مع واحد وطفشتى وسبتى البيت ولما رجعتى وطالبتى بحقك ..أنا كنت هفاتح بابا فى الموضوع قبل ماترفعى قضية بس كنت مستنى الوقت المناسب لإن بعد مامشيتى ماكانش طايق نفسه ولا طايق يتكلم مع حد..فكنت ناوى أتكلم معاه بحيث نديلك حقك بإننا نشترى نصيبك وتروحى لحالك ..أنا عمرى ماقبل أبدا أكُل حق حد أو أخد حاجة مش من حقى

-ومين قالك إنى كنت هوافق؟؟ أنا عمرى ماهفكر أبيع بيت بابا أبدا على جثتى

-طيب وهتعملى إيه مع المحامى إياه..ليه تورطى نفسك بس؟

-تفتكر إنت لو مكانى هتعمل إيه؟؟ أنا تعبت ياارامى..تعبت من الظلم..من القهر ..اللى كان فيا واللى كنت حساه ماكانش مخلينى عارفة أفكر فى حاجة غير إنى أسترد حقى وحق كرامتى وشرفى اللى عمى لوثه بكلامه

-طيب..خلاص أنا هتصرف...قومى بينا دلوقتى علشان نروح

-إيه؟؟ هنروح مع بعض؟

-أيوة.

-مش خايف من عمى ليزعل منك؟

-قومى بس ويلا بينا نمشى

ذهب كلاهما إلى المنزل ..ليلتقيان بصابر فى ردهة المنزل ..فتنتقل عينيه بينهما بغضب وكأنه يحاول الكشف عن سر جمعهما ..فنادى رامى قائلا..

-رامى ..تعالى عايزك جوا

فتقدم إليه رامى بخطوات سريعة ثم قال..

-لا يابابا أنا عايزك فى موضوع مهم..وهنا قصاد مهدا

فجرى القلق فى عروق صابر وابتل شفتاه ثم قال..

-خير يا رامى فى إيه؟

فاقترب إلى عينيه قائلا..

-فى إيه يابابا؟ بجد مش عارف فى إيه؟

-فى إيه يارامى قلقتنى

-مهدا يابابا..بنت أخوك

-مالها؟؟

-والله ماعارف أقولك إيه..أنا بجد مكسوف منك وكمان مكسوفلك

فاتجه صابر إلى مهدا قائلا..

-إنتى قولتيله إيه؟؟ جاية توقعى بينى وبين إبنى؟؟ والله عال وإيه كمان؟

فتدخل رامى قائلا..

-بابا..كلامك معايا هنا لو سمحت ..أنا اللى بكلمك مالكش دعوة بيها

-إنت عمال تلف وتدور على إيه يارامى ..ماتخلص كدة وتقول عايز تقول إيه

-عايز أقول إيه ...يااااه يااوااالدى..عايز أقول حجات كتير أوى ..بس دورك فى حياتى كأب مخلينى مش عارف أقولك الى عايز أقوله بأى طريقة..

-ياريت تدخل فى الموضوع يا رامى وتقولى الحرباية دى قالتلك إيه

-لاء..لو سمحت ماتغلطش..هى برغم اللى شافته منك والظلم اللى شافته فحياتها بسببك إنت ومرات عمى ..عمرها مافكرت تغلط فيك ..فاكر ييابا عمى؟؟ طيب فاكر مرات عمى؟؟

فارتبك قائلا...

-إيه ياا رامى ..تقصد إيه بكلامك؟

-أقصد اللى إنت فهمته واللى انت عارفه كويس أوى..من يوم ما عمى الله يرحمه مات وحاولتو تجوزو الغلبانة دى غصب عنها علشان تخلصو منها وتاخدو البيت بعدين تطلعو عليها سمعة وحشة فى المنطقة علشان تكرهوهم فيها وتعرف الناس قد إيه إنت عم عادل وطيب وهى اللى بنت ستين فى سبعين..

فلوح إليه بسبابته قائلا..

-رامى..إختار أسلوبك معايا أنا أبوك وعيب أوى الى بتقوله دة ..أنا ماطلعتش عليها سمعة وحشة..هما ناس من المنطقة شافوها وهى بتعدى الطريق مع راجل مش انا الى قولت كدة حتى إسألهم..

-فلنفترض ..هى هربت ليه ييابا؟؟

-علشان قليلة الربابة ومش محترمة

-بردو؟؟ يعنى مش علشان غصبتوها تتجوز غصب عنها؟؟

-أنا قولتلك إنها إتعوجت فى الايام اللى سافرت فيها وتصرفاتها بقت غريبة وبدأت تجبلنا الكلام وكان ملففانا حوالين نفسنا ..فقلنا تتجوز وتبقى تحت عين راجل ياخد باله منها بدال ماتمشى فسكة غلط

-لالالالا..قصدك تجوزها وتخلص منها علشان يخلالك الجو مع حبيبة القلب..صح؟؟

فصفعه صفعة قوية على خده ثم قال..

-إخرص.. أنا للأسف معرفتش أربيك ..على أخر الزمن جه الوقت الى توقف فيه قصاد أبوك بسبب واحدة زى دى...ومش كدة وبس..لااء دا بتحاميلها كمان ومصدق الكلام الأهبل اللى هى بتقوله...تكدبنى أنا وتصدقها هى ..بقى هى دى أخرتها يا رامى؟؟ إنت تصدق إن أبوك يعمل كدة؟؟

-أنا فعلا ماكنتش مصدق..

ثم أخرج من جيبه ورقة مطوية ثم قال..

-بس الورقة دى خلتنى أصدق

(flash back)

-بصى أنا مش هكدبك فى موضوع الرجالة اللى اتجوزتيهم لإنى أشك إنك ممكن تكدبى فى حاجة زى دى ..بس أنا مش هقدر أصدق الكلام اللى اتقال على بابا بالسهولة دى ..عالأقل لازم يكون فى دليل

فضحكت بثقة ثم قالت..

-كنت متوقعة إنك هتقولى كدة ..وكنت متوقعة إنك هتفتح معايا الموضوع دة...علشان كدة عملت حسابى وجبتلك الجواب دة..

ثم أخرجت الورقة من حقيبتها وأعطتها إليه قائلة..

-الجواب دة كان عمى باعته لمرات عمى لما كان مسافر الفيوم بعد ما بابا مات بأسبوع ..وانا بنضف أوضة مرات عمى لقيته بالصدفة واقع تحت السرير ..فخدته وقريت فيه أول سطرين ..ماصدقتش نفسى ..فخفت لتدخل عليا وانا بقرا الجواب فخدته وجريت على أوضتى وقريته حرف حرف ومش قادرة أوصفلك كل كلمة وكل حرف كنت بقراه كنت بحس بإيه ..وبعد ماخلصت الجواب..خبيته فى مكان فى أوضتى ماحدش يقدر يوصله غيرى والحمد لله أول مارجعت البيت لقيته ..ربنا رايد يظهرلى حقى

(back from flash)

"حبيبتى نجلاء..بعد التحية..أحب أن أبدى إشتياقى وأقولك إنك وحشتينى جدا والأيام الى بقضيها وانا بعيد عنك بحسها سنين..أخيرا ياحبيتى هنبقى لبعض..أخيرا هنقدر نعلن للناس كلها إننا بنحب بعض ومش هنستخبى زى

كل مرة وأكننا عاملين عملة..
بجد على قد ماا خبر موت عاطف زعلنى على قد ماهو فرحنى إننا خلاص هنقدر نعيش بعد كدة حياتنا مع بعض..طول السنين الى فاتت دى وانا بحلم تبقى ليا حتى من قبل ماتتجوزى عاطف..بس دلوقتى خلاص عايزك تتطمنى هنبقى لبعض لآخر العمر ..وبالمناسبة البت مهدا أنا خلاص شوفتلها عريس واول ماانزل هنكتب كتابها ..أيوة كدة خلينا نعشلنا يومين بقى من غير عزول..على فكرة المكان الى انا فيه مافيهوش شبكة خالص ولا حتى تلفون أرضى علشان كدة قولت أطمنك بالجواب دة ..علشان ماتقوليش ماسألتش فيا..أحسن حاكم أنا عارفك تموتى فى النكد..يلا أشوفك على خير..
حبيبك المخلص وزوجك المستقبلى..صابر"

-ها..قولت إيه يبابا

قال ذلك رامى فور أن إنتهى من قراءة الرسالة ..فأجابه متلعثما..

-كدب...دا تزوير ..الكلام دة كله كدب..مش أنا اللى كاتب الكلام دة..

ثم نظر إلى مهدا التى كانت تنصت لكل مايدور بينهما ثم قال..

-خلاص؟؟ عملتى اللى فدماغك يامهدا وشككتى فيا إبنى؟

فقاطعه رامى قائلا..

-لسه بتنكر بردو يابابا؟

-أنكر؟؟ معقولة مصدق الكلام دة؟؟

ثم أشار إلى الباب قائلا بغضب..

-طب إمشى...إمشى يلا برا بيتى مش عايز أشوفك تانى..قلبى غضبان عليك ليوم الدين ياارامى

فضحك ساخرا ثم قال..

-عارف يابابا ؟ أنا ماكنتش أتمنى إنى أقف فى يوم قصادك زى اليوم دة..طول عمرى كنت بحترمك .. بخاف على زعلك ..حتى إتجوزت وقبلت أعيش مع واحدة مش عارفين نفهم بعض بسبب إنى مش عايز أغضبك أو أزعلك..إنما أكتشف فى الأخر إنك تخون عمى فى غيابه وتيجى عليه وعلى شرفه حى أو ميت وماتراعيش حرمة بيته؟ لا كدة كتير أوى يا بابا مع إنك عمرك ماشوفت منه حاجة وحشة وطول عمره بيحبك وبيخاف عليك وكان دايما فاتحلك بيته ومأمنلك

هى دى جزاته؟؟ ترمى بنته لواحد كبير وتجوزها منه غصب عنها علشان واحدة ست الله أعلم كانت بتلف على مين غيرك..

فصفعه صفعة قوية إرتد على أثرها وقيعا ثم قال بالانفعال

-إخرص ياا كلب..

ثم أشار إلى الباب قائلا..

-إمشى أخرج برا بيتى ياكلب مش طايق أشوفك قدامى ..إمشى أخرج برا

فنهض عن الأرض قائلا بتحدى..

-مش من حقك تطردنى

ثم نظر إلى مهدا وقال..

-أنا قاعد فى بيت مراتى

****

الفصل الخمسون

الجزء الثالث

"نهاية تسطر بداية"

-لاء لاء لاء ...ماتقطفهاش

هكذا صاح مهدا حينما لمحت رامى وهو يحتضن بين يديه أحد الورود ليقطفها .. فأبعد يديه عنها ثم نظر إلى مهدا بذهول و تراجع إليها بالخطى قائلا..

-مش فاهم..ليه؟؟
-إنت ممكن تشمها وتستمتع بريحتها من غير ماتقطفها
-وهو الورد إتزرع ليه إلا علشان يتقطف ونستمتع بيه
-تفتكر كدة إيه إحساس الوردة بعد ماتتقطف؟

تعجب جدا من سؤالها ..فهمهم قليلا ثم قال

-مش عارف..محسسانى إنك بتتكلمى عن بنى أدم ..دى وردة!!
-اللى جرب معنى الغربة بجد..هيفهم كلامى دا كويس

ثم نظرت إلى الوردة التى كان ينوى رامى على اقتطافها ثم مسحت عليها بكف يدها بنعومة ثم قالت..

-الورد اللى طارح فى العرف اللى إنت شايفه دة.. أنا حضرته من بداية ما بدأ يزهر..كنت براقبه يوم ورا يوم والورود دى كنت بحسها ولادى وبشوفها كل يوم بتكبر قصاد عنيا..ولما كان الهوا بيحركهم ..كنت بحسهم بيضحكو وبيلعبو وبحس كمان إنى سامعة صوتهم

ثم نظرت إليه وقالت مازحة..

-أنا عارفة إنك بتقول دلوقتى إيه المجنونة دى ..بس صدقنى دا اللى كنت بحسه ..تصور لدرجة إنى كل شوية أبص عليه لحد يقطفه ..كنت هزعل جدا

-بس إنتى عارفة..إن الورد لما مابيتقطفش فى الأوان بيدبل ويموت؟

-الورد أما يموت على جذوره ..أحسن مليون مرة ما يموت متغرب

-ياااه شكلك عانيتى كتير أوى فحياتك يامهدا

-فعلا..أنا دوقت حرفيا معنى الغربة..معنى إنى ماليش حد..لا اهل ولا صحاب ولا احباب..دوقت إزاى ماحسش بالأمان وأنا هربانة وبعيدة عن بيت أبويا...عرفت إزاى إن حضن الأهل أعظم شئ فى الدنيا..

أنا ماتمناش لأى مخلوق إنه يشوف الى انا شوفته ..أى حد فى الوجود.

-حتى بابا؟؟

-حتى لو مجرد وردة

كان يشعر بالأسف الشديد حيالها واحترم كثيرا وتفاهم مع عدم رغبتها فى قطف الورود وبعد ثوان لمح دمعة تود أن تند من عينيها لحاول إيقافها بطريقة مازحة قائلا..

-أة على فكرة ..أنا عارف إنى دبستك إمبارح لما قولت لبابا إنك هتجوزك وكدة ..معلش إتضطريت أقول كدة علشان ماسبكيش لوحدك معاه ..بصراحة خفت عليكى

فضحكت برقة ثم قالت...

-خفت عليا من أبوك؟؟

-أنا عارف بابا عصبى وخفت يتعصب عليكى أو يحاول يإذيكى فمرضتش أمشى وأسيبك لوحدك

-متشكرة جدا يابن عمى

-يااااه...تصدقى حلوة ابن عمى دى

-شرف ليا يكون ليا ابن عم زيك..اهو ابقى شوفت حاجة عدلة من ورا عمى

فضحك كلاهما حتى صعد صوتهما ليسمعه صابر وهو يراقبهما من نافذة غرفته والغضب يشتعل به ومن ثم إتصل به أحد أصدقائه التجار المقيمين بالفيوم ليدعوه إلى حفل زفاف إبنته ..فرأى صابر بأنها فرصة جيدة لإعادة صفو مزاجه والبعد قليلا عن تلك المشاهد التى تؤرق أعصابه..وبالفعل لقد شق

طريقه ليلتها إلى الفيوم إلى أن حضر الزفاف ثم شق طريقه مرة أخرى عائدا إلى المنزل ولقد كان الوقت حينذاك الرابعة فجرا مما كان هناك أثارا كثيفة من الضباب والندى جعلته ..يفقد تركيزه فى القيادة ويصطدم بحافلة كانت تأتى مسرعة من خلف الضباب ولم يرها إلا قبل إصتطدامه بها ببضع إنشااات .. ونتيجة لهذا الصدام ..فقد وعيه بعد أن أصاب بخبطة دماغية أدت إلى نزيف داخلى بالدماغ إضافة إلى بعض الكسور بالظهر ومن ثم..تم نقله إلى أحد المستشفيات..وتم تضميد جراحه ولكن حالته كانت لا تزال غير مستقرة ..إلى أن استقرت وبالكاد تخطى مرحلة الخطر ومن ثم سمح لهم الطبيب بأخذه إلى المنزل مع توصيتهم بضرورة وجود أحد الممرضات معه للإعتناء به ..فرفضت مهدا وقررت أن تفعل ذلك بنفسها..

-إيه؟؟ بتقولى إيه ياامهدا

قال ذلك رامى متعجبا من قرارها..فردت قائلة..

-الممرضة مش هتخاف ولا هتكون حريصة عليه أكتر مننا يارامى

-أيوة...بس ازااااى..بعد كل اللى عمله فيكى؟؟ مش كتير عليكى دة؟

-إنت يعنى هتتخلى عن أبوك فى وقت زى دة؟

-أيوة بس أنا أبويا عمره ماعمل معايا نفس اللى عمله معاكى

-ولو عمل..تفتكر هتتخلى عنه؟

فأطرق رأسه إلى الأرض آسفا ثم لم يرد..فتابعت..

-مهما كان اللى عمله عمى يارامى ..خلاص اللى راح راح ..لسه هنندم ونزعل؟

-إنتى طيبة أوى ياامهدا

-الدنيا علمتنى حاجة مهمة جدا يا رامى

-إيه هى؟

-إن مافيش حاجة تستاهل

كانت تسهر إلى جانبه طوال الليل ..تقوم بتغيير الجرح ثم تقوم بإعطائه الدواء .. إلى أن تحسنت حالته قليلا وأصبح فى حالة تسمح له بالتحدث..وما كان يعلم من أين يبدأ ولكن ملامح وجهه حينما كان ينظر إليها كانت تقول الكثير.

-مهدا..

ناداها بصوت متحشرج وهى تهم بالإنصراف إلى غرفتها ..فالتفتت إليه ثم قالت..

-نعم ياعمى عايز حاجة؟؟

-أيوة تعالى

فاقتربت إليه ثم جلست إلى جانبه لتقول..

-نعم ؟

فحاول إلتقاط أنفاسه ثم قال بصعوبة..

-أنا لو قولتلك أسف هتقبلى أسفى ؟

فابتسمت ثم قالت بسماحة

-أوقات الأب ممكن يقسى على بنته..ممكن يضربها..يحسسها إنه بيكرهها بس هو فى الآخر بردو مهما عمل أبوها وهى بنته

ثم نهضت عن مقعدها لتغادره فأوقفها ممسكا بيدها ليقول..

-يعنى مسمحانى ياامهدا ؟

إلتفتت إليه ثم حاولت رسم تلك الإبتسامة على وجهها مرة أخرى ولكنها فشلت ..حتى ابتسمت إبتسامة باهتة ..لا معنى لها

فليس بهذه السهولة..ليس بهذه السهولة بإمكاننا أن ننسى..ليس بهذه السهولة بإستطاعتنا أن نغفر..

إنه شئ خارج تماما عن إرادتنا..إنه شئ يخص مشاعرنا ... يخص قلوبنا التى تجرعت من الألم والعذاب أشكال وألوان ..إن السماح يحتاج إلى قوة ، وهذا القلب المشوه ..لم يعد يوجد لديه أى قوة.

فسهمت فيه قليلا ثم قالت بإبتسامة حزينة..

-ربنا هو اللى بيسامح ياعمى

فخرجت ثم ذهبت إلى غرفتها لترتمى على فراشها بتعب وأخذت تقلب فى دفترذكرياتها قبل نومها حتى أخيرا ذهبت فى النوم إلى آخرها.

إستيقظت على صوت عويل ونواح أفزعها .. ..فنهضت بخفة وبسرعة لفت نفسها بثيابا محتشمة ثم جرت إلى مصدر الصوت..لتجد مجموعة من الناس وهم يجتمعون بداخل غرفة صابر ونظرت إلى محل صابر..لتجد غطاؤه يغطى وجهه..ثم نظرت إلى جانبه لتجد إمرأتان تبكيان وتولولان بصخب..

لم تصدق ما رأته فذهبت إلى رامى الذى كانت الدموع تملئ بعينيه ثم قالت..

-مات؟

فأومأ رأسه بأسى ثم قال..

-الله يرحمه

لا تدرى لما إنقبض قلبها فى تلك اللحظة..لا تدرى لما شعرت بالحزن وهو يتأسى ويتسلل إلى قلبها..

لقد كان يتحدث إليها منذ ساعات .. لقد تركته فى حالة جيدة ...ثم...

ثم ذهب تفكيرها إلى أخر ما قاله لها..أيعقل بأنه كان يشعر باقتراب موعده إلى هذه الدرجة فطلب منها أن تسامحه؟

وماذا الآن..هل تسامحه؟ هل تغفر لما فعله؟

بعد كل هذا العناء ..ستسامحه بهذه البساطة؟

كم قلوبنا طيبة نحن ..نتأذى ونتعرض للظلم ونتوعد للإنتقام ثم فى لحظة رحمة..ننسى كل شيء.

تمت مراسم الدفن وأخذ كلاهما بقراءة الفاتحة على قبره بعد أن ذهب جميع الحاضرين للدفن ومن ثم طلبت مهدا أن يتركها رامى قليلا فى حوش القبر وحدها ..فلبى رغبتها ثم إنتظرها بالخارج ..وفى حين ذلك بدأت مهدا إلى أن تتحدث إلى عمها فى قبره قائلة..

-أنا مكنتش أعرف بجد أنا إيه زعلنى عليك أوى كدة ..بس لما فكرت شوية ..لقيت إن سبب زعلى دة هو علشان لإنى كنت بتمنى قبل ماتموت أحس بحنيتك ..بطيبة قلبك اللى إتحرمت منها من يوم ما بابا مات..بجد ..أنا منكرش إنى كنت راجعة أنتقم منك ..بس لما جيت ودخلت البيت دة ..حسيت بجد إنى نفسى أوى أحس إنى وسط أهلى ..من خوفهم وحنيتهم عليا..بجد كنت بتمنى تحتضنى وتحسسنى إنى ليا ضهر وسند ..حتى بعد اللى عملته كنت هسامحك ..بس فى مقابل إنى أحس ولو بجزء من عطفك.. عارف ياعمى...أنا كان بييجى عليا وقت بنام وأنا برتعش من الخوف..كنت بحس إن ضهرى عريان ..مش جنبى حد يحمينى ولايساعدنى.. كنت حاسة باليتم والوحدة اللى تخلينى مستعدة أسامح أى حد ظلمنى فى مقابل بس إنه يحسسنى بالأمان.

لما جيت طلبت منى أسامحك..حسيت إحساس غريب جوايا..كان مخلينى زعلانة وفرحانة فى نفس الوقت.

كنت حاسة إنى نفسى أعاتبك .. كنت حاسة إنى نفسى أجى لحضنك وأحكيلك حالى كان عامل إزاى بعد ما سبتكم ..كان نفسى أتكلم معاك كتير أوى وأعاتبك ..مش علشان أحسسك بالذنب لاء

دا بس علشان قلبى يصفى

بجد أنا كنت لآخر لحظة محتجالك ياعمى وإن كنت كرهتك يوم فدا لإنى لما كان بيضيق عليا الحال ماكنتش بلاقيك جنبى ..كان نفسى بجد تعوضنى عن حنان بابا وتحسسنى إنى لسه ليا ضهر عايش فى الدنيا

كان جوايا كلام كتير أوى كنت عايزة أقولهولك ..بس ربنا قضاؤه نفذ..

وبرغم كدة وعلشان تعرف إنى مش بكرهك وقلبى مش أسود..أنا مسمحاك..مسمحاك ياعمى قصاد ربنا وقصاد نفسى.. وبشهد ربنا على كلامى دة..أنا مسمحاك فى كل حاجة جيت عليا فيها ..بجد بجد المرادى من قلبى وهبقى أزورك كتير أوى إنت وبابا..علشان تعرف بس إنى عمرى ما كرهتك ياعمى

مسحت دموعها ثم خرجت من حوش القبر ثم ذهب بها رامى إلى المنزل ...ثم..

-إتفضلى إنزلى..

قال ذلك رامى فور وصولهما ..فسألته

-إيه دة إنت مش هتنزل معايا ؟؟

-لاء.. ما عدش ينفعش يا بنت عمى

-ليه؟؟

-علشان مابقاش ينفع أعيش معاكى فى بيت واحد..أنا عندى شقة فى المهندسين متشطبة ..هروح أعيش فيها وهبقى أبعت حد ياخد باقى الهدوم بتاعتى

-أيوة ..بس..

-مافيش بس..هى دى الأصول يامهدا

-طيب ماقولتليش هتعمل إيه مع محفوظ المحامى ..دا كل شوية يرن عليا

-ماتقلقيش أنا هتصرف

نزلت عن السيارة ثم خلدت إلى المنزل بعد أن ودعته وبعد سبعة أيام أتى إليها رامى ليقول..

-خلاص الموضوع خلص..

-تقصد إيه؟؟

-موضوع محفوظ يامهدا..

ثم أخرج إيصال الأمانة وورقة الزواج العرفى قائلا..

-إتفضلى ..دا الإيصال ودا ورقة الجواز العرفى اللى كان مع الأستاذ..قطعيهم بنفسك

فنظرت مهدا إليها بإندهاش ثم قالت..

-إنت جبتهم إزاى؟

-والله دا شغلى أنا بقى..إنتى مفكرة إبن عمك أى حد ولا إيه؟

-لا لا بجد لازم تقولى..إيه حصل؟

-أبدا ..إستخدمت نفس الأسلوب اللى كان بيتعامل معاكى بيه

-إزاى؟

-خليت ناس تبعى تراقبه وتعرف عنوانه وكل حاجة عنه بالتفصيل..بعدين هددته ببيته وعياله..تصورى كان العقد العرفى كان ماضى عليه شهود مزيفين؟

-إزاى؟

-يعنى أسامى وبطايق ناس ماتت أصلا من زمان وإنتى أكيد مابصتيش فى حاجة علشان تتأكدى ..بس خير..العقد معاكى اهه وإيصال الأمانة وقطعيهم

-أيوة..بس هو كدة يعتبر طلقنى؟

-اممم..هو ذيادة فى التأكيد يعنى خليته يرمى يمين الطلاق غيابى ..هو كدة كدة أصلا عقد العرفى كان مزور والشهود كانو مزيفين فأكيد باطل

قامت مهدا بتمزيق كلا منهما ثم قامت بحرقهما لتتأكد من تخلصها من ذلك الكابوس ثم تقدمت إليه بالشكر على جميع مافعل..

وبدأت الأيام إلى أن تجرى بينهما.. وبدأ كلا منها إلى أن ينجذب إلى الآخر ..وتربطهما علاقة ود قوية ..كان يسودها الإحترام والحب ...حتى أتت تلك اللحظة التى لا يطيق فيها رامى صبرا ..ل يطلب منها أن...

-إيه؟؟ إنت بتقول إيه؟

قالت ذلك مهدا فور أن طلب منها رامى الزواج فرد قائلا..

-زى ما سمعتى...لو مش موافقة ..عادى واعتبرينى ماقولتلش حاجة

-أيوة يارامى بس إنت عارف كويس إنت هتكون الزوج الكام؟

-مهدا ..أنا ماليش دعوة بماضيكى..وماليش إنى أحاسبك عليه ..أنا المهم عندى دلوقتى هو إحساسى من ناحيتك

-اممم..مش فاهمة

-أنا بحبك

كاد قلبها أن يخرج من بين ضلوعها حتى كاد أن يفضحها دقاته التى كانت تود أن تصرخ وتقول وأنا أيضا لم أحبك فقط وإنما أحب حتى هذا الجنون الذى جمعنى بك ..فحاولت أن تتماسك وابتلعت ريقها ثم قالت إستفزازا لمشاعره نحوها..

-إنت طول عمرك بتحبنى زى أختك يا رامى

-أيوة..بس اللى حاسه من ناحيتك الأيام دى مختلف تماما ياامهدا

فقالت بترجى مزيف لا تريد أن يطيعها فيه...

-رامى..بلاش أرجووووك

-إنتى ممكن ترفضى عادى ..أنا مش ماسكلك عصايا ..وتأكدى تماما إنى لا هزعل ولا هتضايق وهعتبر إن ماحصلش حاجة خالص

كان التردد والخوف يقطن بأحداقها ... وحينما لمح ذلك حدثها قائلا..

-مالك ياامهدا مترددة ليه؟ إحكيلى طيب إيه اللى بيدور فى عقلك

-إنت عارف كويس عايزة أقول إيه

-ياستى لو على إنك إتجوزتى قبلى تسع مرات ..أنا مسامح..زعلانة ليه بقى؟ إنتى يعنى مش موافقة بيا؟

-لاء...مين قال كدة

-أمال مالك

-أنا بس مش عايزاك تندم

-هندم على إيه؟؟ أنا بابا غصب عليا أتجوز شيرين وأنا ماكنتش بحبها ولا عايزها ..برغم إنها كانت مثالية جدا فى كل حاجة واى النتيجة .. ماتفقناش واتطلقنا

-إتطلقتو؟؟

-أيوة ..طلقتها قبل وفاة بابا بيومين ..بس داريت عنه علشان حالته زى ما

انتى عارفة

-و ياترى طلقتها علشان...

فقاطعها قائلا..

-لا أكيد مش علشانك ..إحنا كان بينا مشاكل كتير جدا وأصبحت حياتنا مع بعض مستحيلة ..حتى أنا فاتحت بابا بالموضوع دة قبل ماقابلك برا وأعرف منك كل التفاصيل اللى قولتهالى وبالمناسبة أنا خلفت منها إبنى ذياد

-طيب والولد ذنبه إيه ؟

-الولد مالوش ذنب ..بس لو عاش بين إتنين مش قادرين يحترمو ولا يفهمو بعض..من المحتمل إنه يتعقد ويجيله حالة نفسية وهيكون أسوأ بكتير من واننا منفصلين ..أعتقد إن كدة أحسن له وأحسن لنا إحنا كمان.. ها...قولتى إيه؟

****

الفصل الخمسون

الجزء الرابع والأخير

"حكمة يرسمها القدر"

خرجت عن ذكرياتها على صوت دكتور الحالة(بهجت) وهو يقول..

-سلام عليكم

فردت مهدا..

-وعليكم السلام

-أمال الأنسة رانيا الممرضة اللى كانت مع الحالة فين

-والله حضرتك معرفش أنا جيت لقيته قاعد لوحده

-هو حضرتك تقربى لبهجت؟؟

فأجابته..

-لا..مش قريبته ولا حاجة

-طيب..حضرتك علاقتك بيه إيه؟

-كان جوزى

-جوزك !! ..إنتى مهدا؟

فاندهشت قائلة..

-أيوة...حضرتك تعرفنى؟؟

-أيوة..الحاجة أم بهجت حكتلى عنك ..وعرفت إن انتى السبب فى كل اللى حصله

-لالالا مش انا السبب حضرتك فاهم غلط

-إتطمنى أنا فاهم كل حاجة ..وعارف إنك كنتى مظلومة..أم بهجت قالتلى

-طيب...يبقى أنا السبب إزاى؟

-إنتى السبب ..لإن اللى هو فيه دة نتيجة لصدمة لما شافك مع واحد تانى فى سريره

-أيوة ..بس أمه هى اللى عملت كل دة ..يبقى هى السبب

-أمه تعتبر سبب كان مبهم ومستخبى إنما إنتى السبب اللى كان ظاهر قدامه فعمله صدمة..

-طيب..هو مافيش أمل من إنه يتعالج ويرجع زى الأول؟

-أكيد طبعا فى أمل..بس محتاج صبر شوية وإنتظام فى العلاج

-طيب أم بهجت كانت قالتلى إن أنا الوحيدة الى اقدر أساعده يرجع زى الأول

-فعلا..هو ممكن يتعافى بسرعة لو ساعدتيه بس عايز أسأل سؤال

-إتفضل

-ياترى لو ساعدتيه فى إنه يرجع زى الأول هتوافقى ترجعيله تانى وتعيشى معاه؟؟

-لاء طبعا...أنا دلوقتى متجوزة وكمان بحب جوزى جدا

-طيب ..يبقى إنتى كدة مش هتقدرى تساعديه بأى حاجة ..لإنه أصلا كان يبحبك وفكرة إنك تفضلى قصاده طول الوقت وتكلميه بعدين تختفى دا ممكن يعمل مشكلة وصدمة نفسية أكبر من الأولى

-طيب والحل إيه؟؟

-الحل إنك تفضلى مختفية زى ماانتى ..وهو إن شاء الله هيتحسن بالعلاج ..هو حالته مش صعبة أوى

..بس محتاج وقت

-طيب...ممكن أطلب من حضرتك طلب؟

-إتفضلى..

-وحياة أعز حاجة عندك تاخد بالك منه ..دا غلبان وطيب بس الله يجازيها أمه بقى

-من غير ماتقولى . .أنا دايما بعامل ربنا فى شغلى وعمرى ماهفكر أقصر فيه..

-مش عارفة أقول لحضرتك إيه .. متشكرة جدا..ربنا يجازيك كل خير ..عن إذنك

خرجت من المستشفى ثم إتجهت إلى أحد محلات البقالة لشراء بعضا من الأطعمة وبعض المستلزمات التى يحتاجها وعندما عادت إلى المنزل إستقبلها رامى قائلا..

-أهلا بالست الى سابت جوزها نايم وخرجت

فاقتربت إليه ثم قبلته من رأسه قائلة..

-معلش ياحبيبى..ماحبتش أزعجك ..أنا قومت بدرى علشان أجيب حجات البيت والفطار لإنك عارف التلاجة فاضية ولبيت محتاج نضافة كتير..طبعا بهدلتو البيت وأنا مش موجودة إنت وذياد

فابتسم إليها ثم قال بحب

-البيت كان وحش من غيرك أوى ياا مهدا

فجلست إلى جواره ثم قالت..

-أكيد ذياد ..كان مالى عليك المكان من بعدى ..ماسبتكش لوحدك يعنى

-ذياد كان مالى مكانه بس..إنما إنتى مكانك كان حاسس بوحدة وفراغ من غيرك

-يااااه..هو البعد بيخلى الواحد يقول كلام حلو كدة ..أرجع للسجن تانى يعنى ولا ايه

فضحك قائلا..

-والله ..يعنى أنا ماكنتش بقول كلام حلو؟؟ هو انتو كدة دايما بتاكلو وتنكرو

فضربت جبهتها بكف يدها ثم قالت

-أخخ ..زمانكم يعينى هتموتو من الجوع دلوقتى إنت وذياد ..ثوانى ويكون الفطار جاهز

ثم نهضت عن مقعدها وذهبت إلى المطبخ فلحقها رامى قائلا..

-لا فطار إيه ..إحنا خلاص داخلين على الضهر..خليها غدا بقى

-والله؟؟ لا دا بالنسبالك إنت..إنما ذياد حبيبى لسه صغير ولازم يتغذى ..أنا هعملكم الفطار دلوقتى وهيكون فى غدا بردو إن شاء الله

-بتحبى الأطفال ياامدا؟؟

فتركت إنشغالها بتجهيز الفطور ثم نظرت إليه بحنين وقالت..

-جداا يا رامى..إنت ماتتصورش أنا بحبهم قد إيه

-نفسك فى طفل؟

وكأن ما قاله دق كالدف على قلبها ليجعلها تقول بلهفة..

-نفسى جدا..

ثم إقتربت إليه لتحتوى عنقه ثم تقول

-بس بشرط

-إيه هو؟

-يكون شبهك

-ياسلام وليه مايكنش شبهك؟

-علشان أنا حابة أشوفك كل يوم مرتين

-أنا بجد متأكد إنك هتكونى أحن أم فى الدنيا..

-صحيح هو ذياد فين

وأثناء ذلك ..دخل إليهم ذياد ..فينظر إليهم بذهول ثم يقول ببرائة..

-ماما مهدا..أنا جعان

لا تعلم ماذا أصابها حينما سمعته وهو يقول تلك الكلمة

"ماما"

ما أجملها من كلمة ..جعلت قلبها يرفرف من الفرح وجعلها تتمنى أن تنجب طفلا لتسمع تلك الكلمة طوال حياتها من جمالها ورقة شعورها..

فتركت رامى ثم ذهبت إلى ذلك الصغير..لتجثو على ركبتيها ثم تحتضنه بلهفة ثم تقول بحنان مغدق..

-جعان ياحبيبى؟

-أيوة.. جعان جدا وبابا كل شوية يقولى ماما مهدا زمانها جاية

فنظرت إلى رامى بعتاب ثم قالت..

-ليه كدة يارامى ..مش عارف تجبله حاجة ياكلها لحد مارجع؟

-أنا فكرتك رحتى تجيبى الفطار ومش هتتأخرى وكل شوية بصبره وكمان بصبر نفسى لإن أنا كمان جعان

فنهضت عن الأرض ثم أشارت إلى باب المطبخ وهى تقول بجدية..

-طيب إتفضل يا أستاذ إطلع برا بقى علشان أحضر الأكل

-كدة؟ طيب ماشى ياستى..أنا خاااارج

ثم خرج ..فسألها ذياد

-وانا ياماما مهدا أخرج بردو؟

فجثت على ركبتيها إليه ثم قالت بحب..

-لاء طبعا ..أمال مين هيساعدنى

كان كل شئ يجرى على أشد ماا يرام ..خصوصا بعد أن تركا شقة "المهندسين "و عادا إلى منزل العائلة الكبير ذو الحديقة صاحبة الورود الجميلة ليسكنان فيه ، ولقد جمع سكان هذا المنزل بين كل أنواع الحب والوفاء ..لقد كانت مهدا بمثابة الأم العطوفة لإبن لم تحمله أحشائها ..وزوجة حنونة ..طيبة..لزوج أهدته إليها الأيام...

كان المنزل لا يخلو من أصوات الصخب والضحكات..

لقد علمت جيدا بأن الله سيعوضها..سيرزقها ..سيمنحها شيئا عظيما بالنهاية ، وربما ماحدث قد حدث ليفرحها وليعلمها بأن الماض ماض والآت آت.

إن الله لا يؤخر شيئا إلا لحكمة..لا يحزنك إلا ليشعرك بمتعة الفرحة..لا يؤلمك إلا لتشعر بما يؤلم غيرك..لا يقسم ظهرك إلا ليعيد بناء صلبك..لا يبتليك إلا ليربيك..

إن الله لا يخذل..لا يخون..لا يخدع ..لا يكذب..لا يجور

إنما هو فقط يحب❤❤

يحب أن تناديه..أن تدعوه..أن تخاف عصيانه ،ترجو طاعته وغفرانه..تبتغى سبلك الخاصة فى التقرب إليه وحب رضائه.

كانت مهدا على أشد درجات السعادة التى لا تستطيع فيها وصف مشاعرها ..لقد شعرت وكأنها قد خلقت من جديد..وذلك القلب الذى حزن وبكى ..لقد شعرت بأنه لم يلتقى بالحزن يوما ولو صدفة..

لقد كان زوجها رامى رؤفا ..عطوفا..رقراق الكلم ..فياض المشاعر..كانت كلما فكرت فى شئ وجدته فيه ..لقد شعرت بأن الحياة أعادت إليها صباها ..صباها الذى شعرت بأنه مر مرور العجازة والمسنين.

إنها الآن فى حياة نقية....جميلة.. لاينقصها إلا طفل جميل

ذلك مافكرت به حينما مر شهورا ولم تنبأ بقدوم طفل ليكمل سعادتها فى هذه الحياة الجديدة ..فاقترحت أن تذهب إلى الطبيب بصحبة زوجها رامى للكشف عن ذلك الأمر وحينما فحصها الطبيب وجد أن..

-للأسف ..المدام بلغت سن اليأس

نزلت الإبتسامة عن وجوههم ..لم يصدق كلاهما مايقوله الطبيب ..فأعاد رامى تساؤله..

-يعنى إيه ؟

-يعنى المدام مابقاش فى فرصة لإنها تخلف..لإنها وصلت خلاص لسن اليأس

-بس ياادكتور..دى لسه صغيرة على السن دة..دى لسه مكملة الأربعين من شهرين

-هو عامة سن اليأس بيبدأ من ٣٥ سنة ..وفى ستات بتوصله حتى قبل الأربعين ..السن دا مالوش وقت محدد ..أنا أسف

كانت ساهمة .. سارحة ..فى تلك السنون التى ولت والتى أحست بضياعها فقط فى هذه اللحظة..

لقد أحست بأنها تحلم أو كل ماقاله الطبيب ماهو سوى مجرد كابوس..

مشكلة..مصيبة..ستتخلص منها فى وقت قريب..

إنها ذبحة..ذبحة أحستها فى قلبها فأججت كل مشاعرها ..لقد سقطت السعادة عن وجهها وعاد الحزن ليعانقها ..حتى ذلك الذى السارح الذى كان يقود السيارة ..كان فى مكان غير المكان وملكوتا غير الملكوت..

لقد عادا إلى المنزل ولم ينطق كلاهما بحرف منذ أن غادرا عيادة الطبيب..فصعدت مهدا إلى غرفة نومها تاركة ذلك الحزين وحده ..ثم اعتلت الفراش وهبطت بجسدها عليه ببطئ واحتضنت نفسها بكلتا ذراعيها ..ثم..

أم ؟ ؟

لن أصبح أم ؟

لن تطرب أذانى بسماع تلك الكلمة أبدا ؟

ذلك ماا كانت تردده فى خاطرها..ثم غاصت فى موجة هائلة من البكاء وأحست بتلك الرجفة وهى تسرى فى جسدها..إلى أن غفت عينيها الغارقة فى الدموع وأتى الصباح..الذى تمنت لو لم يأتى ..حتى لا تستيقظ و تشعر بذلك الألم الذى كان يعتصر قلبها ومن ثم نهضت عن الفراش ببطئ ..ثم طلت من النافذة ..لتجد الشمس ساطعة ونسمات الهواء تداعب ورودها الجميلة...فشعرت بشئ من الإختناق والضيق جعلها ترتدى ثيابها ثم تذهب إلى ورودها الجميلة التى كانت تدعوها بأطفالها..

ذهبت إلى هناك و الحزن لا يترك مكان فى وجهها إلا وسكن فيه ..ثم جلست على مقعد خشبى عريض كان يتوسط الحديقة..وأخذت تنظر إلى ورودها عن كثب ثم تتحدث إليها بصوت منخفض حزين..

-عارفين ؟ ؟ كان نفسى أوى أكون أم..كان نفسى يإبن يكون شايل إسمى ويقولى ياماما ...بجد كان نفسى أسمع الكلمة دى أوى

قالت ذلك ثم جهشت بالبكاء وتابعت..

-كان نفسى أفرح رامى ويكون ليا إبن منه..هى ليه الحياة كدة مش بتهنينى خالص على فرحة...

ثم نظرت إلى السماء وقالت بحرقة

-ليه ياربى كدة

ثم بكت بين كفيها وازداد صوت أنين بكائها .. مما جعل رامى يخرج إليها ويقول..

-إنتى بتعيطى ليه دلوقتى؟؟

فتوقفت عن البكاء ثم رفعت وجهها من بين كفيها ثم قالت بصوت متحشرج والدموع فى عينيها..

-مافيش ياا رامى

-مافيش ؟

-أيوة

فجثى أمامها على ركبتيه ثم مد يده ليمسح دموعها ثم يقول..

-والدموع دى..مش حرام عليكى؟

-معلش..أهه كله بيهون .. ماتقلقش أنا متعودة على كدة

-هاتزعلينى منك ياامهدا؟؟

فضحكت بسخرية ثم قالت..

-هو انا لسه ماازعلتكش؟

-وإيه كان هيزعلنى منك بس؟

-إنت عارف كويس أقصد إيه

-عارفة ياامهدا إحنا مشكلتنا إيه؟ مشكلتنا إننا دايما بنحزن عاللى ناقص فينا وما بنبصش للى مكملنا

-مش فاهمة

-يعنى أنا مثلا قبل ماا اتجوزك وقبل حتى ماتظهرى لحياتى..كنت بحس كتير إنى ضايع..عايش بس لمجرد إنى عايش ..ماكنتش حاسس بطعم الدنيا وكنت دايما أنا وشرين فى خناق ومشاكل..

لما تجوزتك..حسيت بالسعادة اللى عمرى فى يوم ما حسيتها..عرفت طعم الحياة بيكى ..تفتكرى ليه ماخدتش بالى من حاجة زى دى ربنا رزقنى ومكملنى بيها وبصيت لموضوع الخلفة وحزنت وبكيت علشانه..ليه ماحسبتش السعادة اللى ربنا إدهالى وحمدته عليها وبصيت للجزء الى ناقص فيا ونقمت منه

مع إنه زى ما قولتلك مكملنى ومعوضنى!!

ليه مابصتش مثلا لحجم النعم اللى عاطيهالى..

زى الصحة والمال والزوجة الصالحة ..وبصيت لحاجة هو مش رايدهالى

عارفة ليه ياامهدا إحنا بنعمل كدة؟؟

لإننا متعودين على الطمع...الطمع فى إن ربنا دايما يدينا والمشكلة إنه بيدلنا حجات كتير..بس للأسف مابنحسش بقيمتها إلا لما تروح مننا

فردت قائلة..

-أيوة يا رامى ونعمة بالله..بس أنا كان نفسى أكون أم

-ماانتى يا حبتى أم ولاتنين كمان مش واحد..نسيتى ذياد وانا ولا إيه؟؟

-ذياد مش من دمى ياا رامى

-الأم هى اللى تربى يامهدا مش اللى تخلف..أمه لما كانت عايشة معاه ماكنتش بتعمل معاه ولا بتهتم بيه ربع الإهتمام اللى بتديهوله ..لحد أخر حاجة عملتها سابته ورمتهولى وراحت إتجوزت ..تفتكرى دى تبقى أم؟؟ عارفة؟؟ يمكن اللى حصل دة حصل علشان ذياد

-ذياد؟

-أيوة..لإن قلبك جميل أوى يا مهدا وحنانك مالوش وصف فجايز اللى حصل دة علشان ذياد ياخد كل الحنان اللى فقلبك واللى اتحرم منه من أمه ..

جايز اللى حصل دة..علشان ذياد يحس إنه له أم بجد وإنها هتعوضه عن كل حاجة وحشة شافها..

تعرفى؟؟ أنا ماقولتلوش خالص يقولك ماما مهدا..هو اللى جالى مرة وقالى..بابا طنط مهدا طيبة أوى وبتحسسنى إنها ماما

قولتله خلاص إعتبرها زى ماما

قالى لاء أنا هقولها ياماما

-طيب وإنت ياا رامى..مش زعلان؟

-وهازعل من إيه بس؟ من إنك مش هتخلفى؟ ..عندنا إبننا ذياد اهه ربنا يخليهولنا ويكبر فى وسطينا ونفرح بيه ونعلمه لحد مايبقى أحسن واحد فى الدنيا..مش كفاية؟؟

وفى تلك اللحظة سمع كلاهما صوت ذياد وهو يصرخ ويبكى بصوت عال وهو فى غرفته ..فجرى إليه كلاهما وحينما دخلا إليه ..نهض ذياد عن الفراش مسرعا ليختبئ بين أحضان مهدا وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة بالغة ثم يقول بصوت متقطع

-حلمت ..حلم..وحش ياماما مهدا أنا خايف

فااحتضنته بلهفة وحب ثم سالت الدموع من عينيها وهى تحتضنه بقوة حتى كادت أن تدخله بداخل أحشائها وحينما أحس الصغير بدموعها وهى تنزل على وجهه رفع رأسه إليها ثم قال..

-ماما مهدا..إنتى بتعيطى ليه..إنتى حلمتى حلم وحش إنتى كمان؟

فضحكت بمرارة ثم قالت..

-لاء أنا بعيط علشان إنت بتعيط..

-لاء لو هتعيطى..أنا مش هعيط تانى ..وحتى لو حلمت حلم وحش بردو

مش هعيط
فضحكت ثم نظرت إلى رامى والإمتنان يصف نظراتها على هذا الصغير الجميل الذى قرر فجأة أن يدخل بحياتها ..ثم حملته ووضعته بالفراش ومسحت دموعها وأخذت تقص له بعض القصص والحواديت..

ثم أخذت تستغفرو الله وتحمده على لطفه وكرمه وهكذا قرر القدر أن يمنح صغيرا ..قلبا حنونا..عظيما ..رقيق المشاعر ..فيه الرحمة والعطف

ويذكرنا ذلك بحليمة السعدية مرضعة الرسول صلى الله عليه وسلم حينما وضع الله فى قلبها الرحمة والحب تجاه رسولنا عليه الصلاة والسلام كما لو كانت أمه

فهكذا هو الله لا يصب من قدر إلا وله حكمة..ولا يبتلى إلا لأنه يحب..ولا يحزن إلا ليفرح
..فلقد حرمها الله من نعمة الأمومة لكى يرزق هذا الصغير بكل حنانها وعطفها وحبها..
إن حرمان الأم من الأمومة شئ يجعلها تفيض بعطاء وحنان لو صب فى نهر ماساع ..ولو وضع فى بئر لفاض
ولعل من حظ هذا الصغير أن ينعم بهذا الحب الكبير الذى جعله رجلاا شاباااا ..يناهز الخامسة والعشرون عاما ويتخرج من كلية الطب ثم يعد من أوائل الخريجين ويعين بالجامعة نظرا لإجتهاده وجدارته ثم يقرر أخيرا أن يتزوج ويكمل نص دينه..

وتنتهى القصة..بمشهد لذياد وزوجته فى حفل زفافهما وهما يتمايلات ويرقصان على أنغام موسيقى ذو إيقاع هادئ ثم يشاهدهما مهدا ورامى من بعيد بعينان يملؤها الدموع ... نعم ...إنها دموع الفرحة.

تمت بحمد الله

****

العمل القادم

"رواية مشاعر مجنونة"

رواية رومانسية كوميدية

"الصفحة الرسمية للكاتبة على الفيسبوك"

https://www.facebook.com/By.NehalELghandour/?eid=ARCK2E7rZ3ziprKoGoCf8kNoocP4D0TYMvCMxzwe3xU8DWTV604c90K93T39ymBYepFZKUPtccNrcfUe